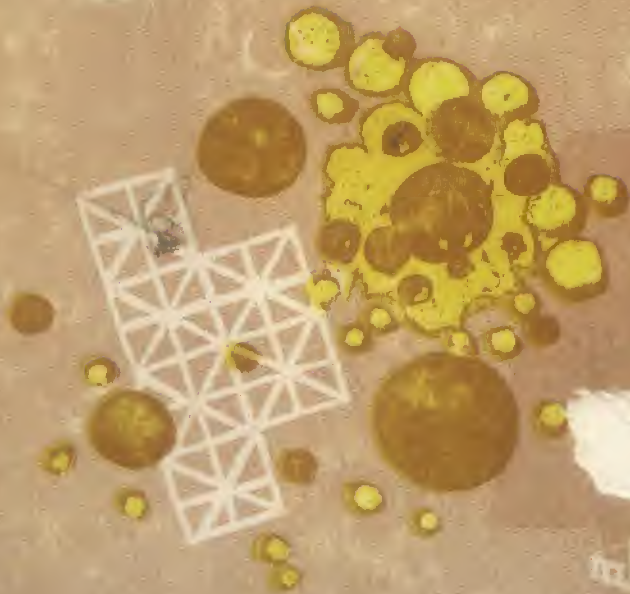
ما هي ..

القاديانية

أبو الأعلى المودودي

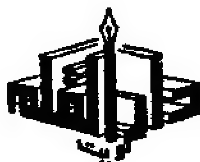


دار القلم

أبو الأعلى المودودي رحمه الله
أمير الجماعة الإسلامية بباكستان

ما هي القاديانية؟

دراسة شاملة وعرض علمي للقاديانية ومدى تأثيرها في المجتمع الإسلامي



إقراء أولا

كنت أحولت هذا الكتاب بشكل الصورة فوجدت نفس الكتاب مع قليل التغير
في مجموعة الكتب "دحض مفتريات القاديانية" من الموقع

www.anti-ahmadiyya.org

فيه كتب و مقالات ضد الفئة القاديانية الكافرة ، كنت أحولت مئاة صفحة قريبا . الآن قررت أن أجمع بقي الصفحات لربح الوقت وممكن أنتم رأيتم فيه الفرق في رقم الصفحة في الكتاب والفهرس

الملحق "ب" و "المقدمة " من المترجم ليست موجودة في المجموعة لكن كنت رفقت هذان التحريران في هذا الكتاب

الطبعة الثانية

١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م

الآن الكتاب كامل ، معذرة للتغير

وشكرا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه الكريم : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » والصلاة والسلام على محمد الأمين وعلى آله وصحبه اجمعين . ومن دعا بدعوته وعمل بسنته الى يوم الدين : وبعد .

فان المسلمين في باكستان والهند ابتلوا منذ مطلع القرن العشرين الميلادي بمشكلة دينية المظهر . سياسية الجوهر . استفحل أمرها وتفاقم خطبها على مرّ الايام ألا وهي النحلة القاديانية أو بالأحرى المؤامرة الاستعمارية ضد الإسلام والمسلمين . وبمجرد أن رفعت هذه النحلة رأسها وتطاير شرارها بادر علماء المسلمين وقادتهم إلى مواجهتها ومقاومتها . فألفوا مؤلفات كثيرة أماطوا فيها اللثام عن وجه هذه النحلة وكشفوا عما فيها من مواطن الخطورة على كيان الأمة الإسلامية وهذا الكتاب الذي بين

يدي القاريء الكريم يحتوي على ما جاد به يراع الاستاذ ابو الأعلى المودودي قائد الحركة الإسلامية في باكستان في هذا الموضوع من مقالات وتصريحات في مناسبات مختلفة . ومن هذه المقالات والتصريحات ما يتناول أصل هذه النحلة ويدحض أسسها ويفند أراجيفها ، ومنها ما يتناول الآثار الوخيمة لهذه النحلة في المجتمع الإسلامي . وقد جمعنا هذه المقالات لنقدم للقارىء - في هذا الكتاب - صورة متكاملة عن موضوع القاديانية .

وإننا وقد عانينا من هذه النحلة المآسي والآلام ولاقينا منها المؤامرات الرهيبة . نرى من واجبنا الإسلامي أن نكشف لإخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها عن حقيقة هذه النحلة أو المؤامرة الاستعمارية لئلا يقعوا فريسة لها عن غفلة أو جهل ويصبحوا في مواجهة نفس المتاعب التي يواجهها إخوانهم في باكستان والهند . اذ من طبيعة هذه النحلة أنها لا تدخل بلدا من بلاد المسلمين إلا وعكرت صفوه وخربت أمنه وصرفت أبناءه عن المسائل الاصلية الى الصراع الداخلي المدمر .

نسأل الله تعالى أن يجنب الامة الاسلامية كيد الخائنين ومؤامرات المستعمرين ، وأن يوفق قادتها لما فيه خيرها وصلاحها في الدنيا والآخرة .

تحريرا في ١٣٨٨/٧/٧ هـ
الموافق ١٩٦٧/١٠/١١ م

خليل احمد الحامدي
معتمد دار العروبة للدعوة الإسلامية
لاهور — باكستان

الباب الأول

تاريخ القاديانية

* الميرزا : نشأته وحياته .
* المراحل التدريجية لدعاويه الكاذبة .

نشأة الميرزا وحياته

١ ولد الميرزا غلام أحمد حوالى سنة ١٨٣٩م في مدينة قاديان إحدى مدن مقاطعة بنجاب بالهند في بيت من البيوتات التي اشتهرت بخدمة سياسة الانكليز الاستعمارية وتحقيق مصالحهم البغيضة . فالميرزا غلام مرتضى: والد الميرزا غلام احمد المتنبي كان من أخلص أصدقاء الاحتلال الانكليزي الذي فرض سيطرته تلك الايام على شبه القارة الهندية . وقد ذكر ذلك الميرزا غلام أحمد بنفسه واعتبره من جلائل الاعمال التي قام بها والده الميرزا غلام مرتضى لتثبيت دعائم الحكم الانكليزي في الهند . فيقول :

« ان والدي : الميرزا غلام مرتضى كان من الذين شرفهم حاكم المقاطعة بتخصيص مقعد لهم في قصره خلال المناسبات الرسمية . وكان والدي من الموالين المخلصين للحكومة الانكليزية . وقد امدّ الحكومة السامية ــ اي الحكومة الانكليزية ــ خلال الثورة

الكبرى[1] التي قامت عام ١٨٥٧م بخمسين فرسا اشتراها من ماله الخاص وبخمسين فارسا . وكان هذا العون أكثر بكثير مما في طاقته [2] » . كما ان أسرة الميرزا غلام أحمد كانت تدين بالولاء الخالص الصادق لحكم السيخ الذين حكموا بعض مناطق الهند قبل الاحتلال الانكليزي ومن المعروف ان السيخ كانوا الد اعداء الإسلام والمسلمين . فحين استولوا على مقاطعة بنجاب وما جاورها من البلدان ، بعد تفكك الحكم الإسلامي في البلاد ، أعملوا فيها أيدي السلب والنهب ، وعاثوا في الارض فسادا ، وكانوا يأتون المنكرات ويشفون غليلهم بقتل النساء والعجزة ، وهتك الأعراض ، وسفك دماء الابرياء من أبناء الإسلام وإهانة المساجد وتعطيل شعائر الإسلام . وقد كانوا جفاة غلاظا لم يرقبوا في الاهالي إلا ولاذمة . الا ان الميرزا غلام مرتضى لم

---

(١) يقصد الثورة الكبرى التي حدثت في الهند عام ١٨٥٧م وقام بها أهل الهند ضد الحكم الإنكليزي إلا أن النجاح لم يكن حليفهم وتمكن الجيش الإنكليزي من قمع الثورة والقضاء على الثوار وقد صب الجيش الانكليزي على الثوار بعد تمكنه من قمع الثورة انواعاً من الظلم والتنكيل وضروباً من التعذيب يقشعر من سماعه الأبدان وإن ما ارتكبوه من قتل وتشريد ونفي وإجلاء وسفك دماء الأبرياء ومصادرة للأموال وانتهاك للحرمات واعتداء على ربات الخدور ، قد سود وجه التاريخ لبريطاني في هذه البلاد . والميرزا لا يطلق على هذه الانطلاقة الكبرى كلمة « الثورة » كما جاءت في الترجمة العربية . وإنما يطلق عليها كلمة "الغدر الشامل" لأنه يعتبر الحرب التحريرية ضد الإستعمار الإنكليزي خروجاً على السادة الإنكليز وخيانة في حقهم . (المترجم)

(٢) التحفة القيصرية : تأليف الميرزا غلام أحمد ص ١٦ .

يقصر في مساندة حكم السيخ الطغاة . وكان بينه وبين الحكام السيخ من علاقات الصداقة والود ما دفعت المهراجا رانجيت سينغ مؤسس دولة السيخ إلى طلب عودته الى قاديان (وطنه القديم) من مهجزه الذي كان يعيش فيه ، فجاء وانضم هو واخواته الى جيش المهاراجا رانجيت سينغ وقد جاء في كتاب « المجد الاعظم » الذي ألفه أحد اتباع الميرزا غلام احمد في سيرته :

« من المؤكد أن أسرة الميرزا غلام مرتضى قد تغيرت أحوالها في عهد المهاراجا رانجيت سنغ فاستبدلت بالضيق فرجا وبالعسر رخاء ورغداً ، حيث اعاد المهاراجا الى هذه الأسرة ماكان لها من عقارات في مدينة القاديان وما جاورها ، وأسند الى الميرزا غلام مرتضى منصبا عسكريا حساسا تحت إشرافه المباشر . وقد قام الميرزا غلام مرتضى بخدمات عسكرية جليـــلة تحت توجيه المهاراجا[1] ، وجاء في موضوع آخر من هذا الكتاب :

« إن الميرزا غلام مرتضى انضم الى جيش المهاراجا رانجيت سنغ ، وابلى بلاء حسنا في معارك نشبت في ثغور كشمير وغيرها . . . كما أنه ادى خدمات عظيمة في قمع القلاقل التي حدثت في منطقة هزارة . ولما نشبت ثورة عام ١٨٤٨م ضد الحكومة الانكليزية بقي وفيـا مخلصا للحكومة السامية ودافع عنها » [2] .

ولهذه الأسرة خدمات مشكورة في استئصال شأفة « الغدر

---

(١) المجدد الاعظم ص ١٦ و ١٧ .

(٢) المجدد الأعظم تأليف الدكتور بشارت أحمد ص ١٥ .

الشامل » الذي أثير عام ١٨٥٧م حيث ان الميرزا غلام مرتضى بذل جهوداً جبارة في مجال التجنيد العام . وكان ابنه غلام قادر (اخو الميرزا غلام احمد) في فرقة صاحب السمو الجنرال نكلسون وكان يحارب المسلمين مع العساكر الانكليزية ، وحينما تولى الجنرال نكلسون في موقعة تريمو واعدم الثوار الذين هربوا من مدينة سيالكوت كان غلام قادر من رجال حاشيته »[١] .

ويقول الميرزا غلام أحمد نفسه :

«لم تبخل عائلتي ولم تضن ، ولن تبخل ولن تضن بدماء ابنائها في خدمة مصالح الحكومة الانكليزية ابدا[٢] .

ويقول في موضوع آخـــر :

«لقد قضيت معظم عمري في تأييـــد الحكومة الانجليزية وموازرتها . وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الامر الانجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضها الى بعض لملأ خمسين خزانة . وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابل والروم (كذا) »[٣]

ويقول في محل آخر :

«لقد ظللت منذ حداثة سني ، وقد ناهزت اليوم الستين ، أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين الى الاخلاص للحكومة الانجليزية ولما فيه خيرها ، والعطف عليها . وأنادي

(١) كتاب البرية تأليف الميرزا غلام أحمد ص ٣ .
(٢) ترياق القلوب : تأليف الميرزا غلام أحمد ص ١٥ .
(٣) ملحق بكتاب شهادة القرآن ، الطبعة السادسة ص ١٠ .

بالغاء فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم والتي تمنعهم من الاخلاص لهذه الحكومة . » [١]

ويقول بشير الدين محمود احمد ابن الميرزا غلام احمد القادياني وخليفته الثاني في كتاب سماه : « تحفة شهزادة ويلز » (أي هدية لسموّ الامير وليّ العهد) وهذا الكتاب هو رسالة قدمها بشير الدين محمود احمد الى الامير ويلز نجل جورج الخامس ملك المملكة البريطانية العظمى الراحل . وذلك بمناسبة زيارته للهند ايام الاحتلال الانكليزى سنة ١٩٣١م . فيقول بشير الدين محمود احمد مخاطبا الأمير وليّ العهد :

«يانجل ملكنا المعظم وولي عهد المملكة البريطانية : انا إمام الجماعة الاحمدية،وخليفة مؤسسها المسيح الموعود عليه السلام أرحب بك بالنيابة عن افراد الجماعة الاحمدية اجمعين عند زيارتك الهند ، واؤكد لك بأن الجماعة الاحمدية هى وفية للحكومة البريطانية وستبقى وفية لها ان شاء الله تعالى ».

«ان عواطف المحبة والاحترام والود التي تضمرها الجماعة الاحمدية للتاج البريطاني لايقدرها الا الذين يكونون قد حيل بينهم وبين عزيز لديهم بحائل من الفراق والهجران ، وبعد طول انتظار اذا بذلك العزيز الذي شغف حبه قلوبهم يأتيهم فيبدّل الهجران بالوصال والبين باللقاء » .

«يا سمو الامير المحترم إن هذه التحفة (يقصد الرسالة) التي تقدم

(١) ملحق بكتاب شهادة القرآن ، الطبعة السادسة ص ١٠ .

اليك من الجماعة التي تحملت مصائب شتى على مدى ثلاثين عاما أو اكثر بايدى اعدائها وذويها (يقصد المسلمين) بسبب طاعتهم وولائهم لجدتك المحترمة الملكة فكتوريا وبعدها جدك المعظم الامبراطور السابق ادوارد السابع ثم والدك المحترم : الملك المعظم الامبراطور الحالى . وهى لم تبتغ بعملها هذا أن تنال اية مكافأة من الحكومة . »

«إن منهج هذه الجماعة من يوم تأسيسها أن تطيع الحكومة القائمة تبتعد عن جميع اعمال الفتنة والفساد (يقصد حركات تحرير البلاد من الاحتلال الانكليزى) وان مؤسسها عليه السلام كان قد وضع ضمن شروط المبايعة التي لا يمكن للمرء ان ينضم الى الجماعة بدونها ، ضرورة ان يتعهد الشخص بان يطيع الحكومة القائمة ، ولهذا اجتنب اعضاء هذه الجماعة دائما الفتنة والفساد ، وأصبحوا اسوة وقدوة للآخرين . »

«فيا سمو الامير المعظم ان هذه التحفة تقدم اليك من الجماعة التي اثبتت ولاءها واخلاصها كالشمس في رابعة النهار وتحملت جميع انواع الشدائد من أجل عرش آبائك . وان شهادة صدقها واخلاصها وصفاء نيتها مكتوبة باحرف من الدماء في افق السماء » . (١)

وقد امدت حركة الميرزا غلام احمد الحكومة الانكليزية بخير جواسيسها لخدمة مصالحها الاستعمارية وقد كانوا اصدقاء اوفياء وكانوا موضع ثقة الحكومة الانكليزية ؛ وقد خدموها

---

(١) كتاب تحفة شاهزادة ويلز" تأليف الميرزا بشير الدين محمود أحمد

في الهند وخارج الهند ، وبذلوا نفوسهم ودماءهم في سبيلها بسخاء كعبد اللطيف القادياني الذي كان في افغانستان يدعو الى القاديانية وينكر على الجهاد.وخافت حكرمة افغانستان ان تقضي دعوته على عاطفة الجهاد وروح الحربة التي يمتاز بها الشعب الافغاني فحكم عليهم بالاعدام . وكذلك الملا عبد الحليم والملا نور علي القاديانيان اللذين عثرت الحكومة الافغانية آنذاك عندهما على رسائل ووثائق تدل على انهما عميلان للحكومة الانكليزية وأنهما يدبّران مؤامرة ضد الحكومة الافغانية . فكان جزاءهما الاعدام ، كما صرّح بذلك وزير خارجية افغانستان سنة ١٩٢٥م . ونقلت « الفضل » : جريدة القاديانيين الرسمية ذلك الحادث وابدت اعجابها بهذه التضحية الجليلة التي قاما بهما في سبيل سياسة الانكليز بجرأة تفوق الوصف . وذلك في ٣ مارس من ذلك العام .

ولد الميرزا غلام احمد ، كما اشرنا في البداية ، حوالى سنة ١٨٣٩م أو ١٨٤٠م حسبما كتبه الميرزا في تأليفه : كتاب البرية . الا ان احد مؤرخيه كتب انه ولد سنة ١٨٣٥م . [1] وتروي عنه زوجه : أنه اى الميرزا غلام احمد كان في ايام طفولته مولعا باصطياد العصافير [2] وتلقى دارسته في بيته على بعض المدرسين ولما بلغ من عمره ٢٩ سنة تقلد وظيفة الكاتب في المحكمة الابتدائية

---

(١) المجدد الأعظم "ص ١٦ و ١٧ .

(٢) سيرة المهدي ، تأليف الصاحبزادة بشير أحمد القادياني ، ج ١ـ ص ٣٦ .

الانكليزية في مدينة سيالكوت مقابل راتب هين . وذلك في الفترة ما بين ١٨٦٤م و ١٨٦٨م . [١] وهناك تعلم شيئا من اللغة الانكليزية . وشارك في امتحان الدراسة القانونية ولكنه رسب [٢] . واخيرا انصرف الى ادارة شؤون المزارع التي كان يملكها . وكان في هذه الفترة يرفع العديد من الشكاوى الى المحاكم لاستعادة عقاراته حتى اصبح حضوره للمحاكم ورفع الشكاوى ضد الآخرين شغله الشاغل . الى ان مات عنه والده الميرزا غلام مرتضى. وذلك في سنة ١٨٧٦م . وبمجرد موت والده ادعى انه يتلقى الالهامات من الله تعالى . [٣] .

وكان الميرزا غلام احمد مصابا بطائفة من الامراض الفتاكة الخطرة . ونحن نسرد فيما يلي بعض هذه الامراض كما ورد في تأليفاته وتأليفات أتباعه .

الهستيريا :

«عن حضرة الوالدة (اى زوجة الميرزا غلام احمد) قالت . ان حضرة المسيح الموعود اصيب بالصداع ودوار الرأس والهستيريا اول مرة حين ولادة البشير الاول . . . ثم توالت نوبات هذه الامراض الخطيرة مرة بعد اخرى» [٤]

---

(١) سيرة المهدي ج ١ ص ٣٥ .

(٢) المصدر نفسه ج ١ ص ١٣٨ .

(٣) كتاب البرية : تأليف الميرزا غلام أحمد ص ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ .

(٤) سيرة المهدي ج ١ ص ١٣ .

«عن الدكتور محمد اسماعيل ، قال سمعت من حضرة المسيح الموعود اكثر من مرة يقول : اني مصاب بالهستيريا . وكان يقول احيانا اني مصاب بالقُطْرب »[1]

القُطْرب :

«اصيب حضرة الميرزا بمرض القطرب . الا ان هذا المرض لم يكن متوارثا وانما اصابه من مؤثرات خارجية »[2]

الماليخوليا :

القطرب نوع من الماليخوليا الذي هو ضرب من الجنون وهو يفسد العقل ويقطّب الوجه ويديم الحزن ويُهيم بالليل ويغوّر العينين وينحل البدن .

السل وامراض الصدر :

«ان حضرة الاقدس اى الميرزا — ذكر امراض السل والصدر فيما ذكر من الامراض التي أصابته . وقد اصابه هذا المرض حين كان والده حيا يرزق . وقد لازم الفراش حوالى ستة اشهر بسبب هذا المرض »[3] .

«وعن حضرة الوالدة (اى زوجة الميرزا غلام) . قالت : ان

---

(١) سيرة المهدي ج ٢ ص ٥٥ .

(٢) رسالة ريفيفيو قاديان ص ١٠ ، العدد الصادر في اغسطس ١٩٢٦م

(٣) حياة أحمد : تأليف يعقوب علي القاديني ج ٢ رقم ١ ص ٧٩ .

حضره الميرزا اصابه مرض السل وكان جدك (جد الراوى وهو والد الميرزا) حيا . وقد اشتد هذا المرض حتى كدنا نيأس من حياته [1]

مرضان خطيران :

« يلازمني مرضان خطيران : مرض في النصف الاعلى من جسدي . ومرض في النصف الاسفل منه : اما الذى في النصف الاعلى فهو دوار الرأس . واما الذي في النصف الاسفل فهو سلس البول . وهذان المرضان يلازمانني منذ نشرت ادعائي بكوني مامورا من الله » [2]

طائفة اخرى من الامراض :

«انا رجل دائم المرض . ينتابني بين حين وآخر ، دوار الرأس والصداع والارق والتشنج القلبي . وكذلك يلازمني الديابيطس من امد غير يسير . وتمسني الحاجة الى البول اكثر من مائة مرة في ليلة واحدة . وان الامراض التي تنشأ عن سلس البول هي كلها تلازمني [3] .

ضعف عصبي :

« ان هذا العاجز – اي الميرزا – مصاب بضعف في الاعصاب.

---

(١) سيرة المهدى ج ١ ص ٤٢
(٢) حقيقة الوحي للميرزا غلام احمد ص ٢٠٦ و ٢٠٧
(٣) ملحق الاربعين تأليف الميرزا غلام احمد رقم ٣ و ٤ ص ٤

ان الهواء البارد والمطر يسببان لى الاضرار والمتاعب[1] .

سوء الذاكرة :

ذاكرتي سيئة جدا . الى حد اني مهما قابلت احدا من الناس مرارا وتكرارا انساه . ولا استطيع الاعراب عما اعاني من فساد الذاكرة من الآلام . [2] .

واخيرا قد وافاه الاجل المحتوم في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٨م بمرض الهيضه (الكوليرا) فخلفه احد اتباعه الطبيب نور الدين ثم خلفه ابنه بشير الدين محمود احمد الذي توفي قبل سنتين . وتولى الخلافة هذه الايام الميرزا ناصر احمد بن بشير الدين محمود احمد. ولما تأسست باكستان بقي جماعة منهم في قاديان في الهند ، ولا يزالون فيها يحافظون على اموالهم ومقدساتهم ، وهجر الباقون بمن فيهم خليفتهم الراحل بشير الدين محمود احمد الى باكستان حيث أسسو مدينة خاصة بهم سموها ربوة تشبها بما جاء في قوله تعالى «وآوينا هما الى ربوة ذات قرار ومعين » وهذا هو المنطق القادياني المعروف . والمسلمون يسمونهم «قاديانيين » نسبة الى مدينة قاديان التي نشأت فيها هذه الحركة وترعرعت. وهم يسمون انفسهم «احمديين» نسبة الى مؤسس

---

(١) المكتوبات الأحمدية ج ٥ رقم ٢ تأليف يعقوب على العرفانى القادياني

(٢) المكتوبات الأحمدية ج ٥ رقم ٣ ص ٢١

الحركة غلام احمد المتنبي الكذاب . وذلك تضليلا للناس وذرا للرماد في عيونهم . واتباع هذه الحركة منقسمون الى فرقتين : الأولى: القاديانية أو الاحمدية . والثانية : اللاهورية . والفرقة الاولى تعتقد في الميرزا غلام احمد نبيا مرسلا من الله تعالى ومسيحا موعودا . والفرقة الثانية تعتبره مجدد القرن الرابع عشر الهجري . والمسيح الموعود. وكل منهما يسمي فرقته بالاحمدية . والمسلمون لا يفرقون بين هاتين الفرقتين . فهما في نظرهم سواء . « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو ابناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم » الى آخر الآية .

المراحل التدريجية لدعاويه الكاذبة

ونلقي فيما يلي الاضواء على المراحل التي قطعتها الحركة القاديانية وما قام به الميرزا غلام احمد من مختلف الادعاءات ومدى تاثير هذه الادعاءات في اذهان اتباعه واعمالهم .

ان الميرزا غلام احمد ظهر في سنة ۱۸۸۰ م كأحد الدعاة الى الاسلام والمناظرين لخصومه من غير المسلمين . وسنعرض في هذا البيان مختلف مراحل حياته منذ سنة ۱۸۸۰م الى يوم وفاته (۲٦-٥-۱۹۰۸م) ونرتبها ترتيبا تاريخيا ثم نذكر ما اعلن في هذه المراحل من مختلف العقائد والافكار لنتبين ما كان عليه من العقائد والافكار المتعددة المتضاربة المختلفة بين مرحلة واخرى .

الترتيب التاريخي :

۱ ـ سنة ۱۸۸۰ ـ ۱۸۸۸م : ما كان الميرزا في هذه المرحلة الا مناظرا عاديا يدعو الى الاسلام ويدافع عنه ازاء من يطعن فيه ويشن عليه الغارات من غير المسلمين ، وكان حريصا

اشد الحرص على أن يوضح أن كل عقيدة من عقائده موافقة لعقائد سائر المسلمين ، وكان المسلمون يتوجسون خلال كتاباته ضروبا من الادعاءات المبطنة ويحسبون لها حسابا ، لأن الميرزا كان يقول عن نفسه إنه افضل اولياء الامة [1] ولكنه كان يعود فيطمئنهم ويلطف غضبهم في كل مرة ويحاول تأويل أقواله لأقناعهم بصحة عقائده .

٢ ـ وفي شهر ديسمبر سنة ١٨٨٨م نادى في المسلمين ودعاهم الى مبايعته وبدأ منذ اوائل سنة ١٨٨٩م يأخذ منهم البيعة . كان يدعي حينذاك كونه «مجدد العصر» و «مأمورا من الله». ويظهر للناس مماثلته للمسيح زعما منه انه لا يقوم بمهمة الدعوى والارشادالا بمثل ما كان عليه المسيح من التواضع والدعة والمسكنة .

٣ ـ وفي سنة ١٨٩١م اعلن ان المسيح قد مات وادعى انه هو المسيح الموعود والمهدى المعهود ، مما اقلق عامة المسلمين واقامهم واقعدهم [2] .وفي بدء هذه المرحلة يكتب الميرزا نفسه «ثم بقيت الى اثنتي عشرة سنة — وهي مدة مديدة — غافلا كل الغفلة عن ان الله تعالى قد خاطبني بالمسيح الموعود بكل اصرار وشدة في البراهين (البراهين الاحمدية) وما زلت على عقيدة نزول عيسى

---

(١) سيرة المهدى للميرزا بشير الدين احمد ابن الميرزا غلام احمد : الجزء الأول ص ١٤ و ٣١ و ٨٩ – وايضا تبليغ الرسالة : الجزء الاول ، ص ١١ و١٣ و ١٥

(٢) سيرة المهدي بشير الدين أحمد ص ٣١ و ٨٩

العامة . ولكن لما انقضت اثنتا عشرة سنة ، آن ان تنكشف على العقيدة الثابتة . فتواتر عليّ الالهام انك انت المسيح الموعود [1] .

٤ — وفي سنة ١٩٠٠م بدأ الخواص من اتْباع الميرزا يلقبونه بالنبى صراحة وينزلونه المنزلة السامية التي قد خصها القرآن بالانبياء .اما الميرزا، فكان يصدقهم تارة ويحاول اخرى اقناع الذين كانوا مترددين في الايمان بنبوته . بتأويل نبوته بكلمات «النبي الناقص» أو «النبي الجزئي »أو «النبي المحدّث» مثلا . وفي هذا الدور خطب احد اتباع الميرزا —وهو المولوي عبد الكريم — خطبة الجمعة في ٧-٨-١٩٠٠م قال فيها «واعلموا انكم ان لم تحكموا المسيح الموعود في كل ما يشجر بينكم وتؤمنوا به كما آمن الصحابة بالنبى الكريم (صلى الله عليه وسلم)، كنتم الى حد كبير من المفرقين بين رسل الله كغير الاحمديين . » وبعد صلاة الجمعة صدقه الميرزا وايده قائلا نعم ! ان مذهبي هو عين ما قد بينته في خطبتك [2]. ولكن لم يتجاوز الميرزا حد التأييد والمصادقة للقائلين بنبوته بل كان يتجنب دعوى النبوة بصراحة في هذا الدور . وكانت عقيدته في تلك الايام — على حسب ما بينه ابنه وخليفته الميرزا بشير الدين محمود احمد ان له فضلا جزئيا على المسيح ، واذا قيل انه نبى ، فانما هي نبوة جزئية أو نبوة غير كاملة .

---

(١) الاعجاز الأحمدي : ملحق نزول المسيح ص ٧ ونفس التصريح ورد في كتابه : حقيقة الوحي ص ١٤٩ .

٥ — وفي سنة ١٩٠١م اعلن الميرزا بوجه سافر انه النبي والرسول ولم يعد في اكثر كتاباته يقيد نبوته ورسالته بكلمات النقص أو « الجزئية » أو المحدثية [١] ويصرح جلال الدين شمس — احد القاديانيين — عن هذا في كتابه « مآل منكري النبوة » بان السيد الاقدس — اى الميرزا — قد انكر في بعض كتاباته قبل سنة ١٩٠١ نبوته وقال لست نبيا ولكني محدّث ، ولكنه لم يقل في كتاباته بعد سنة ١٩٠١م ان نبوته هذه نبوة ناقصة أو نبوة محدث ، بل ما زال يصرح بكونه النبي بكلمات واضحة [٢] . وفي هذا يقول الميرزا بشير الدين محمود احمد « انه — اى الميرزا — غير عقيدته في سنة ١٩٠١م وكانت سنة ١٩٠١م فترة انتقال من العقيدة الاولى الى العقيدة الثانية ... فقد ثبت ان المصادر التي انكر فيها نبوته قبل ١٩٠١م ، صارت منسوخة ، فلا يصح ان يحتج بها احد الآن » [٣] .

٦ — وفي سنة ١٩٠٤م اضاف الميرزا دعوى جديدة الى دعاويه السابقة وهى انه كرشن [٤] .

---

(١) سيرة المهدي ج ١ ص ٣١ — (٢) مآل منكري النبوة ص ١٩

(٣) حقيقة النبوة (اردو) لميرزا محمود أحمد ص ١٢١

(٤) محاضرة الميرزا في سيالكوت (اردو) في ٢ — ١١ — ١٩٠٤ ص ٣٤ . وهم يعتقدون فيه ما يعتقد المسلمون في الله عز وجل . وكرشن هذا معبود من معبودي الهنادك .

وسنعرض فيما يلي من المسائل التي كانت مثار الجدل والنزاع بين المسلمين والقاديانيين ، مستندين الى ما ادلى به الميرزا من بيانات في هذه المراحل وما كان لجماعته فيها من رأي :

ختم النبوة :

العقيدة الابتدائية : ما كانت عقيدة الميرزا في مسألة ختم النبوة في بدء الامر الا نفس العقيدة التي عليها جمهور المسلمين اي ان النبوة قد انقطعت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يأتي بعده اي نبي الى يوم القيامة . وقد صرح بذلك في كتبه العديدة كما قال :

١ — « الا تعرف ان الرب الرحيم ذا الفضل قد سمى نبينا بخاتم النبيين بدون استثناء وقد فسره نبينا لاهل السؤال بقوله : « ولا نبي بعدي » بكل وضوح ، فان جوزنا ظهور نبي آخر بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقد جوزنا انفتاح باب النبوة بعد انغلاقه وهو غير صحيح ، كما هو ظاهر على المسلمين . وكيف يأتي نبي بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وقد انقطع الوحي بعد وفاته وختم الله الانبياء على نبوته (١)

٢ — « كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال مرة بعد مرة ان لا نبي بعدى . وكان هذا الحديث اى « لا نبي بعدى » من القوة والصحة حيث لا مجال لاحد ان يرتاب فيه . وكذلك كان

---

(١) حمامة البشرى للميرزا غلام أحمد ص ٣٤ .

القرآن ــ الذى كل لفظة منه قاطعة ــ يصدق قوله «ولكن رسول الله وخاتم النبيين» ومعنى ذلك ان النبوة قد انقطعت بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم [1].

٢ ــ «لا يجوز ان يأتي احد بعد نبينا من حيث هو نبي مرسل من الله» [2].

٣ ــ «لا يجوز القرآن ان يأتي رسول بعد خاتم النبيين، جديدا كان أو قديما» [3].

٥ ــ «من سوء الادب ومنتهى الوقاحة والجسارة غير المحمودة ان يترك احد نصوص القرآن الواضحة ويتبع الافكار الركيكة ويعتقد باتيان نبي جديد بعد خاتم النبيين» [4]

٦ ــ «واني قائل بجميع الامور الداخلة في العقائد الاسلامية واعتقد كأحد اهل السنة بكل الأمور التي هي مسلمة الثبوت من القرآن والسنة، واقول ان كل من يدعى النبوة والرسالة بعد سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم هو كذاب وكافر [5]

٧ ــ «والآن انا اقر اقرارا واضحا امام المسلمين في بيت الله

(١) كتاب البرية للميرزا غلام أحمد ص ١٨٤ .
(٢) ازالة الأوهام للميرزا غلام أحمد ص ٥٧٧
(٣) إزالة الأوهام ص ٦٧١
(٤) أيام الصلح للميرزا غلام أحمد ص ١٤٦ .
(٥) نشرة من الميرزا غلام أحمد صادرة في ٢ ــ ١٠ ــ ١٨٩١ وهي مندرجة في تبليغ الرسالة ج ٢ ص ٢

هذا – جامع دهلي – بأني من القائلين بختم نبوة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وانه لا دين لمن ينكر ختم النبوة وأنه خارج من دائرة الاسلام »[1]

تأويل الدعاوى الابتدائية :

ما زال الميرزا يسكن ثورة المسلمين ويلطف سخطهم في بدء الامر ويقنعهم بانه على عقيدة صحيحة بتأويل اقواله وكتاباته التي اشتم منها المسلمون انه قد قام بادّعاء النبوة . وفيما يلي نذكر مختلف تأويلاته التي برر بها اقواله :

١ : «نحن ايضا نلعن مدّعي النبوة ونقول بلا اله الا الله محمد رسول الله ، ونؤمن بختم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا نقول بوحي النبوة ، ولكن نقول بوحي الولاية الذي يتلقاه الاولياء في ظل النبوة المحمدية وباتباعه صلى الله عليه وسلم ... وبالجملة ليست هنا ايضا دعوى النبوة وانما عندنا دعوى الولاية والمجدّدية »[2]

٢ : «ليس هذا العاجز نبيا ولا رسولا وانما هو خادم ومتبع بسيط لنبيه المعصوم محمد صلى الله عليه وسلم »[3]

---

(١) بيان الميرزا في جامع دهلي في ٢٣ – ١٠ – ١٨٩١ وهو مندرج في كتابه «تبليغ الرسالة» ج ٢ ص ٤٤ .

(٢) نشرة من الميرزا غلام أحمد مندرجة في تبليغ الرسالة ج ٦ ص ٣٠٢

(٣) إرشاد الميرزا غلام أحمد المندرج في قمر الهدى لقمر الدين الجهلمي القادياني ص ٥٨ .

٣ : «لاشك ان الالهام الذي قد انزله الله على هذا العبد قد استعملت فيه بكثرة كلماتُ النبي والرسول والمرسل بالنسبة لهذا العاجز ، فليست هي بمحمولة على معانيها الاصلية ...
ونحن من القائلين والمعترفين بانه لا يجوز ان يأتي نبي جديد أو قديم بعد محمد صلى الله عليه وسلم بمفهوم من مفاهيم النبوة الحقيقية . والقرآن مانع من ظهور مثل هؤلاء الانبياء، ولكن الله اذا شاء خاطب احدا بكلمة النبي أو الرسول بمقتضى المعاني المجازية »(١)

٣ : «وانه وان كان ألهم هذا العاجز بالتواتر خلال العشرين سنة الماضية وقد وردت في هذا الالهام كلمات الرسول أو النبي ، ولكن يخطئ من يظن ان المراد بهذه النبوة والرسالة النبوة والرسالة الحقيقيتان ... وبما ان مثل هذه الكلمات التي لم تستعمل الا على سبيل الاستعارة ، قد توجب الفتنة في الاسلام وتفضي بالناس الى النتائج السيئة ، فلاينبغي ان تأتي هذه الكلمات – الرسول والنبي – على لسان رجال الجماعة ومحاوراتهم العادية »(٢)

٥ : « لست نبيا ولكني محدّث من عند الله وكليمه »(٣)

---

(١) السراج المنير للميرزا غلام أحمد ص ٣٠٢ .

(٢) رسالة للميرزا غلام أحمد مندرجة في جريدة الحكم الصادرة (بالقاديان) في ١٧ – ٨ – ١٨٩٩ م .

(٣) مرآة كمالات الاسلام للميرزا غلام أحمد ص ٣٨٣ .

٦ : «واني ما ادعيت بالنبوة قط ولاقلت لهم اني نبي، ولكنهم استعجلوا واخطأوا في فهم قولي... واني ما قلت للناس سوى ما كتبت في كتبي أى اني محدث وان الله يكلمني كما يكلم المحدثين» [١]

٧ : «المحدّث من المرسلين احد افراد الامة ونبي بصفة ناقصة» [٢]

٨ : «المحدث ايضا نبي ببعض معانيه، وان لم تكن له النبوة التامة ولكنه نبي بصفة جزئية لانه مشرف بكلام الله وهو يطلع على الامور الغيبية ويحفظ وحيه ايضا كوحي الانبياء من تدخّل الشيطان» [٣]

٩ : «ان هذا العاجز ما ادعى النبوة أو الرسالة الحقيقية قط في حياته، ولا يستلزم الكفر ان يستعمل المرء كلمة على وجه غير حقيقي ويستعملها في كلامه مع الناس على معناها الشامل من جهة اللغة، ولكني لا احب هذا ولا ذاك لانه قد يبعث الريب في قلوب عامة المسلمين» [٤]

---

(١) حمامة البشرى للميرزا غلام أحمد ص ٩٦ (قد ذكرنا من قبل أن عبارات هذا الكتاب مترجمة من ترجمتها الأردية وأصل الكتاب بالعربية نفسها).

(٢) إزالة الأوهام للميرزا غلام أحمد ص ٥٦٩

(٣) توضيح المرام للميرزا غلام أحمد ص ١٨

(٤) مصير آخم للميرزا غلام أحمد ص ٢٧

١٠ «فاذن ليس هذا الا نزاعا لفظيا اى ان الذي تسمونه المكالمة والمخاطبة، اسميه انا النبوة اذا كثر. وذلك بموجب الامر الالهي. ولكل ان يصطلح »[١]

١١ : « اني التمس من جميع المسلمين ان الكلمات التي قد وردت في كتب هذا العاجز «كفتح الإسلام» «وتوضيع المرام» و« ازالة الاوهام » مثل ان المحدث نبي ببعض معانيه » أو «ان المحدثية نبوة جزئية أو « المحدثية نبوة ناقصة» فليست كل هذه الكلمات بمحمولة على معانيها الاصلية بل انما استعملت بسذاجة على وجوهها اللغوية . والا فاني لا ادعي النبوة الحقيقية ابداً ... اريد ان اوضح لاخواني المسلمين جميعا انهم ان كانوا ساخطين علي لاجل هذه الكلمات وهي تشق على قلوبهم . فليتصوروها مغيرة وليفهموها من عندي في معنى كلمة المحدث . فاني لست ارضى بحال من الاحوال ان القي في المسلمين الشقاق والنفاق ... ثم ان يفهموا كلمة المحدث مكان النبي في كل موضع وليتصوروها — اى كلمة النبي — منسوخة »[٢]

الدعاوى المختلفة للنبوة :

ثم ان الميرزا ادعى النبوة . وما كانت هذه الدعوى صورة

---

(١) تكملة حقيقة الوحي للميرزا ... ص ٦٨

(٢) بيان خطي للميرزا غلام أحمد القادياني في ٣ - ٢ - ١٨٩٢ وهو مندرج في تبليغ الرسالة ج ٢ ص ٩٥ .

واحدة بعينها ولكن كانت تختلف باختلاف الظروف والاحوال :

١ – النبي الامّي : «ثم نزل عليّ وحي الله كالمطر فيما بعد ولم يدعني اقوم على هذه العقيدة (اي العقيدة التي اشير اليها سابقا) وخاطبني بالنبي مخاطبة صريحة ولكني نبي من جهة وامّيّ (من افراد الامة) من جهة اخرى » (١)

٢ – النبي غير حامل الشريعة : «وقد انقطعت الان النبوّات كلها الا النبوة المحمدية ، فلا ياتي نبي ذو شريعة ولا يمكن ان يكون احد نبيا بدون شريعة ، الا من هو من الامة نفسها من ذي قبل ، فبناء على هذا انا فرد من الامة المحمدية ونبي ايضا (٢)

٣ – حامل الشريعة : « نعم ! لكم ان تعرفوا ما هي الشريعة . كل من بين للناس اوامر ونواهي بوحيه وسن لأمته قانونا ، هو صاحب الشريعة ... والذي يوحي الي فيه الاوامر والنواهي كذلك ... وان قلتم ان المراد بالشريعة الشرعية التي فيها احكام جديدة ، فهو باطل . قال الله تعالى «ان هذا لفي الصحف الاولى ، صحف ابراهيم وموسى» اي ان التعليم القرآني موجود في التوراة ايضا » (٣)

٤ – النبي الظلي والمتجسد :« فكما ان النبوّات الحقيقية

---

(١) حقيقة الوحي للميرزا غلام أحمد ص ١٤٩ .

(٢) التجليات الالهية للميرزا غلام أحمد ص ٢٤

(٣) الأربعين رقم ٤ للميرزا غلام أحمد ص ٧ و ٨٣

والمستقلة هي من اقسام النبوة ، كذلك النبوة الظلية والتجسدية من اقسام النبوة ... ان كون المسيح الموعود نبيا ظليا لا يسلب المسيح الموعود النبوة ، وانما يظهر نوعية نبوته ... والنبي الظلي يتمتع بكل ما يتمتع به الانبياء الحقيقيون والمستقلون من الحقوق ، لانه ليس هناك اى فرق في نفس النبوة »[1]

٥ ــ تجسد محمد صلى الله عليه وسلم : «وانا بموجب الآية « وآخرين منهم لما يلحقو بهم » خاتم النبيين نفسه على وجه التجسد ، والله تعالى قد سماني بمحمد واحمد في البراهين الاحمدية قبل عشرين سنة وما جعلني الا جسد محمد صلى الله عليه وسلم نفسه »[2] .

٦ــ مجموع الانبياء جميعا : ما مضى في الدنيا نبي الا وقد اوتيت اسمه . كما ان الله تعالى قد قال في البراهين الاحمدية : انا آدم : وانا نوح . وانا ابراهيم . وانا اسحاق ، وانا يعقوب ، وانا اسماعيل ، وانا موسى ، وانا داود . وانا عيسى ، وانا محمد ، صلى الله عليه وسلم على وجه التجسد[3]

٧ ــ ختم النبوة بنبوة الميرزا : «والله تعالى قد خصني لانال في هذه الامة اسم النبي ولا يستحق ان ينال هذا الاسم احد غيري »[4]

---

(١) كلمة الفصل ص ١١٨ .
(٢) إزالة الخطأ للميرزا غلام أحمد .
(٣) تكملة حقيقة الوحي للميرزا غلام أحمد ص ٨٤
(٤) حقيقة الوحي للميرزا غلام أحمد ص ٣٩١

«لا يمكن ان يظهر في الامة المحمدية اكثر من نبي واحد، فقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه لا يظهر في امته الا نبي واحد فقط وهو المسيح الموعود وما سمى غيره نبي الله اصلا وما اخبر بظهور نبي آخر بل قد نفى غيره بقوله «لا نبي بعدي» وقال بوضوح تام انه لا يأتي نبي أو رسول بعدي الا المسيح الموعود »[1].

التأويلات المختلفة لختم النبوة :

ولكي تساير هذه الادعاءات المختلفة عقيدة عامة المسلمين في باب ختم النبوة ، جاء الميرزا ورجال جماعته بتأويلات مختلفة لختم النبوة نذكر بعضها فيما يلي :

التأويل الأول : «فان كان الله كرّم احدا من هذه لامة وسماه بالنبي اذا نال درجة الوحي والالهام والنبوة بمجرد اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، فان خاتم النبوة اي طابعها لا ينقض بذلك لانه لا يزال من افراد الامة الاسلامية . ولكن مما ينافي ختم النبوة ان يأتي نبي من غير الامة الاسلامية»[2]

«وان محمداً (صلى الله عليه وسلم) خاتم الانبياء بمفهوم انه قد تمت عليه كمالات النبوة وانه لا يأتي بعده رسول ذو شريعة جديدة ولا نبي من غير امته »[3].

---

(١) تشحيذ الأذهان ج ٩ رقم ٣ ص ٣٠ - ٣٢
(٢) العين المسيحية للميرزا غلام أحمد ص ٤١
(٣) عين المعرفة للميرزا غلام أحمد الملحق ص ٩

التأويل الثاني : «قد جعل الله جل شأنه محمدا صلى الله عليه وسلم صاحب الخاتم اى اعطاه الخاتم لافاضة الكمال وذلك مالم يؤته احد غيره ولذلك سمي بخاتم النبيين اي ان اطاعته تمنح كمالات النبوة وان التفاته الروحي يصنع الانبياء »[١].

«قال المسيح الموعود عليه السلام في خاتم النبيين ان المراد به انه لا يمكن ان تصدق الآن نبوة ايّ نبي من الانبياء الا بخاتمه (صلى الله عليه وسلم) ، وكما ان كل قرطاس لا يكون مصداقا مستندا الا حين يطبع عليه بالخاتم ، فكذلك كل نبوة لاتكون مطبوعة بخاتمه وتصديقه (صلى الله عليه وسلم) تكون غير صحيحة »[٢].

التأويل الثالث : «ومن حكمة الله تعالى ولطفه بالأمة المحمدية ان رفع عنها هذه الكلمة — النبوة — ثلاثة عشر قرنا بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك لتتم عظم نبوته ثم لما كانت عظمة الاسلام تقتضي ان يكون في الامة افراد تطلق عليهم كلمة النبى بعده صلى الله عليه وسلم لتتم المشابهة بالسلسلة القديمة — اى سلسلة الانبياء الموسويين — اجريت على لسانه — صلى الله عليه وسلم — كلمة «النبي» للمسيح الموعود في آخر الزمان »[٣].

---

(١) حقيقة الوحي للميرزا غلام أحمد ص ٩٦

(٢) الملفوظات الأحمدية لمحمد منظور الهي القادياني ج ٥ ص ٢٩٠ .

(٣) إرشاد الميرزا غلام أحمد . المندرج في عدد جريدة الحكم الصادر في ١٧ — ٤ — ١٩٠٣.

التأويل الرابع : «انا محمد صلى الله عليه وسلم بصفة ظلية . فلأجل هذا ما انفض هذا الخاتم – خاتم النبيين – لان نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بقيت على حالها منحصرة في محمد وحده ، اي ان محمدا وحده هو النبي الى الآن . واذا كنت انا محمدا بصفة تجسدية وقد انعكست في مرآة ظليتي الكمالات المحمدية مع النبوة المحمدية بصفة تجسدية ، فاي رجل غيره يكون قد ادعى النبوة بصفة مستقلة ؟ »[1].

موقفه في شأن نزول الوحي عليه :

وكذلك مازال موقف الميرزا بشأن الوحي ونزول جبريل عرضة للتغير والتقلب . وها نحن نذكر تفصيله في ما يأتي :

الوحي :

الموقف الابتدائي : « فان جوزنا ظهور نبي آخر بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقد جوزنا انفتاح باب النبوة بعد انغلاقه وهو غير صحيح كما هو ظاهر للمسلمين ، وكيف يأتي نبي بعد نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقد انقطع الوحي بعد وفاته وختم الله الانبياء على نبوته »[2] .

« والظاهر انه وان افترض نزول الوحي مرة ، اي افترض انه ما جاء جبريل باكثر من فقرة ثم سكت بعدها ، فان ذلك مما ينافي ختم النبوة ، لانه اذا انفض طابع الختمية وبدأ وحي

(١) إزالة الخطأ للميرزا غلام أحمد

(٢) حمامة البشرى للميرزا غلام أحمد ص ٣٤

الرسالة ينزل ، فان نزول الوحي – قليلا أو كثيرا – سواء لا فرق بينهما ... وقد منع جبريل الآن اى بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل بالوحي على احد ابدا »[1].

«لا يجوّز القرآن ان يأتي نبي جديد أو قديم بعد خاتم النبيين ، فان الرسول لا يتلقى علم الدين الا بواسطة جبريل وان باب نزول جبريل بسلسلة وحي الرسالة مقفل ومن الممتنع ان يأتي الرسول بدون أن تكون سلسلة وحي الرسالة باقية »[2].

«ومن حقيقة الرسول وماهيته ان يتلقى العلوم الدينية بواسطة جبريل وقد ثبت الان ان وحي الرسالة منقطع الى يوم القيامة »[3].

«من سوء الادب والوقاحة والجسارة غير المحمودة ان يترك احد نصوص القرآن الصريحة ويتبع الافكار الركيكة ويعتقد انه سيأتي نبى بعد خاتم النبيين وان يبدأ سلسلة وحي النبوة بعد انقطاع وحي النبوة ، فان الذي فيه شأن النبوة كان وحيه من غير شك وحي النبوة[4].

الموقف الثاني : «نحن ايضا نلعن مدعى النبوة ونقول بلا اله الا الله محمد رسول الله ونؤمن بختم نبوة محمد صلى الله

(١) إزالة الأوهام للميرزا غلام أحمد ص ٥٧٧
(٢) المصدر نفسه ص ٧٦١
(٣) المصدر نفسه ص ٦١٤
(٤) أيام الصلح للميرزا غلام أحمد ص ١٤٦

عليه وسلم ولا نقول بوحي النبوة ولكن نقول بوحي الولاية الذي يتلقاه الاولياء تحت ظل النبوة المحمدية وباتباعه صلى الله عليه وسلم » [1].

« أومن الضروري ان يكون كل مدع للالهام نبيا ؟ [2].

« لست نبيا ولكن محدّث من الله وكليمه » [3].

الموقف الثالث : «من العقيدة الباطلة الواهية ان يظن احد ان باب الوحي قد انغلق الى ابد الاباد بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولا رجاء فيه — اى في انفتاح هذا الباب — في المستقبل الى يوم القيامة . كأنكم امرتم ان لاتعبدوا الاالقصص والاساطير فهل من الممكن ان يكون الدين الذي لا يعرف الله فيه معرفة مباشرة دينا » [4].

« والذي اذا اسمع من وحي الله . والله هو منزّه عن الخطأ، وأنا أعرف أنه منزه عن الخطأ كالقرآن . والله هـذا هو ايماني . والله ان هذا لهو كلام الله وهو من لسان الله الوحيد الطاهر » [5].

---

(١) تبليغ الرسالة للميرزا غلام أحمد ج ٦ ص ٣٠٢ -

(٢) الحرب المقدسة للميرزا ص ٦٧

(٣) مرآة كمالات الاسلام للميرزا غلام أحمد ص ٣٨٣

(٤) تكملة البراهين الأحمدية ج ٥ ص ١٨٣ . والذي ينبغي ملاحظته بصفة خاصة أن الجزء الخامس من البراهين الأحمدية نشر سنة ١٩٠٨ أي سنة وفاة الميرزا غلام أحمد .

(٥) الدر الثمين للميرزا غلام أحمد ص ٢٨٢ ونزول المسيح للميرزا غلام أحمد ص ٩٩ .

«ولا يقل ايماني بما يوحى الي عن ايماني بالتوراة والانجيل والقرآن »[1].

«جاءني جبريل ، واصطفاني وادار اصبعه واشار ان ربك سيعصمك من الاعداء »[2].

مسألة المسيح ونزول المسيح :

وكذلك ما زال موقف الميرزا في باب المسيح ونزوله مرة اخرى واعتبار نفسه المسيح الموعود عرضة للتبديل والتغيير في مختلف المراحل . وفي ما يلي تفصيل ذلك :

الموقف الابتدائي : « ان دعوى هذا العاجز انه مثيل للمسيح — وقد ظن عنه بعض قليلي الفهم من الناس أنه المسيح الموعود —ليست هذه بدعوى جديدة لم يعهد بها الناس إلا لأول مرة من لساني واني ما ادعيت قط اني المسيح بن مريم . والذي يتهمني بهذا ، فانه المفتري الكذاب . بل الذي قد نشر من جانبي منذ سبعة أو ثمانية اعوام هو اني مثيل للمسيح »[3].

«من الممكن ومن الممكن حقا ان يأتي في زمن من الازمان مسيح تنطبق عليه بعض الفاظ الحديث الظاهرة »[4].

«قد اظهر على هذا العاجز ان هذا الفقير نموذج لحياة المسيح الاولى من جهة مسكنته وتواضعه وتوكله وآياته وانواره

(١) الأربعين رقم ٤ ص ٢٥ .
(٢) مواهب الرحمن للميرزا غلام أحمد ص ٤٣
(٣) إزالة الأوهام للميرزا غلام أحمد ص ١٩٠
(٤) المصدر نفسه ص ١٩٩

وان فطرة هذا العاجز فطرة المسيح تتشابهان في ما بينهما تشابها عظيما »[١].

« قد اخبر هذا الضعيف — يقصد نفسه — ايضا بانه مجدد زمانه وان كمالاته تشابه كمالات المسيح على الوجه الروحي »[٢].

« فان قيل انه من الضروري ان يكون مثيل المسيح ايضا نبيا لان المسيح كان نبيا ، فالجواب الاول عن هذا ان سيدنا ومولانا ما اشترط للمسيح القادم بالنبوة وكتب بكل وضوح انه سيكون رجلا مسلما متبعا للشريعة الفرقانية شأن عامة المسلمين ولا يظهر شيئا اكثر من هذا »[٣].

الموقف الثاني : « وهذا هو عيسى المرتقب . وليس المراد بمريم وعيسى في العبارات الالهامية الا انا . وبالنسبة الي قيل انا سنؤتيه امارة من الامارات وقيل ايضا (في شأني) انه هو عيسى بن مريم الذي كنتم تنتظرونه ، وان الذي يشك فيه الناس هو الحق وانه هو القادم ، وليس منشأ الشك الا الجهل وقلة الفهم »[٤].

« وهو قد سماني بمريم في الجزء الثالث من البراهين الاحمدية ثم نشأت في الصفة المريمية الى سنتين كما هو الظاهر من البراهين الاحمدية وما زلت انمو واتربى وراء الحجاب ثم ... نفخ في روح

---

(١) البراهين الأحمدية للميرزا غلام أحمد ص ٤٩٩
(٢) تبليغ الرسالة للميرزا غلام أحمد ج ١ ص ١٥
(٣) توضيح المرام أيضاً ص ١٩ .
(٤) سفينة نوح للميرزا غلام أحمد ص ٤٨

عيسى كمريم وحملت بعيسى على وجه الاستعارة . ثم بعد عدة اشهر - جعلت عيسى بعد ان كنت مريم بالهام جاءني في آخر الجزء الرابع من البراهين الاحمدية فهكذا اصبحت ابن مريم . والله ما اطلعني على هذا السر الخفي عند البراهين الاحمدية »[1].

« فاعلموا حقا ان هذا هو ابن مريم النازل ، فانه ما وجد في زمانه كعيسى بن مريم شيخا يكون له ابا روحيا ويسبب ولادته الروحية .ثم ان الله هو الذي قد تولاه واخذه في حضن تربيته وسمى عبده بابن مريم ...فهذا عيسى بن مريم على الوجه التمثيلي فانه قد ولد من غير اب . وهل تستطيعون ان تثبتوا انه منخرط في احدى سلاسلكم الاربعة ؟ فاذن من هو ان لم يكن ابن مريم ؟ »[2].

« وعليكم ان تعرفوا الآن ان لفظة »دمشق« الواردة في حديث مسلم اي ان ماجاء في صحيح مسلم من ان المسيح ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، فان هذه اللفظة ما زالت تحير الرجال المحققين منذ اول الامر ... فاعلموا انه قد

---

(١) إزالة الأوهام ص ٦٥٩

(٢) الحق أن لفظة « دمشق» الواردة في حديث صحيح مسلم ما حيرت أحداً من أهل العلم قبل الميرزا ، ولا يوجد أي أثر للحيرة في كلام أحد ممن قد تناولوا هذا الحديث بالشرح ، ولكن الميرزا المسكين أقلقه وأعياه حيلة يختارها ليكون المسيح الموعود على ما جاء في الحديث من الصراحة باسم مدينة « دمشق » لنزول عيسى بن مريم .

اطلعني الله على ما يراد من مدينة دمشق مدينة يسكنها رجال يزيديون في خلالهم متبعون ليزيد الخبيث في عاداته وافكاره والله قد اظهرلي ان مدينة قاديان هذه بما ان الساكنين فيها يزيديون في طباعهم ، تشابه دمشق وتماثلها مماثلة »[١].

والله الذي بعثني والذي من عمل الملعونين الافتراءعليه أنه جعلني المسيح الموعود وارسلني الى الدنيا »[٢].

الجماعة القاديانية أمة مستقلة :

وقد صرح الميرزا نفسه بالمبدأ القائل بان كل نبي يكوّن لنفسه امة مستقلة . وهو قد سمّى جماعته بالامة غير مرة في خطبه وكتبه . ونستشهد لذلك بالعبارات الآتية :

١ــ «ومن ادّعى النبوة ، فانه من دعواه أن يقر بوجود الله ويقول ان الوحي ينزل عليّ من الله تعالى ، وان يبلغ الناس ذلك الكلام الذي نزل عليه من الله تعالى ويكوّن امة تؤمن به نبيا مرسلا من الله وتقول ان كتابه كتاب الله »[٣].

٢ ــ نعم ! لكم ان تعرفوا ما هي الشريعة ، كل من بين للناس اوامر ونواهي بوحيه ، وسن لامته قانونا . هو صاحب

---

(١) على هامش إزالة الأوهام ص ٦٣ و ٧٣

(٢) تبليغ الرسالة ج ١١ ص ١٨

(٣) مرآة كمالات الاسلام للميرزا غلام أحمد ص ٣٤٤

الشريعة ... والذي يوحي الي فيه الامر والنهي »[1].

«اما المسيح السابق – اى المسيح ابن مريم – فلم يكن الا المسيح فقط ، فقد ضلت امته وانقطعت السلسلة الموسوية . ولو كنت انا مسيحيا فقط ، لما حدث لي ايضا الا هذا ، ولكنى بالاضافة الى كوني المسيح « مهدى ومتجسد » لمحمد (صلى الله عليه وسلم) ايضا ، فاذن تتفرق امتي الى فئتين : فئة تصطبغ بالصبغة المسيحية ، وسوف تهلك . وفئة تصطبغ بالصبغة المهدوية »[2].

نتائج عدم الإيمان بالميرزا غلام أحمد من الجهة العقائدية :

الموقف الابتدائي : «قد جاء هذا العاجز من الله تعالى محدثا لهذه الامة ، والمحدث هو النبى باحد معانيه ، وان لم تكن له النبوة التامة ، غير انه نبى بصفة جزئية .. ويكون من الواجب عليه كالانبياء ان ينادي في الناس ويطلعهم على نفسه بصوت عال . ومن يكفر به يستوجب العقاب الى حد ما »[3].

«مما اذهب اليه منذ اول امري ان الانسان لا يكون كافرا أو دجالا لاجل انكاره لدعواي ، ويكون ضالا منحرفا عن جادة الصواب . ولا اقول انه عديم الايمان .(وقال في الهامش) : وينبغي ان لا يغيب عن البال في هذا الصدد انه من اختصاص

---

(١) الأربعين رقم ٤ ص ٧ و ٧٢

(٢) إرشاد الميرزا غلام أحمد المندرج في جريدة الفضل في ٢٦ – ١ – ١٩١٦م

(٣) توضيح المرام للميرزا غلام أحمد ص ١٨

الانبياء الذين يأتون بالشريعة والاحكام الجديدة وحدهم ان يكفروا المنكرين لدعواهم . اما المحدثون والملهمون بعد صاحب الشريعة . فلا يصبح المرء كافرا اذا لم يؤمن بهم ولو بأي مكانة رفيعة كانوا يتمتعون في الجناب الالهى »[1].

«وكل مسلم قد بلغته دعوتي ، وان كان مسلما ولكنه لا يحكمني ولا يؤمن بي مسيحاً موعوداً، ولا يعتقد ان وحيي هو من عند الله فهو يستوجب المؤاخذة في السماء »[2].

« كل رجل لا يؤمن بالمسيح الموعود أولا يحس بالحاجة الى الايمان به ، فانه جاهل محض بحقيقة الاسلام وغاية النبوة وغرض الرسالة . ولا يمكن ان يكون مسلما صادقا متبعا حقا لله ورسوله ... والله قد سمى الذين لا يؤمنون به وينحرفون عنه بالفساق »[3].

الموقف الاخير : «وكل رجل لا يتبعك ولا يدخل في بيعتك ويبقى مخالفا لك ، هو عاص لله والرسول وهو من اصحاب النار »[4].

«ولما اتضح الآن انه لا نجاة بدون الايمان بالمسيح الموعود،

---

(١) ترياق القلوب ص ١٣٠

(٢) تحفة الندوة للميرزا غلام أحمد ص ٤

(٣) حجة الله : محاضرة للميرزا ألقاها في لاهور . منقولة من كتاب « النبوة في الاسلام » لمحمد علي اللاهوري ص ٢١٤

(٤) نشرة معيار الإسلام للميرزا غلام أحمد ،في ٢٥ — ٥ — ١٩٠٠ منقولة من كلمة الفصل للبشير أحمد القادياني ص ١٢٩

فلماذا تبذل المحاولات في اثبات الاسلام لغير الاحمدية[1] ؟

«والمسيح الموعود كلما خاطب غير الاحمديين بكلمة المسلمين . فانه لا معنى لقوله الا انهم يدعون اعتناق الاسلام ، والا فما كان يعتقد انهم مسلمون وذلك بموجب الامر الالهي » [2].

« (بعد الاستشهاد بعبارة للميرزا غلام احمد يقول صاحب كلمة الفصل) : «وان هذه العبارة للمسيح الموعود قد حلت لنا امورا عديدة . الاول: ان الله اخبر المسيح الموعود بواسطة الالهام ان من لا يؤمن بك ليس بمسلم بل انه لم يخبره بذلك فحسب بل امره ان لا تعتقد ان من لا يؤمن بك هو مسلم . والثاني : ان المسيح الموعود ما اخرج عبد الحكيم من الجماعه الا لانه كان يرى غير الاحمديين مسلمين . والثالث : ان العقيدة بان غير الاحمديين مسلمون عقيدة فاسدة . والرابع : ان من يعتقد هذا ، قد سد في وجهه باب الرحمة الالهية » [3].

« الكفر على نوعين : كفر ان ينكر المرء الاسلام بتاتا ولا يؤمن برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . وكفر ان لا يؤمن بالمسيح الموعود ويكذبه على رغم تمام الحجة عليه .

ويظهر بالتأمل في الامر ان هذين النوعين من الكفر داخلان

---

(١) كلمة لمفصل ص ١٢٩
(٢) كلمة الفصل ص ١٢٦
(٣) كلمة الفصل ص ١٢٥

في نوع واحد بعينه »[1].

«ان جميع المسلمين الذين لم يشتركوا في مبايعة المسيح الموعود كافرون خارجون من دائرة الاسلام ، ولو كانوا لم يسمعوا بالمسيح الموعود »[2].

« كل رجل يؤمن بموسى ولا يؤمن بعيسى ، أو يؤمن بعيسى ولا يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وسلم) أو يؤمن بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ولا يؤمن بالمسيح الموعود ، فما هو بكافر فحسب ، بل هو غارق في الكفر وخارج عن دائرة الاسلام »[3].

«ان اللهقد انزل محمدا (صلى الله عليه وسلم) مرة اخرى في قاديان لينجز وعده »[4].

«فالمسيح الموعود هو محمد رسول الله وقد جاء الى الدنيا مرة اخرى لنشر الاسلام »[5].

«وها قد وضع الامر الآن . اذا كان انكار النبى الكريم

---

(١) حقيقة الوحي للميرزا غلام أحمد ص ١٢٩

(٢) مرآة الصدق للميرزا بشير الدين محمود أحمد ص ٢٥

(٣) كلمة الفصل ص ١١٠

(٤) كلمة الفصل ص ١٠٥

(٥) المصدر نفسه ص ١٥٨

كفرا ، فانه ينبغي ان يكون انكار المسيح الموعود كفرا ايضا ، فان المسيح الموعود ليس بشخص غير النبى الكريم ، بل انه هوا نفسه » [1].

« والذي يظهر انه ليس من هؤلاء ولا هؤلاء ، فانه ايضا من المكذبين لنا في حقيقة الامر . والذي لا يصدقنا ، ويقول انه يرى فينا خيرا ، فهو ايضا من المخالفين لنا » [2].

نتائج عدم الإيمان بالميرزا من الجهة العملية :

« ثم ان المسيح الموعود قد امر امرا واضحا انه لا ينبغي ان تبقى العلاقة بيننا وبين غير الاحمديين في امور افراحهم واتراحهم . واذا كان لا يحل لنا ان نشاركهم في مصائبهم ، فكيف يجوز لنا ان نصلي على موتاهم ؟ » [3].

يقول حضرة الميرزا عليه السلام ان لا بأس بالزواج من بنات غير الاحمديين لانه من الجائز الزواج من بنات اهل الكتاب [4].

« نعلن ليعرف الجميع انه لا يجوز للاحمديين ان ينكحو

---

(١) كلمة الفصل ص ١٤٧

(٢) مآل منكري الخلافة لجلال الدين الشمس القادياني ص ٨٢

(٣) جريدة الفضل ١٨ - ٢ - ١٩١٦

(٤) جريدة الفضل ١٦ - ١٢ - ١٩٢٠

بناتهم من غير الاحمديين وعليهم بأخذ الحيطة في هذا الباب في المستقبل [١].

«ان حضرة المسيح عليه السلام ما صلى على ولده (الميرزا فضل احمد المرحوم) لالشئ الا لانه كان من غير الاحمديين» [٢].

«واعلموا، كما اخبرني ربي، انه حرام عليكم بتاتا ان تصلوا خلف رجل مكفر او مكذب أو متردد، بل ينبغي ان لا يكون امامكم الا منكم» [٣].

«اعتقد ان الذين يصلون خلف غير الاحمديين لا تجوز الصلاة عليهم اذا ماتوا فانهم ليسوا بالاحمديين عندي. وكذلك ان الذين ينكحون بناتهم رجالا غير الاحمديين ويموتون قبل ان يتوبوا، لاتجوز الصلاة عليهم ايضا» [٤].

«لم يبح المسيح الموعود من معاملة غير الاحمديين الا بما عامل به النبى الكريم النصارى. فاى شئ قد بقى الآن نشاركهم فيه؟ ان العلاقة بين الناس علاقتين: علاقة دينية وعلاقة دنيوية

---

(١) إعلان مراقب الأمور العامة (بقاديان) المنقول من جريدة الفضل ١٤ - ٢ - ١٩٣٣.

(٢) جريدة الفضل ١٥ - ١٢ - ١٩٢١

(٣) الأربعين رقم ٣ للميرزا غلام أحمد ص ٣٤

(٤) رسالة الميرزا بشير الدين محمود أحمد المنشورة في عدد جريدة الفضل في ١٣ - ٤ - ١٩٢٦.

فاكبر وسيلة من وسائل العلاقة الدينية هي الاشتراك في العبادة ، واهم وسيلة من وسائل العلاقة الدنيوية هي التزاوج . وقد حرمت علينا كلتا هاتين الوسيلتين ، فان قلتم انه يجوز الزاوج من بناتهم ، قلت نعم ! يجوز ايضا ان نتزوج من بنات النصارى . فان قلتم لماذا يجوز السلام على غير الاحمديين ؟ قلت : قد ثبت من الحديث انه قد رد النبى صلى الله عليه وسلم حتى على اليهود سلامهم احيانا »[1].

(1) كلمة الفصل ص ١٦٩

الباب الثاني

كشف القناع عن وجه القاديانية ومخططاتها

* مواقف المسلمين وعلمائهم وقادتهم نحو القاديانية .
* المسألة القاديانية .
* البيانات التي أدلى بها المؤلف في محكمة التحقيق عن القاديانية ومزاعمها ومؤامراتها
* البيان الأول .
* البيان الثاني
* البيان الثالث .

مواقف المسلمين وعلمائهم وقادتهم نحو القاديانية

لقد فزع لهذه الفتنة القاديانية علماء الاسلام وقادة الفكر في الهند في حينها فحاربوها باقلامهم وألسنتهم وعلمهم واعتبروا المعتنقين لهذه النحلة خارجين عن دائرة الاسلام . وذلك أقصى ما كان يمكن في عهد الحكم الانكليزي . إلا أن زعماء الهندوس قد رحبوا بالفكرة القاديانية أحر الترحيب وحبذوها وصفقوا لها لأنها تفيض على الهند القداسة وتصرف وجه المسلمين عن دين محمد العربي صلى الله عليه وسلم وعن مكة المكرمة والمدينة المنورة الى المتنبي المحلي والى مركز «القاديان» الذي أضفى عليه المدعو غلام احمد واتباعه ثوب القداسة والاحترام . واليك بعض الأمثلة التي تؤكد ذلك : يقول أحد أتباع القاديانية : «ان الذي يزور قبة المسيح الموعود البيضاء في القاديان له نصيب من البركات التي تختص بقبة النبى الخضراء في المدينة. فما اشقى الرجل الذي يحرم نفسه من هذه البركات خلال الحج الاكبر الى -

قاديان[1] ويقول الخليفة الثاني للميرزا غلام أحمد : « الحج الى قاديان حج تمثيلي لحج بيت الله الحرام »[2] . ويقول احد اتباع القاديانية : «والحج الى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف خشيب ، لأن الحج اليوم إلى مكة لا يؤدي رسالته ولا يفي بغرضه[3] .

بل تقدموا خطوة أخرى وطبقوا على قاديان ما نزل من الآيات القرآنية في شأن بلد الله الحرام والمسجد الأقصى المبارك . يقول الميرزا غلام أحمد في تأويل قوله تعالى : « ومن دخله كان آمناً » إن هذه الآية تنعت المسجد الذي أسس في قاديان[4] . ويقول : « إن المراد بالمسجد الأقصى في قوله تعالى : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله » هو مسجد قاديان[5] ويقول الخليفة الثاني :

« أما إلهام حضرة المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام

---

(١) صحيفة الفضل القاديانية : العدد ١٨٤٨ الصادر في دسمبر ١٩٢٢ م

(٢) خطبة بشير الدين محمود أحمد الخليفة الثاني للميرزا غلام أحمد المنشور في جريدة الفضل العدد ٦٦ المجلد ٢٠

(٣) جريدة بيغام صلح ، العدد الصادر في ١٩ أبريل ١٩٣٣ م

(٤) البراهين الأحمدية للميرزا غلام أحمد ص ٥٥٨

(٥) نشرة الميرزا غلام أحمد الصادرة في مايو ١٩٠٠ م والمندرجة في كتاب تبليغ الرسالة ج ٩

بأننا نموت إما في مكة أو في المدينة فنقول : إن هذين الاسمين لقاديان »(١) .

هكذا حاول القاديانيون أن يجعلوا نحلتهم دينا له نبيه ومركزه واصحابه وخلفاؤه ومقدساته وتاريخه ، وشخصياته ، ويقطعون صلة اتباع القاديانية عن تراث الاسلامي الخالد وعن منابع الاسلام ومصادره وعن المقدسات الاسلامية وعن مركز الاسلام الروحي . وحتى انهم يطلقون على رجالهم لقب « رضي الله عنهم » وعلى زعيمهم « لقب عليه السلام » وعلى عائلته لقب « أم المؤمنين » ويروون عنه بإسناد كإسناد الصحاح وبهذا السبب نفسه انبرى زعماء الهندوس ، ومنهم البانديت جواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند الراحل ، يرحبون بالفكرة القاديانية ويدافعون عنها بدافع من النزعة الوطنية . وكذلك الانكليز باركوا هذه النحلة وشجعوها بل هم الذين غرسوها ورعوها لان الدعوة القاديانية تحتوي على عناصر تبث بذور الشقاق في صفوف المسلمين وتمزق شملهم وقد كانت اصلح اداة لتحقيق الاغراض الاستعمارية . وبرغم أن المسلمين ظلوا يعلنون بأن القاديانين غير مسلمين ومارقين من الاسلام فإن الانكليز لم يكترثوا لتصريحات المسلمين واصروا على اعتبار القاديانيين طائفة من الطوائف الاسلامية وكانوا يقصدون من وراء ذلك ايجاد فرقة في صفوف الامة الاسلامية تعادي المسلمين من حيث

---

(١) الخطاب السنوي لمحمود أحمد ابن الميرزا غلام أحمد المنشور في جريدة الفضل في ٥ يناير ١٩٣٣ .

فكرتها ودعوتها في جانب ، وفي الجانب الآخر يتوقف كيانها وبقاؤها على تأييد الحكم الانكليزي وتؤدي دورها في خدمة المصالح الانكليزية واستمر الاستعمار الانكليزي يربي النحلة القاديانية في حضنه ويغذيها بلبان فكره ودهائه حتى استفحل امرها وتفاقم خطبها لتدخلها في السياسة وقد أخذ الاستعمار بيدها مشجعا حتى تبوأت المناصب الرئيسية في الادارة المدنية وفي الجيش .

وقد طالب المسلمون مرارا وتكرارا في عهد الاحتلال الانكليزي بفصل القاديانيين عن المسلمين الا أن نداءاتهم عادت صرخة في الواد ونفخة في الرماد . وفي طليعة الذين ايدوا مطالبة المسلمين بفصل القاديانيين عن الامة الاسلامية المفكر الاسلامي المعروف الدكتور محمد إقبال رحمه الله انبرى هذا المسلم المؤمن للدفاع عن حظيرة الاسلام ، ورد كيد القاديانية في نحرها ، وتطهير الدين المتين — على حسب تعبيره نفسه — من ارجاسها وادناسها . فنشر تصريحات ومقالات عديدة في الصحف بين فيها موقف الاسلام من هذه النحلة المارقة وكشف عن عورات القاديانين ، واماط اللثام عن خدماتهم للاستعمار البريطاني وتمسكهم باذياله . يقول الدكتور رحمه الله في احدى تصريحاته :

«ان كل طائفة دينية في الامة الاسلامية يقوم كيانها على ادعاء نبوة جديدة وتعلن بكفر جميع المسلمين الذين لم يصدقوا بهذه النبوة المزعومة يجب ان ينظر اليها المسلمون كخطر جدى

على وحدة المجتمع الاسلامي لأن وحدته وتماسكه وتضامنه لا تقوم الا على دعامة عقيدة ختم النبوة » . [١]

وعلى الحكومة أن تدرس الوضع الراهن بجد وعناية . وتحاول فهم عواطف عامة المسلمين في هذه المسألة التي يعطونها كل الاهمية لأجل الحفاظ على وحدة الامة » [٢] .

«وخير سبيل لحكام الهند (وهم الانكليز في ذلك الوقت) هو ان يعتبروا القاديانيين امة منفصلة عن المسلمين ، وهذا الانفصال يلائم موقف القاديانيين انفسهم . ويمكن أن يتحملهم المسلمون بعد ذلك مثل تحملهم وجود الديانات الاخرى » [٣]

وقال الدكتور في رسالة وجهها الى كبرى صحف الهند حينذاك (Statesman) التي اثارت هذه المسألة :

«ان القاديانية مؤامرة مدروسة ترمي الى تأسيس طائفة جديدة تدعمها نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم . ولأجل ذلك ان القاديانين يتخذون موقف الانفصال الكامل من المسلمين في الشؤون الدينية والاجتماعية . [٤]

وقال «ان عقيدتنا بان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم

---

(١) الاسلام والأحمدية تأليف الدكتور محمد إقبال ص ٩٦

(٢) المصدر نفسه ص ١٠٠ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٠٠

(٤) جريدة Statesman العدد الصادر في ١٠ يونيو ١٩٣٥ م

النبيين هو الاساس الذي يرسم خط الانفصال بكل دقة بين الدين الاسلامي وبين الديانات الاخرى التي تشارك المسلمين في عقيدة التوحيد ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولكن تقول باستمرار الوحي والنبوة «كبرهموسماج» في الهند. وهذا الخط هو الذي يستطيع الانسان بموجبه الحكم على طائفة من الطوائف بكونها متصلة بالاسلام أو منفصلة عنه. ولا أعرف في التاريخ طائفة مسلمة تجرأت على تخطي هذا الخط. صحيح ان البهائية في ايران انكرت عقيدة ختم النبوة ولكنها اعلنت بصراحة انها طائفة مستقلة، وليست مسلمة حسب المصطلح الاسلامي اننا نعتقد ان الاسلام دين اوحى الله به. ولكن بقاء الاسلام كمجتمع أو امة يتوقف على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم. اذن فليس للقاديانية إلا أن تختار أحد الامرين: اما ان يتبعوا البهائية في انفصالها عن المسلمين، واما ان يتخلوا عن تفسيراتهم المصطنعة لعقيدة ختم النبوة في الاسلام. ان تفسيراتهم الماكرة لاتنم الا عن حرصهم على البقاء في محيط المجتمع الاسلامي ليستغلوا انتماءهم اليه في تحقيق مآربهم السياسية التي لا تتحصل الا باسم المسلمين».

«زد على ذلك تنكر القاديانيين لمبادئ الاسلام الاساسية واطلاق لقب قومي جديد (اى لقب احمدي) على انفسهم وعدم مشاركتهم في صلاة المسلمين خلف امامهم. ومقاطعتهم الاجتماعية للمسلمين في افراحهم واتراحهم واعظم من كل هذا وذاك اعلانهم بكفر سائر العالم الاسلامي — ان هذه

النواحي كلها تبرهن بصراحة متناهية أن القاديانين قوم منفصلون عن المسلمين كل الانفصال » .

وقال الدكتور رحمه الله ردا على كلمة الباند يت جواهر لال نهرو الزعيم الهندوسي الراحل ، الذي تساءل : لماذا يلح المسلمون على فصل القاديانية من الاسلام ، بينما هي طائفة من طوائف المسلمين المتنوعة ، فقال الدكتور رحمه الله :

« القاديانية تريد أن تنحت من امة النبى العربي صلى الله عليه وسلم امة جديدة تؤمن بالنبى الهند ي »وقال انها اشد خطرا على الحياة الاجتماعية الاسلامية في الهند من عقائد اسفنورا الفيلسوف اليهودي الثائر على نظام اليهود » .

ومن الجهود التي بذلها الدكتور محمد اقبال لقمع هذه الفتنة أنه طلب من المسلمين أن لا يُقبل احد من القاديانين عضوا في جمعية من الجمعيات الاسلامية . وبدأ في ذلك بجمعية « حماية الاسلام » في لاهور التي كان هو رئيسا لها ، فاستقال من رئاستها احتجاجا على انضمام القاديانين اليها ، وبقي متمسكا بموقفه ثلاثة اشهر ، حتى تطهرت الجمعية وفروعها وكلياتها ومدارسها من كل من كان ينتمي الى القاديانية .

وخلاصة القول إن للدكتور محمد إقبال جولات وصولات في قمع هذه الفتنة في مصدرها .

ولما بالغ القاديانيون، بايعاز من الاستعمار الإنكليزي ، في المساس بكرامة النبوة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

حدثت بين القاديانين وعامة المسلمين اشتباكات ومنازعات في جميع المجالات ، وثارت حفيظتهم وغيرتهم على الاسلام ونبيه العظيم صلى الله عليه وسلم ضد هؤلا المارقين من الاسلام فنشأت عن ذلك مشكلات اجتماعية مختلفة . ولاسيما في مجال الاحوال الشخصية . ورفعت الشكاوى الى المحاكم المدنية . ومن ثم اصبحت الدعوة القاديانية وموقفها من الاسلام والمسلمين موضع النقاش والبحث في مسرح المحاكم فهذا رجل -مثلا- تزوج بفتاة من المسلمين فانكشف لها انه قادياني أو اعتنق القاديانية فرفضت الفتاة ان تبقى حليلة له . وعلى غرار ذلك رفعت كثير من الشكاوى الى المحاكم . وصدرت من عدة محاكم أحكام باعتبار القاديانيين غير مسلمين وبطلان التزاوج بينهم وبين المسلمين . ومن اهم قرارات المحاكم في هذه القضية قرار محكمة مدينة «بهاول ناجار» برئاسة القاضي محمد اكبر خان سنة ١٩٣٥م. ومما جاء في هذا القرار :

«ان المدعية : السيدة غلام عائشة التي رفعت الشكوى الى المحكمة تريد الغاء صلتها الزوجية من عبد الرزاق القادياني اثبتت بدلائل قاطعة أن سلسلة النبوة انقطعت بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم . وان التفسيرات التي اخذ بها المدعى عليه (عبد الرزاق القادياني) للعقائد الاسلامية تناقض كل المناقضة للتفسيرات التي قررتها وفهمتها الامة الاسلامية على مدار التاريخ. ولذلك لايمكن اعتبار المدعى عليه رجلا من المسلمين.

بل انه قد ارتد عن الاسلام ونكاح المرتد بالمرأة المسلمة يعتبر ملغىً في الاحوال الشخصية . ونقرر بأن المدعية لم تعد حليلة المدعى عليه منذ يوم ارتداده. ولها أن تطلب منه تكاليف المحاكمة» هذا ، وان المسلمين في القارة الهندية ما زالوا يضمرون للقاديانية عواطف العداء والحنق والتذمر ويشاركهم في ذلك قادة الفكر الاسلامي . الا أن عواطفهم هذه لم تشكل اضطرابات شاملة وقلاقل عامة طول عهد الاحتلال البريطاني لأسباب ذكرناها فيما مضى . ولكن لما انقسمت الهند ، وتكونت باكستان دولة مستقلة، وعقد المسلمون على حكومتهم الشعبية رجاءهم في معالجة المعضلة القاديانية ، ووضع حد لنشاطها في المجتمع الإسلامي ، وجعلهم أقلية غير إسلامية في دستور البلاد المقرر وضعه في المستقبل. وبدل أن تعمل الحكومة في هذا الصدد شيئاً يذكر ، ظلت تبسط على القاديانيين جناح عطفها وحمايتها ، تقطعهم الأراضي الواسعة وتسند اليهم نصيباً وافراً من المناصب الحساسة في دوائرها . الأمر الذي زاد الطين بلة .

ونظراً لخطورة الوضع واستفحال الأمر عقد قادة الإسلام وزعماء الجمعيات الإسلامية الذين كانوا يمثلون كل مذهب من المذاهب الإسلامية السائدة في باكستان اجتماعاً في يناير ١٩٥٣م بمدينة كراتشي ناقشوا فيه الوضع السائد ودرسوا القاديانية وفكروا في معالجتها . فوضعوا مقترحات للدستور الاسلامي المنشود من ناحية ، ومن الناحية الاخرى طالبوا الحكومة بأن تجعل القاديانيين اقلية غير مسلمة على غرار

الاقليات غير الاسلامية الاخرى في البلاد ، وأن تخصص لهم بعض المقاعد في المجلس النيابي حسب النسبة العددية . فهذا الاجتماع ، الذي خرج فيه علماء الاسلام الممثلين لكافة الطوائف الاسلامية عن قوس واحد فيما قرروا ، لم يسجل موقفا جديدا في وحدة كلمة العلماء المسلمين فيما يتعلق بعقائد الاسلام ومبادئه الاساسية فحسب ، بل أكد كذلك على اجماعهم على كون القاديانيين خارجين من دائرة الاسلام وثائرين على النبوة المحمدية على صاحبها الف الف سلام .

غير أن الامر لم يكن سهلا هينا كما فهم ، لأن القاديانين ، كما قلنا فيما سبق ، كانوا متربعين على المناصب الرئيسية منذ الاحتلال الانكليزي . فلما تأسست باكستان كانوا هم الذين يسيطرون على المناصب الحساسة : المدنية والعسكرية ، ويتقلدون الوظائف التي لها تأثيرها في المجتمع مستغلين في ذلك وضعهم السابق ونفوذهم الشامل . واوضح مثال لذلك هو تقلد ظفر الله خان مهام وزارة الخارجية . ومن المعلوم أن ظفر الله ليس من زعماء القاديانية ودعاتها المتحمسين فحسب ، بل هو من ابرز الشخصيات الصديقة للانجليز بل من غرسهم وصنعهم . فاصبح رجل هذا شأنه وزير الخارجية في دولة يعتقد هو أن أغلبية سكانها كفار لا يصدقون ادعاء الميرزا غلام احمد بالنبوة ، وتعتقد الاغلبية أنه خارج عن الاسلام . واستغل ظفر الله خان وظيفته في تدعيم اركان الخارجية والسفارات والمفوضيات في العالم باتباع جماعته ،

وسلطهم على رقاب الموظفين المسلمين يتحكمون فيهم كما يشاؤون ويستغلون مناصبهم وسلطاتهم في نشر نحلتهم واقامة مراكزهم . كما يريدون . كما أنه دعم نفوذ القاديانية في البلاد الاسلامية باستغلال موقف باكستان مناصرة وتأييد القضايا العربية في قاعة الامم المتحدة . مما ساد المسلمين استياء وتذمر ، وعيل صبرهم . واخير انفجر بركان ما كان يجيش في صدورهم من قلق وغيظ وقامت في البلاد بغتة حركة عنيفة سنة ١٩٥٣ م تطالب بعزل ظفرالله خان عن منصب وزارة الخارجية وجعل القاديانيين في عداد الاقليات غير الاسلامية وكانت حركة شعبية هائلة لم يشهد تاريخ هذه البلاد نظيرا لها منذ زمن بعيد .

وفي مثل هذا الوضع المكفهر الشائك الفت الرسالة الاولى من هذه المجموعة وهي رسالة «المسألة القاديانية» . وكان الغرض من تأليف هذه الرسالة اقناع الحكومة بصحة مطالبة العلماء وعامة المسلمين النصح للجماهير المسلمة بأن لا يتركوا المجال للمغرضين أو المخربين وأن يلتزموا حدود القانون في عرض مطالبهم على الحكومة . وكان عرض القضية باسلوب علمي نزيه كما يشاهده القارئ في الصفحات التالية .

ولكن من أعاجيب الدهر أن الحكومة بدل أن تفيق من غوايتها ، وتعالج وضع البلاد بالحكمة والتبصر تمادت في غيها ، وزادت من ضغطها على الجماهير ردعا لهم من هذه المطالبة

فاعلنت الحكم العرفي في مناطق الحركة ، وشرعت تقمعها بالحديد والنار . ودام الحكم العرفي الذي كان يتولاه الجيش ثلاثة اشهر استشهد خلالها مئات المسلمين برصاص الجيش والشرطة ، وقبض على آلاف مؤلفة من العلماء وعامة المسلمين وزج بهم في السجون .[1]

وبعد انتهاء الاضطرابات وارتفاع الحكم العرفي شكلت الحكومة محكمة التحقيق لبحث أسباب الاضطرابات وفرض الحكم العرفي . وقد بدأت المحكمة بتوجيه طائفة من الاسئلة الى الاحزاب السياسية والدينية التي كانت لها أدنى علاقة بهذه القضية . وأدلى كل منهم برأيه في هذا الموضوع . وكذلك وجهت إليّ هذه الاسئلة فسجلت ردي عليها في البيانات الثلاثة [2] التي سيرد ذكرها في الصفحات القادمة .

---

(١) ومنهم الأستاذ أبو الأعلى المودودي مؤلف «المسألة القاديانية» . وأقيمت محاكم عسكرية تقرر عقوبات على القائمين بالحركة والمساندين لها . كما عرضت قضية الأستاذ على نفس المحكمة الاستئنافية التي لم تلبث أن حكمت عليه بالإعدام أولا ، ثم استبدلت هذا الحكم بالسجن أربعة عشر عاماً مع الأشغال الشاقة . ولم تكن جريمته إلا أنه ألف الرسالة المذكورة التي أوضح فيها موقف القاديانية من الاسلام والمسلمين ، وأوضح موجبات تقتضي جعل القاديانيين أقلية غير مسلمة في باكستان . (المترجم) .

(٢) سجل الأستاذ حفظه الله هذه البيانات وهو رهن السجن يعاني ما يعانيه السجناء ولا يصل اليه كتاب ولا قرطاس ولا جريدة ، ولا يتيسر له الاجتماع بمحاميه إلا تحت رقابة شديدة . ولكن العراقيل كلها

وقد ألحقت بهذه المجموعة رسالة اخرى عنوانها : «عقيدة ختم النبوة» وهذه الرسالة هي جـــزء من تفسيري لـسورة الاحزاب[1] وقد بينت في صدد تفسير الآية الكريمة : « ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما » مسألة ختم النبوة في ضوء مصادر الشريعة الاسلامية . مـــن القرآن والسنة واجماع علماء الامة . وقد تناولت بالبحث والمناقشة جميع الادلة التي يأخذ بها منكرو ختم النبوة ، ورددت عليها ردا سيكون مقنعا لمن له قلب أو القى السمع وهو شهيد ، كما تعرضت لمسألة نزول عيسى بن مريم وظهور المهدي لإزالة ما كان يعلق ببعض الاذهان من شبهات حـــول هذه المسألة، وتحطيم التفسيرات المضللة التي يلتجئ اليها القاديانيون ومن يحذو حذوهم من أصحاب الدعوات الهدامة.

والدعوة القاديانية لها دعاة ومراكز في شتى اقطار الارض، ولاسيما في بعض البلدان الافريقية وفي البلاد الاوروبية

= لم تمنعه من القيام بواجبه فأتى ببياناته المشار اليها ، وعرضها على محكمة التحقيق . ومما لا يكابر فيه أحد أن الأستاذ المودودي حفظه الله قد كشف في هذه البيانات القناع عن وجه النحلة القاديانية بتفصيل وإن يتبين منه القارئ : حقيقة هذه الدعوة الهدامة ، وعلاقتها بالقوى الاستعمارية ، وخطرها على المجتمع الاسلامي ، وما يترتب عليها من مشكلات تمزق وحدة المجتمع الإسلامي وتبدد طاقاته . « المترجم » .

(١) للأستاذ المودودي تفسير للقرآن الحكيم أسماه : « تفهيم القرآن » « المترجم » .

وبخاصة البلاد التي كانت تحت السيطرة البريطانية . وعدد مراكزهم في العالم حسب تصريحهم انفسهم يقارب واحداً وثلاثين مركزا ومن أغرب ما يكون أن لهم مركزاً حتى في اسرائيل . وننقل للقراء فيما يلي مقتبسات من بيان احد علماء المسلمين في سورية وهو محمد خير القادري ، عن مركز القاديانية في اسرائيل . يقول :

« اراد القاديانيون التبشير بدينهم الجديد في البلاد العربية فبحثوا في البلدة التي يجدونها اكثر ملائمة لهم ليؤسسوا فيها مركز تبشيرهم فلم يجدوا خيرا من مدينة حيفا . ويرجع ذلك لسبب واحد هو الاستظلال بالراية البريطانية التي يجدون تحت ظلها مأوا وامنا واستقراراً . وهكذا فقد اسسوا في حيفا مركزهم ، ومنه يرسلون دعاتهم للبلدان العربية . ومنذ انسحبت الحكومة الانكليزية من حيفا وجد القاديانيون تحت لواء (اسرائيل) امنا وسلاما وظلا ظليلا . ولا يزال مركزهم الى الآن في مدينة حيفا يدخلون فلسطين ويخرجون منها الى البلاد العربية .

وفضلا عن أن جميع البلدان العربية والاسلامية قاطعت اسرائيل فان القاديانية لا تزال معها في صلات حسنة ووداد ووئام والقاديانيون يدخلون فلسطين ويخرجون منها بكل حرية وإطمئنان [1]

(١) ومن الجدير بالإشارة أن القاديانيين في إسرائيل يقيمون على الجواز البريطاني ، لأن حكومة باكستان لا تصدر الجواز الذي يسمح لصاحبه بالدخول إلى إسرائيل ، وهي لم تعترف بدويلة الصهاينة الغاصبين به . « المترجم » .

وان موالاة القاديانيين للانكليز (العدو التقليدي للمسلمين)، ثم لإسرائيل لدليل قاطع بانهم غير مسلمين ... واننا نلفت نظر الحكومات العربية والاسلامية وبخاصة الجامعة العربية ولجنة مقاطعة اسرائيل الى انذار القاديانيين باغـلاق مكتبهم في اسرائيل، والا طردوا من البلدان العربية ومنعوا من دخولها اسوة بالشركات والمعامل الاوروبية التي تفتح لـها فروعاً في اسرائيل (١).

ويقول المصدر القادياني نفسه :

« يقع مكتب التبشير الاحمدي على جبل الكرمل في حيفا – اسرائيل. ولنا فيه مسجد، ودار للتبشير، ومكتبة عامة، ومكتبة لبيع الكتب، ومدرسة ويصدر مكتبنا مجلة شهرية : اسمها « البشرى » التي توزع في البلدان الناطقة بلغة الضاد. وقد قام هذا المكتب بنقل الشئ الكثير من تعاليم المسيح الموعود الى اللغة العربية ».

« وطرأت على مكتب التبشير الاحمدي مؤثرات من عدة نواحي بسبب تقسيم فلسطين. ان الذين بقوا في اسرائيل من المسلمين يتغذون ويسترشدون من مكتبنا الذي ينتهز كل فرصة لخدماتهم. وقبل مدة قابل مبشرنا رئيس بلدية حيفا. وناقش معه عدة مسائل. وقد عرض عـلى مكتبنا

---

(١) القاديانية : مطية الاستعمار البغيض – تأليف محمد خير القادري ص ١٢، و ١٣، طبع في دمشق – سوريا.

انشاء مدرسة بقرب جبل الكبابير الذي يسكن فيه عدد لا يستهان به من اتباع فرقتنا ، كما انه وعد بمقابلة مبشرنا في الكبابير فاوفى بوعده وشرفه بزيارته يرافقه اربع شخصيات هامة . واستقبلهم رجال فرقتنا وطلبة مدرستنا . وعقدوا حفلة ترحيبية . وعند عودتهم سجلوا انطباعاتهم في سجل الزائرين » .

« وهناك حادث بسيط يعرف به ما لمكتبنا التبشيري في اسرائيل من اهمية ومكانة . وهو انه لما اراد مبشرنا محمد شريف العودة الى مركز الاحمدية في باكستان ارسل اليه رئيس اسرائيل رسالة طلب فيها ان يزوره قبل سفره الى باكستان . فانتهز محمد شريف هذه الزيارة ، وقدم له نسخة من ترجمة المانية للقرآن الكريم التي قبلها باعجاب . وهذه المقابلة وما جرى فيها من الامور نشرته الصحافة الاسرائلية على اوسع نطاق ، واذيع باختصار من اذاعة اسرائيل »[1] .

والذي يتبينه القارئ من هذه المقتبسات أن القاديانيين بينما هم يبثون فكرتهم في العرب الفلسطينين الذين لا يزالون يعيشون عيشة ذل ومهان فيما يسمى اسرائيل ، ويستغلون وضعهم المزرى يتمتعون بعطف الصهاينة ويحتقون مآربهم في اذلال العرب واخماد جذوة الجهاد

(١) كتاب « بعثاتنا الخارجية » تأليف الميرزا مبارك أحمد القادياني . الطبعة الخامسة ، طبع في مطبعة « نصرت آرت » بربوة في باكستان .

في نفوسهم واجبارهم على ولاء الحكومة القائمة . وذلك باقناعهم بفكرة الغاء الجهاد على لسان ما يدعى المسيح الموعود .

وهذا قليل من كثير مما لهذه الحركة من جهود ومكايد ومؤامرات ومخططات وشرور وويلات . وهناك شيء هام نريد أن نلفت اليه الانظار : وهو ان دعاة القاديانية عندما يشرعون في بث دعوتها وفكرتها في اوساط المسلمين لا يظهرون إلا في مظهر دعاة الاسلام ، ولا يطلقون على مهمتهم الا كلمات البعث والتجديد ، لا يقاع المسلمين السذج في مصيدتهم . ثم إذا اطمأنوا الى المتأثرين بفكرتهم ، ورأوهم قد اقتنعوا بما يدعون اليه يتخلون عن لباسهم الزور ويلقنونهم بصراحة ضرورة الايمان بالمتنبي الكذاب واعتناق المبادئ التي وضعها هو وزعماؤهم بكل ما فيها من انحراف وفساد . فمنهم من تبين الأمر وهم قليلون . ومنهم من وقع فريسة لهم ، وخسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين

المسألة القاديانيّة

انعقد في كراتشي في شهر يناير عام ١٩٥٣ م موتمر حافل اشتركت فيه نخبة من العلماء والمشايخ يمثلون مختلف الطوائف الاسلامية من جميع نواحـــي باكستان الشرقية والغربية ، ممن يوثق بهم ويرجع اليهم، ونظروا جميعا فيما قدمته الحكومة الى المجلس التشريعي من مقترحات وتوصيات للدستور الجديد ، واتفقوا عـــلى طائفة من الاقتراحات والتعديلات منها الاقتراح التالي :

« نطالب المجلس التشريعي بالنسبة لجميع اولئك الذين يعتقدون ويرون الميرزا غلام احمد القادياني زعيما دينيا لأنفسهم بأن يعدهم اقلية كسائر الاقليات غير المسلمة في البلاد ، وأن يخصص لهم مقعداً واحداً من مقاعد البرلمان بمقاطعة بنجاب » .

اما بالنسبة لسائر مقترحات العلماء فقد كانت من الوضوح والمعقولية بدرجة اخرست اعداء العلماء جميعا حتى لم يستطيعوا أن يقدحوا فيها بشيْ ، واذا كان بعضهم

قد ذكر عنها شيئا فلم يكن لكلامه قيمة ولا وزن عند الطبقة المتعلمة المثقفة في البلاد .

اما هذا الاقتراح — الخاص بالقاديانية — فهو وان كان — فيما نراه — علاجا حاسما وحلا موفقا لهذه المسألة ، الا أن عددا غير يسير من رجالنا المتعلمين لا يزال غير مقتنع بصحته وسداده ومعقوليته .

وها نحن أولاء نعرض على القراء بكل وضوح تلك الحجج والبراهين التي حثت العلماء على تقديم اقتراحهم هذا بالاجماع .

ان كون القاديانيين امة خارجة عن الامة الاسلامية ، ليس الا نتيجة طبيعية ومنطقية لما اختاروه هم لانفسهم من المكانة في هذه الامة ، فهم الذين أحدثوا الاسباب التي تقطعهم عن سائر المسلمين وتجعلهم أمة خارجة عن سائر المسلمين .

فأول ما يخرجهم عن المسلمين ويبعدهم عنهم هوما جاؤا به من التفسير الحديث (لختم النبوة) وقد خالفوا فيه تفسير جميع المسلمين المتفق عليه بينهم .

فما زال المسلمون يعتقدون منذ ثلاثة عشر قرنا ونصف قرن — ولا يزالون يعتقدون اليوم — أن سيدنا النبى العربي محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين ، فلا نبى ولا رسول بعده الى يوم القيامة . وذلك هو المعنى الذي فهمه الصحابة ، رضوان الله عليهم جميعا ، من قول الله عز وجل

في كتابه الكريم « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين »[1] وهم لذلك حاربوا كل من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم .

وهذا هو المعنى الذي ما زال المسلمون يفهمونه في جميع العصور المتعاقبة ، فلم يقبلوا من بين أنفسهم رجلا ادعى النبوة .

اما القاديانيون فقد فسروا « خاتم النبيين » لاول مرة في تاريخ المسلمين بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الانبياء اى طابعهم ، فكل نبي يظهر الآن بعده ، تكون نبوته مطبوعا بخاتمه صلى الله عليه وسلم . ويمكننا في هذا المقام أن نقدم للقراء عدة نصوص من كتب القاديانيين تبين هذا المعنى وتوضحه ، ولكنا نكتفي هنا بأن نعرض عليهم ثلاثة نصوص :

« قال المسيح الموعود عليه السلام في خاتم النبين : إن المراد به انه لا يمكن أن تصدق الآن نبوة ايّ نبي من الانبياء إلا بخاتمه (صلى الله عليه وسلم) ،وكما ان كل قرطاس لا يكون مصدقا مؤكدا الا حين يطبع عليه بالخاتم، فكذلك كل نبوة لا تكون مطبوعا عليها بخاتمه وتصديقه (صلى الله عليه وسلم) تكون غير صحيحة »[2]

« لا ننكر ان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو

(١) سورة الأحزاب : الآية : ٤٠

(٢) ملفوظات أحمدية : بترتيب محمد منظور إلهي القادياني . ص ٢٩٠

خاتم النبيين ، ولكن الختم ليس المراد به ما يفهمه السواد الاعظم من الناس ، اذ هو يخالف كل المخالفة عظمة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وجلالة شأنه وعلو منزلته . ومعناه ان النبى صلى الله عليه وسلم قد حرم امته من نعمة النبوة العظمى » .

« وانما المراد به أنه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء اى طابعهم ، فلا نبى الآن الا من يصدقه هو صلى الله الله عليه وسلم ... وبهذا المعنى نؤمن بأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين »[1]

« الخاتم هو الطابع ، فاذا كان النبى الكريم طابعا ، فكيف يكون طابعا اذا لم يكن في أمته نبى »[2]

وهذا الاختلاف في التفسير لم يقف عند مجرد تأويل لفظة واحدة ، بل لقد اعلن القاديانيون فيما بعد ، وجاهروا بأنه ليس من الممكن ان يأتي نبى واحد فقط بعد النبى صلى الله عليه وسلم بل من المحتمل أن يأتي مئات وألوف من الانبياء .

وهذا ايضاً واضح كل الوضوح في نصوص القاديانيين انفسهم ، وها نحن اولاء نذكر للقراء بعضها :

---

(١) جريدة الفضل اليومية ، في عددها الصادر في ٢٢ سبتمبر ١٩٣٩ م . هذه الجريدة لسان حال القاديانيين وكانت تصدر من قاديان قبل تقسيم البلاد وتصدر من ربوة : مدينة القاديانيين في باكستان .

(٢) جريدة الفضل في عددها الصادر في ٢٢ مايو ١٩٢٢ م

« ومما هو واضح كالشمس في رابعة النهار أن باب النبوة لا يزال مفتوحا بعد النبى صلى الله عليه وسلم[١]

« وقد زعموا — اى المسلمون — ان خزائن الله قد نفدت ... وما زعمهم هذا الا لأنهم لم يقدروا الله حق قدره ، والا فاني اقول انه لا يأتي نبى واحد فقط بل يأتي الوف من الانبياء[٢]

« وان وضعوا السيوف على جانبي عنقي ، ثم طلب مني أحد أن أقول : انه لا يأتي نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، لأقولن له انك كذاب ، فانه لا يجوز ، بل لا بد أن يأتي الانبياء بعده »[٣]

وهكذا فتح ميرزا غلام احمد القادياني باب النبوة ثم قام مدعيا بنبوته، وصدقت الطائفة القاديانية ادعاءه هذا وأقرت له بالنبوة بالمعنى الحقيقي التام . وها نحن نذكر للقراء ما يشهد بذلك شهادة ناطقة من اقوال القاديانيين الثابتة العديدة :

« وأيضا قد صرح المسيح الموعود — اى الميرزا غلام احمد — في كتبه بدعواه للرسالة والنبوة ، كما كتب :

---

(١) حقيقة النبوة : تأليف الميرزا بشير الدين محمود أحمد بن الميرزا غلام أحمد الخليفة الثاني للقاديانيين ص ٢٢٨

(٢) أنوار الخلافة : تأليف الميرزا بشير الدين محمود أحمد ص ٦٢

(٣) أنوار الخلافة ص ٦٥

« ادعي فأقول : انا رسول ونبي »[1] . أو كما كتب : « انا نبي وفقاً لأمر الله ، وأكون آثماً ان انكرت ذلك ، واذا كان الله هو الذي يسميني بالنبي ، فكيف لي ان أنكر ذلك؟ انني سأتمسك بهذا الامر حتى اجاوز هذه الدنيا . وكتب المسيح الموعود ذلك القول في رسالة سجلها قبل وفاته بثلاثة ايام فقط : كتبها في ٢٣ مايو سنة ١٩٠٨م ونشرت في « أخبار عام » في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٨م يوم وفاته »[2]

« فالمعنى الذي تعطينا اياه الشريعة الاسلامية عن النبي لا يسمح بان يكون المسيح الموعود نبيا رمزيا فقط ، بل لا بد أن يكون نبيا حقيقيا »[3]

ومن صميم ما تقتضيه الدعوى بالنبوة تكفير كل من لا يؤمن بها وذلك هو عين مافعله القاديانيون . فهم يكفرون علنا في خطبهم وكتاباتهم جميع المسلمين الذين لا يؤمنون بالميرزا غلام احمد القادياني . ونذكر للقراء فيما يلي بعض ما يشهد بذلك من صريح عباراتهم :

« ان جميع المسلمين الذين لم يشتركوا في مبايعة المسيح الموعود كافرون خارجون عن دائرة الاسلام ،

---

(١) راجع جريدة بدر : العدد الصادر في ٥ مارس ١٩٠٨ م

(٢) كلمة الفصل : تأليف الصاحبزادة بشير أحمد القادياني المدرجة في برقم ٣ ج ١٤ ص ١١٠ .

(٣) حقيقة النبوة : تأليف الميرزا بشير الدين محمود أحمد ص ١٧٤

ولو كانوالم يسمعوا باسم المسيح الموعود »[1]

« كل رجل يؤمن بموسى ولا يؤمن بعيسى ، أو يؤمن بعيسى ولا يؤمن بمحمد أو يؤمن بمحمد ولا يؤمن بالمسيح الموعود ، فما هو بكافر فحسب ، بل هو راسخ في الكفر وخارج عن دائرة الاسلام »[2]

وبما اننا نؤمن بنبوة الميرزا عليه السلام ، وغير الاحمديين لا يؤمنون بها ، فكل رجل من غير الاحمديين كافر بحسب ما جاء في القرآن ، اذ ان الكفر ولو بنبي واحد هو الكفر »[3]

ولا يقتصر القاديانيون على قولهم بأنهم مخالفون للمسلمين في أمر نبوة ميرزا غلام أحمد فحسب ، بل هم يقولون أيضاً انه ليس هناك من شيء يجمع بينهم وبين المسلمين ، فربهم غير رب المسلمين ، وإسلامهم غير إسلامهم ، وقرآنهم غير قرآنهم وصلاتهم غير صلاتهم ، وصيامهم غير صيامهم ... الخ

وقد نشر خطاب لخليفة القاديانيين في جريدة الفضل في تاريخ ٢١ اغسطس سنة ١٩٢٧ م بعنوان « نصائح الطلاب » أوضح الخليفة فيها لطلاب جماعته ماهو الفرق والخلاف بين الأحمديين

---

(١) آئينة صداقت « مرآة الصدق » لمؤلفه الميرزا بشير الدين محمود أحمد ص ٣٥

(٢) كلمة الفصل لمؤلفه الصاحبزادة بشير أحمد القادياني ، المنشورة في مجلة ريفيو آف ريليجنس ص ١١٠ .

(٣) بيان الميرزا بشير الدين محمود أحمد في محكمة كورداد أسابور المنشور في جريدة الفصل في عددها الصادر في ٢٦ و ٢٩ يونيو ١٩٢٢ م

وغير الأحمديين . فمما جاء في هذا الخطاب :

« ... قال المسيح الموعود إن إسلامهم – أي إسلام المسلمين – غير إسلامنا ، وإلههم غير إلهنا ، وحجهم غير حجنا ، وهكذا نخالفهم في كل شيء » .

ونشرت جريدة الفضل كذلك في عددها الصادر في ٣٠ يوليو سنة ١٩٣١ خطاباً آخر للخليفة ذكر فيه النقاش الذي دار بين الأحمديين ، والميرزا غلام أحمد حي بينهم ، حول ما إذا كان ينبغي للقاديانيين أن ينشئوا معهداً للعلوم الدينية يكون مستقلاً دينياً خاصاً بهم أم لا ، فقالت طائفة منهم لا ينبغي للأحمديين أن ينشئوا لهم معهداً للعلوم الدينية يكون مستقلاً عن معاهد المسلمين . وكانت الحجة التي تستدل بها هذه الطائفة : « اننا لانخالف سائر المسلمين إلا في مسائل قليلة معلومة قد بينها لنا المسيح الموعود عليه السلام وأوضح لنا الدلائل عليها ، فمن الممكن أن نتعلم سائر المسائل الاخرى من المعاهد الاخرى » . وكانت الطائفة الاخرى تخالف الاولى في هذا الرأي فبينما هم كذلك طلع عليهم الميرزا غلام احمد نفسه ، ولما سمع ما هم فيه من المناقشة ، قطع فيها وحكم بينهم بالكلمات التالية – على حسب ما بينه خليفته الحالي : « من الخطأ بأننا لا نخالف المسلمين الا في مسألة وفاة المسيح أو غيرها من المسائل الاخرى . قال : اننا نخالفهم في ذات الله تعالى ، وفي الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن

والصلاة والحج والزكاة » وبمجمل القول قد فصل لهم الميرزا غلام احمد الموضوع وبين لهم أننا نخالفهم في كل المسائل » .

وقد افضى القاديانيون انفسهم بهذا الخلاف الشامل بينهم وبين المسلمين الى نتائجه النهائية المنطقية ، وقطعوا صلاتهم بالمسلمين ونظموا انفسهم تنظيما مستقلا عنهم كأنهم أمة ليست منهم في قليل ولا كثير . وذلك مما تشهد به كتابات القاديانين انفسهم :

« وقد اكد المسيح الموعود النهى عن صلاة الاحمديين خلف رجل من غير الاحمديين ، وكثيرا ما ترد إليّ من الخارج رسائل يسألني اصحابها عن هذا الامر المرة بعد المرة ، ولذلك فاني اقول لهم مهما اعدتم عليّ السؤال عن هذا الامر ، فاني لن اجيبكم الا بأنه لا تجوز صلاة الاحمدي خلف رجل من غير الاحمديين »[1] .

« من الواجب علينا الا نعتبر غير الاحمديين مسلمين والانصلي خلفهم » ، اذ انهم عندنا كفروا بنبى من انبياء الله »[2] .

« اذا مات ولد لرجل من غير الاحمديين، فلماذا ينبغي علينا الا نصلي على جنازته في حين أنه لم ينكر المسيح

---

(١) أنوار الخلافة : تأليف الميرزا بشير الدين محمود أحمد ص ٨٩
(٢) أنوار الخلافة : ص ٩٠

الموعود ؟ وانا بدوري أسأل من يلقي عليّ هذا السؤال : ان كان ذلك جائزا فلماذا لا نصلي على جنازة اولاد الهنادك والنصارى ؟ .. ان اولاد غير الاحمديين ليسوا الا منهم ولذلك لا تجوز الصلاة عليهم (١)

« وقد ابدى المسيح الموعود سخطه الشديد على أحمدي يريد أن يزوج ابنته برجل من غير الاحمديين . وقد سأله رجل عن ذلك مرة بعد مرة وعرض عليه ضروبا من الاعذار ، ولكن لم يأت في كل مرة الا بقوله : أمسك عليك بنتك ولا تزوجها برجل من غير الاحمديين . ثم ان هذا الرجل زوج ابنته بعد وفاة المسيح الموعود برجل من غير الاحمديين ، فعزله الخليفة الاول عن امامة الاحمديين ولم يقبل له توبة في ست سنين من سني خلافته مع انه لم يزل يتوب من فعلته مرة بعد مرة » (٢) .

« لم يبح المسيح الموعود ان يتعامل الاحمدي مع غير الاحمديين الا بما عامل به النبي الكريم النصارى . وقد فرّق بيننا وبين غير الاحمديين في الصلاة وحرّم علينا أن نزوجهم بناتنا . ونهينا عن الصلاة على موتاهم ، فأي شيءٍ قد بقي الآن نشاركهم فيه ؟ ان العلاقات بين الناس على نوعين : علاقة دينية ، وعلاقة دنيوية فأكبر وسيلة من وسائل العلاقة الدينية هي الاشتراك في العبادة ،

(١) أنوار الخلافة : ص ٩٣

(٢) أنوار الخلافة : ص ٩٣ و ٩٤

واهم وسيلة من وسائل العلاقة الدنيوية ، هي التزاوج . وقد حرمت علينا هاتين الوسيلتين . فان قلتم انه يجوز الزواج من بناتهم (اي بنات غير الاحمديين) . قلت نعم : ويجوز ايضا أن نتزوج من بنات النصارى . فان قلتم : لماذا يجوز السلام على غير الاحمديين ؟ قلت : قد ثبت من الحديث انه قـد رد النبي صلى الله عليه وسلم حتى عـلى اليهود سلامهم في بعض الاحيان » [1]

ولم يقف امر قطع الصلات والروابط بالمسلمين عند حد الكتابة والخطابة فحسب ، بل مما يشهد به مئات الالوف من اهل البلاد ان القاديانين قد انفصلوا عن المسلمين انفصالا واقعيا فعليا ايضا ، وانهم قد اصبحوا أمة مستقلة تماما عنهم ، فهم لا يشاركونهم بالفعل في الصلوات المكتوبة ولا في الصلاة على الموتى ولا في التزاوج .

فليت شعري أي مبرر معقول بقي بعد هذا ليظلوا مندمجين في أمة واحدة مع المسلمين ، ارادوا ذلك أم لم يريدوا ؟ أو ليس من الواجب الاعتراف بحقيقة الانفصال بيننا وبينهم من الوجهة القانونية اليوم ، وقد تم هذا الانفصال بالفعل منذ خمسين سنة حتى هذه الساعة من الوجهة العقائدية والوجهة العملية ؟

والحق ان الحركة القاديانية قد اثبتت لنا اليوم بالتجربة

---

(١) كلمة الفصل المنشورة في مجلة ريفيفيو آف ريليجنس ص ١٦٩

العملية ما كان يصعب علينا ادراكه قبل ذلك من الوجهة النظرية المجردة مما في عقيدة ختم النبوة من الحكم والمصالح وقد كان المرء منا يتساءل حينذاك عن سبب انقطاع سلسلة الوحي وتوقف بعث الانبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم. اما اليوم فقد اثبتت لنا التجربة ما في ذلك من الحكمة البالغة ، وبينت لنا النعمة الكبرى التي أنعم الله تعالى بهسا على الامة الاسلامية ، وذلك لانه جمع جميع الناطقين بكلمة التوحيد على اتّباع نبي واحد لكي يحفظ على الامة وحدتها ولكي يحكم عروتها وصلاتها .. وذلك في حين ان هذه التجربة نفسها تبين لنا كيف تفرق الدعوى المتجددة بالنبوات الامة الواحدة الى امم كثيرة وتشتت شملها ..

فان ايقظتنا هذه التجربة اليوم وبصرتنا بالحقائق ، وقطعنا عن جسد الامة الاسلامية هذه الامة الجديدة — اي الأمة القاديانية — فلن يتجرأ احد بعد اليوم أن يقوم فينا يدعي النبوة ويشرع في تمزيق الامة وتفرقة كلمتها . أما إذا قبلنا اليوم هذا التمزيق والتفرقة وسكتنا على ذلك ، فلن يكون معنى ذلك الا أننا نشجع الكثيرين من مدّعي النبوة ونكون لهم عونا لادعاءاتهم في المستقبل ، ونشترك بذلك في تفرقة كلمة المسلمين ..ويكون سكوتنا قدوة لمن بعدنا فلن يقف الامر عند بث الخلاف والتشتت في الأمة مرة أو مرتين بل سيكتب على مجتمعنا ان يواجه في كل يوم نوعا جديدا من اخطار التمزيق والتفرقة ..

هذه هي الحجة الحقيقية التي نستند اليها في مطالبتنا بجعل القاديانيين اقلية كسائر الاقليات غير المسلمة في البلاد ، وهي في الواقع حجة مقنعة لا يكاد احد يقارعها بحجة معقولــة . غير ان الذين يعارضون هــذه المطالبة يريدون ان يصرفوا الناس عنــا ويبعدونها عن اذهانهم بطرق ملتوية . فيأتون باعتراضات اخرى لا تمت الى صميم المسالة بصلة مباشرة ، فيقولون مثلا :

ما زالت الفرق المختلفة من المسلمين منذ اول الامر ولا تزال الى اليوم يكفر بعضها بعضا ، فان اخذنا نقطع عن جسد الأمة كل فرقة تكفرها فرقة اخرى من المسلمين ، فلن تبقى للامة عين ولا اثر بعد حين من الزمن .

وكذلك يقولون : إن المسلمين توجد فيهم ما عدا القاديانين عدة طوائف لا تخالف السواد الاعظم خلافا شديدا في العقائد الاساسية فحسب ، بل قد انقطعت عن المسلمين واستقلت عنها فعلا وقطعت صلاتها الدينية والاجتماعية بهم على غرار القاديانيين فهل تقطعون عن الأمة هذه الطوائف ايضا ؟ ام انكم انما تخصون القاديانيين وحدهم بمثل هذه المعاملةلحنق عليهم في صدوركم ؟ وأى جناية بعينها قد جناها القاديانيون تجعلكم تصرون هذا الاصرار الشديد على قطعهم عن الامة المسلمة وحدهم دون سائر الفرق والطوائف

وكذلك يقولون : ان الاقلية من شأنها هي أن تطالب بالانفصال . الا أنه من الغريب في هذه القضية أن الاغلبية

هي التي تلح على فصل الاقليـــة رغم اصرار الاقلية على التعايش مع الاغلبية

وقد انخدع آخرون بما يقوم به القاديانيون من دعوة الى الاسلام ، ولذلك فهم يقولون : ان القاديانيين ما زالوا منذ البداية يدافعون عن الاسلام ويردون هجمات المسيحيين ورجال حزب آريا وغيرهم ممن شنوا غاراتهم على الاسلام ، وهم يعملون ايضا على نشر الاسلام في جميع اقطار الارض ، فهل يجوز أن يعاملوا بمثل هذه المعاملة اليوم ؟

وسنتناول بالتحليل هذه الاعتراضات ، ونجيب عليها واحدة بعد اخرى :

١ ـ لاريب أن المسلمين مصابون بداء سيء شديد هو أنه ما زالت طوائفهم المختلفة يكفر بعضها بعضا ولا يزال بعضها فريسة لهذا الداء الى يومنا هذا . ولكن من الخطأ أن يكون ذلك حجة في دمج القاديانيين في المسلمين وجعلهم جزءا منهم وذلك لعدة اسباب .

اولا : لا يجوز أن تعرض بعض أمثلة سيئة لعملية التكفير ثم يحكم حكما قاطعابأن التكفير يكون دائماً عملا غير مقبول ولا ينبغي تكفير أحد من الناس على أي عمل من الاعمال .

والحق أنه اذا كان التكفير على الخلافات التافهة في

المسائل الفرعية شيئا غير مستحسن وعملا مستقبحا ، فكذلك ايضا من الخطأ الفادح عدم التكفير على الارتداد البواح عن المبادئ الاساسية للدين .

والذين يستنتجون من عملية التكفير الصادر من بعض العلماء بغير الحق أن كل نوع من التكفير غير مباح ، نسألهم هل يمكن أن يظل الشخص مسلما حتى ولو قام يدعي الألوهية أو النبوة أو ارتد عن عقائد الاسلام الاساسية ارتداداً واضحا صريحا ؟

ثانيا : ان فرق المسلمين وطوائفهم التي يقال عنها اليوم بأنها تكفر بعضها بعضا ، قد اجتمع علماؤها اخيرا في كراتشي واقروا بالاتفاق المبادىء الاساسية للدولة الاسلامية ، وواضح من أمرهم أنهم ما فعلوا كل ما فعلوه الا عن تسليم بأن كلا منهم يرى الآخر مسلما مثله . وأي شيء أدل على ما نقول من أنه لم يقل أحد منهم بخروج غيره من ربقة الاسلام بالرغم لما بينهم من خلاف .

فالخوف من أن يكون اخراج القاديانيين من دائرة الاسلام يفتح بابا لاخراج الطوائف المختلفة من الاسلام ليس الا خوفا وهميا مصطنعا .

ثالثا : أن تكفير الامة للقاديانيين ليس من نوع تكفير الطوائف المختلفة الأخرى بعضها بعضا ، فان القاديانيين قالوا بنبوة جديدة تعتبر جميع الذين آمنوا بها أمة خاصة

وتكفر جميع من لم يؤمن بها . ولذلك فان جميع القاديانيين يجمعون على تكفير المسلمين . كما أن المسلمين قد اجمعوا على تكفيرهم . ولذلك فانه من البديهي أن الخلاف بين المسلمين والقاديانيين خلاف اساسي لا يقاس ولا ينبغي أن يقاس ابدا على ما بين مختلف فرق المسلمين من خلافات في المسائل الفرعية .

٢ — ولا شك كذلك أن هناك بعض طوائف اخرى غير القاديانيين تخالف المسلمين في المبادىء الاساسية وقد قطعت عنهم روابطها الدينية والاجتماعية ونظمت كيانها تنظيما مستقلا عن المسلمين . ولكن أمر هذه الطوائف مختلف كل الاختلاف عن أمر القاديانيين من وجوه عديدة :

اولا : ان هذه الطوائف قد انفصلت تماما عن المسلمين وانعزلت عن صفوفهم كل الانعزال حيث اصبح مثلها كمثل صخور صغيرة متساقطة على جانب من الطريق لا يتعرض لها أحد ولا تتعرض هي لأحد ، فمن الممكن الصبر على وجودها . أما القاديانيون فهم يلجون في صفوف المسلمين كأنهم منهم وينشرون فكرتهم ويدعون الى طريقهم ومبادئهم ويناظرون الناس ويجادلونهم باسم الاسلام ويسعون سعيا متواصلا في تحطيم اجزاء الامة المسلمة وضمها الى مجتمعهم . وقد مني المسلمون بسببهم

بفتنة عظيمة من الاختلال والتفكك والفوضى . فلا يمكن أن نصبر على أمرهم كما نصبر على أمر الطوائف الاخرى .

ثانيا : إن مسألة اتباع هذه الطوائف انما هي مسألة فقهية : هل يمكن أن يعدوا لاجل عقائدهم الخاصة من أتباع الاسلام أم لا ؟ ونحن ان فرضنا انهم ليسوا من أتباع الاسلام مثلا ، فنظرا لركودهم وضآلة آثرهم فان وجودهم لا يضر المسلمين بشيء ، ولا يهدد إيمانهم بالخطر ، ولن تنشأ بسببهم مشكلات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية .

اما القاديانيون فما زالت دعوتهم الى فكرتهم وعقيدتهم بين المسلمين خطرا داهما على ايمان مئات الالوف من ضعاف الايمان من افراد الامة الاسلامية . هذا من جانب ومن جانب آخر فإن كل اسرة تنجح فيها دعوتهم ، لا تلبث ان تقع على الفور في مشكلة اجتماعية خطيرة ، فسرعان ما يتفرق المرء عن زوجه ، وينفصل الاب عن ابنه وتقوم العداوة بين الاخوين حتى لا يشتركا في الافراح والأتراح . مضافا الى ذلك تكتل القاديانيين وتواطوءهم ضد المسلمين في الدوائر الرسمية ومجالات التجارة والصناعة والزراعة وما الى ذلك من نواحي الحياة الاجتماعية الأمر الذي اثار الوانا من المشاكل بجانب المشكلة الاجتماعية .

ثم ان الطوائف الاخرى من غير القاديانيين ليس لها من ميول واتجاهات سياسية ما يمكن اعتباره خطرا على حياتنا

الاجتماعية بوجه من الوجوه . أما القاديانيون ، ففيهم ولا شك بعض نزعات وميول سياسية خطيرة لا يمكن الاغماض عنها بحال من الاحوال .

انهم ما زالوا منذ أول امرهم على يقين تا م من أن كل من يقوم بدعوى لنبوة جديدة – فردا كان أو جماعة – يصعب أن تزدهر دعوته وتصل الى غايتها في مجتمع مسلم حرّ مستقل .

وهم يعرفون أن الأمة الاسلامية تكره مثل هذه الدعاوى التي تفرق بين المؤمنين بها وغير المؤمنين بها تفريق الاسلام والكفر وتأتي بذلك على قواعد النظام الديني وتمزق شمل المجتمع المسلم .

وهم كذلك يعرفون تاريخ المسلمين ولا يخفى عليهم كيف عامل به المسلمون كل من قام فيهم بمثل هذه الدعاوى الباطلة منذ عهد الصحابة الى يومنا هذا .

وكذلك هم يدركون تماما أنه ما تسلم المسلمون بأنفسهم زمام السلطة والحكم في بلد من البلاد أو قطر من الاقطار الا وحرموا مثل هذه النبوات الجديدة الباطلة أن يكون لها وجود بينهم – ولا يرجى منهم أن يسمحوا بذلك ابدا في المستقبل .

وهم كذلك يعلمون علم اليقين انه لا يمكن لامرىء ان يجعل الحكومة مطمئنة الى ولائه واخلاصه وحبه لها ثم يقوم في دائرة الدين بما تسول له نفسه من الدعاوى ويبذر

في دين المسلمين ومجتمعهم ما يشاء من بذور الفتنة والشقاق والتفرقة، اللهم الا تحت ظل دولة غير اسلامية .

مازال القاديانيون على معرفة بكل ذلك منذ اول امرهم ولذلك ظلوا يؤثرون حكومة الكفر على حكومة الاسلام . وهم وإن جعلوا الامة الاسلامية ميدان صيدهم الذي يقتنصون منه فرائسهم دائما لأنهم لا يدعون الناس الى فكرتهم ونحلتهم الا باسم الاسلام ولا يستعينون الا باسلحة الدين والشريعة ، الا أنه من مصلحتهما لمؤكدة أن يظل نظـــام الكفر جاثما فوق صدور المسلمين ، غالبا على أمرهم ، لأنهم في ظـــل هذا النظام وحده يمكنهم أن ينالوا ثقته ويكتسبوا تقديره ويستظلوا بحمايته ، ثم يتمكنون في نفس الوقت مـــن التغلغل في صفوف المسلمين والعمل على بث التضليل والانحراف بينهم بكل حرية ووقاحة . اما الامة المسلمة الحرة المستقلة فهي في نظرهم ارض قاحلة جدباء لا يحبونها ولا يمكن ان يرضوا بها من قرارة انفسهم .

ويمكننا في هذا المقام ان نستشهد على ما نقول بعدد غير يسير من بيانات ميرزا غلام احمد نفسه وبيانات كثير من اتباعه ، ولكننا نكتفي هنا بسرد بعضها :

يقول الميرزا غلام احمد : «بل لقد بالغت هـــذه الحكومة (أي الحكومة البريطانية) في الاحسان الينا ولها علينا أياد بيضاء ، حتى اننا ان خرجنا من ههنا (اي من حدود هذه الدولة) لا يمكن ان نلتجىء الى مكة ولا الـــى

قسطنطنية . فكيف يمكن اذن أن يمر في خاطرنا شيء من سوء الظن بهذه الحكومة ؟ (١)

ويقول : « لا يمكنني أن احقق دعوني كمال التحقيق في مكة ولا في المدينة ولا في الروم ولا في الشام ولا في فارس ولا في كابل ، ولكن تحت هذه الحكومــة التي أدعو لها دائما بالازدهار والانتصار » (٢)

ويقول «فكروا قليلا ، أي ارض في الدنيا تؤويكم إن فارقتم ظل هذه الحكومة ؟ دلوني على حكومة واحدة تقبلكم في كنفها ؟ ان كل حكومة من الحكومـــات الاسلامية تعض عليكم الانامل من الغيظ وتتربص بــكم الدوائر وتترقب الفرص لقتلكم، لانكم قد اصبحتم في نظرها كفارا ومرتدين . فاعرفوا لهذه النعمة الالهية (نعمة وجود الحكومة البريطانية) قدرها واعلموا علم اليقين أن الله تعالى ما اقام الحكومة الانكليزية في البلاد الا لخيركم وصالحكم ، فان حلت بهذه الحكومة آفة من الآفات ، فستبيدكـــم هذه الآفة ايضا ..

واذا اردتم برهانا على ما اقول فاستظلوا بحكم غيرها ، وعندئذ ستعلمون ماذا سينزل بكم ، ان الحكومة البريطانية رحمة لكم وبركة عليكم ، وهي الحصن الذي اقامـــه الله لوقايتكم ، فقدروها حق التقدير من اعماق قلوبكم

---

(١) الملفوظات الأحمدية ج ١ ص ١٤٦ .
(٢) تبليغ الرسالة لميرزا غلام أحمد ج ٦ ص ٦٩

ومهجكم . والانكليز خير لكم ألف مرة من هوءلاء المسلمين الذين يخالفونكم ؛ لان الانكليز لا يريدون اذلالكم ولا يرون وجوب قتلكم ».[1]

ويقول : « ليس يخاف على الذين يدرسون تاريخ الأمم ما عاملت به الحكومة الفارسية الميرزا على محمد باب موسس الفرقة البابية واتباعه المساكين فقد انزلت بهم الوانا مــن الشدائد . لا لشيء الا لمجرد الخلاف الديني كما لا يخفى على المطلعين على الحوادث الهامة في التاريخ ما عاملت به الحكومة التركية ، التي تعتبر دولة اوروبية ، بهاء الله موسس الفرقة البابية البهائية واتباعه بين عامي ١٨٦٣ ــ ١٨٩٣ فقد زجت بهم في غياهب سجون القسطنطنية اولا ثم في سجــون ايدرانوفل ومكة . اننا لا نعرف في الدنيا الا ثلاث دول كبيرة[2] وقــد اظهرت جميعها من العصبية الدينية وضيق النظر في عصر المدنيـة هـذا ما يجعلنا نستيقن بأن حريـة الاحمديين انما هي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالتاج البريطاني . . فجميع الأحمديين المخلصين الذين يعتقدون الميرزا عليــه السلام مرسلا من الله ويعتبرونه رجلا مقدسا يجب عليهم أن يوقنوا من اعماق قلوبهم من غير مجاملة ولا رياء بأن

---

(١) « نصيحة غالية للجماعة » للميرزا غلام أحمد وهي مندرجة في « تبليغ الرسالة » ج ١٠ ص ١٢٣٥

(٢) الأغلب أن المراد بهذه الدول هي الدول الإسلامية في ذلك الوقت وهي تركيا وفارس وأفغانستان .

الحكومة البريطانية انما هي فضل لهم من الله وظل من رحمته ، وان يعتقدوا اعتقادا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بأن حياة هذه الحكومة هي حياتهم .[1]

العبارات السابقة تشهد شهادة واضحة على ان تلك الشرذمة من دعاة النبوة المختلفة يدركون تمام الادراك ان عبودية الكفار التي هي اكبر مصيبة بالنسبة للمسلمين هي بالنسبة لهم الخير كله ففي ظلها يستطيعون أن يعملوا ما تسول لهم انفسهم من بذر بذور الشقاق في صفوف المسلمين ويفتعلون ما يعن لهم أن يفتعلوا من فتن النبوات الجديدة . واما إن قامت حكومة يحكم فيها المسلمون انفسهم بانفسهم بكل حرية واستقلال فإنها على رغم كونها رحمة بالنسبة للمسلين تصبح آفة بالنسبة للقاديانيين اذ ان المسلمين الاحرار لا يمكنهم ان يصبروا بحال من الاحوال على تخريب دينهم وغرس بذور الشقاق في مجتمعهم .

وأدهى من ذلك وأمر أن القاديانيين قد بدأ ينشأ فيهم بعد استقلال باكستان اتجاه جديد هو أن يؤسسوا في داخل هذه الدولة دويلة لأنفسهم . فما كادت تمضي على قيام باكستان سنة كاملة حتى القى الخليفة القادياني بشير الدين محمود أحمد خطبة في مدينة كوئتة في ٢٣ يوليو سنة ١٩٤٨ نشرت في عدد الفضل الصادر في ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٨ . ومما جاء فيها :

---

(١) جريدة الفضل : العدد الصادر في ١٣ سبتمبر ١٩١٤ م

« اليكم مقاطعة بلوجستان البريطانية – التي هي جزء من بلوجستان الباكستانية الآن – عدد سكانها نحو خمسمائة أو ستمائة ألف نسمة . وهذا العدد وإن كان أقل من عدد سكان المقاطعات الأخرى ولكن لهذه المقاطعة أهمية بالغة باعتبارها وحدة من وحدات البلاد . فكما أن الأفراد لهم قيمة في الدنيا كذلك لهذه الوحدة في كيان باكستان قيمتها – وإني لضارب لكم مثلا بالدستور الأمريكي فهناك تمثل كل ولاية في مجلس الشيوخ بعدد سواء من الأعضاء . ولا ينظر في ذلك إلى عدد سكان كل ولاية قلوا أم كثروا . فإذا أضفنا إلى بلوجستان البريطانية ولاية بلوجستان بكاملها لصار السكان قرابة المليون و هي تشكل أهمية كبرى لكونها وحدة من الوحدات . وإنكم لمدركون معي صعوبة تحويل سكان المقاطعات الكبيرة إلى أحمديين . ولكن ألاترون أنه من الممكن أن نحول سكان مقاطعة صغيرة كهذه إلى أحمديين . إننا إن أولينا تلك المقاطعة عنايتنا فمن الممكن أن ننشر لواء الأحمدية عليها ... إلا أن دعوتنا لن تنجح إلا إذا كانت قاعدتنا محكمة متينة فإن استحكمت القاعدة فإن دعوتنا ستأخذ في الإزدهار، إذن فاحكموا قاعدتكم أولاً ... أقيموها في موضع من المواضع في البلاد ... فإن جعلنا سكان المقاطعة جميعاً أحمديين يكون في أيدينا مقاطعة يمكننا أن نقول عنها إنها مقاطعة أحمدية وذلك عمل يمكن أن يتم بسهولة »(١)

١ – بعد ذلك الكلام أريد ان أسأل الذين يريدون منا

(١) جريدة الفضل العدد الصادر في ١٣ أغسطس ١٩٤٨ م

ان نصبر على امر القاديانيين واعمالهم بحجة أن هناك في المسلمين طوائف اخرى : هل توجد مثل هذه النزعات والاتجاهات الخطيرة في طائفة من هذه الطوائف ؟ وهـــل ترى احداها الحكم غير الاسلامي ملائما لدينها والحكم الاسلامي ضارا بها ؟ واذا قام الحكم الاسلامي في البلاد على الرغم من أنفسها تأججت نار الحسرة في صدور اهلها وبدأوا يفكرون في تأسيس دولة لانفسهم في داخل بلاد المسلمين ؟ فاذا لم تكن هناك من هذه الطوائف طائفـــة هذا شأنها فلماذا يريدون منا أن نقيس عليهم القاديانيين ؟

وخذ الآن مسألة ثالثة وهي أن المطالبة بالانفصال إنما تصدر من الاقلية . اما إن جاءت الاغلبية الساحقة تقوم بهذه المطالبة فهذا امر مقلوب وغير معقول في الوقت ذاته .

ومن المعلوم ان الانسان لا يطالب بشيء ما لم تدفعه اليه حاجة ، وصحة طلبه لا بد ان تستند على صحة حاجته ومعقوليتها . وارتباط الاقلية القاديانية مع الاغلبية المسلمة لا يضر الا بالاخرى في هذه القضية، والأقلية الاحمدية تشكل انفصالا تجني من وراء ذلك فوائد الانفصال في جانب ، وفي الجانب الآخر تجعل نفسها جزءا من الأغلبية الساحقة وتقطف ثمار الارتباط ايضا فلأجل ذلك قد اضطرت الاغلبية الى ان تطالب بفصل الاقلية الاحمدية من الناحية الدستورية فهي تقطع علاقاتها الدينية والاجتماعية مـــع

المسلمين وتنظم افرادها تنظيما مستقلا عنهم ، وتحاربهم في كل مضمار بخطة مدروسة في جانب ، وفي الجانب الآخر تندس في صفوف المسلمين كأنها منهم ، وتبث دعوتها بينهم . وتغرس بذور الشقاق والتفكك في المجتمع الاسلامي . وتنال من الوظائف الحكومية نصيبا أوفر ، أضعافا مضاعفة من نصيبها المفروض أن تناله لو كانت من المسلمين . فمن الظاهر أن هذا الوضع لا يضر الا بالاغلبية . فليت شعري اي سبب معقول يقتضي (اذا كانت الاقلية لا تطالب بالانفصال بنفسها) أن يسمح لها بالجثوم فوق صدر الاغلبية أو تبقى في جسدها جرحا يقطر دما وترفض مطالبة الاغلبية بفصلها عنها .

إن دواعي الانفصال لم توجدها الاغلبية ، ولكن الاقلية هي التي اوجدتها بنفسها فهي التي انشأت مجتمعها مستقلا عن مجتمع المسلمين، وقطعت علاقاتها الدينية والاجتماعية بهم .فكان الاحرى بتلك الاقلية أن تقبل بهذا الانفصال الذي اختارته هي في واقع الأمر . فاذا كانت اليوم معرضة عن قبول الانفصال فالسؤال لا يتجه الا اليها . وعليهـــا أن تسلط الاضواء على سبب هذا الاعراض .

لقد انعم الله عليكم بنعمة العقل والبصيرة فتبينوابأنفسكم لماذا هم معرضون عن قبول نتائج اعمالهم ؟ فان كانـــوا يريدون السوء والمكر والختل والغدر فمالكم يا من تدعون

تمثيل الاغلبية تتركونها تقع فريسة لمكر هذه الاقلية وغدرها ودسائسها ؟

ولنبحث الآن في المسألة الاخيرة وهي ان القاديانيين يدافعون عن الاسلام وينشرون دعوته فلا ينبغي أن يعاملوا بمثل هذه المعاملة ؟ .

والحق ان تلك دعوة فاسدة قد وقع المتعلمون الجدد عامة في مصيدتها وإنا نطلب اليهم أن يمعنوا النظر ويطيلوا التأمل فيما سنذكر لهم الآن من بيانات للميرزا غلام احمد نفسه ، فانها ستكشف لهم الغطاء عما كان يريد مؤسس هذه النحلة الجديدة من وراء نهوضه بالدعوة الى الاسلام والدفاع عنه :

كتب الميرزا في كتابه (ترياق القلوب : المطبوع في مطبعة ضياء الاسلام بقاديان في ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٠٢ الملحق رقم ٣ بعنوان « عريضة متواضعة الى جناب الحكومة السامية) : »

« لا ازال منذ عشرين عاما انشر بدافع من الحماسة القلبية كتبا باللغات الفارسية والعربية والانكليزية والاردية اكرر فيها مرة بعد مرة أن المسلمين من واجبهم الذي يكونون آثمين عند الله ان تركوه ، أن يكونوا أولياء مخلصين وفدائيين وفيين لهذه الحكومة ، ويكفوا ايديهم عن الجهاد ، ويتخلوا عن فكرة الانتظار للمهدي السفاح وما الى ذلك من الظنون الواهية التي لا يمكن ثبوتها من القرآن ابدا ، وأنهم

ان أبوا الاقلاع عن هذا الخطأ فمن واجبهم على الاقل ألا يكونوا كافرين لنعمة هذه الحكومة المحسنة وألا يكونوا آثمين عند الله بعدم الوفاء لها [1]

ثم ورد في هذه العريضة المتواضعة نفسها ما يلي :

« وها قد آن لي ان اقول لجناب حكومتي المحسنة بكل جرأة : ان هذه هي خدماتي التي قمت بها خلال العشرين سنة الماضية ولا يمكن ان تأتي اية اسرة اسلامية من أسر الهند البريطانية بما يضاهيها،ومن الظاهر ايضا ان المضي في تلقين الناس التعاليم المذكورة آنفا بكل تأكيد لمدة طويلة وهي عشرون عاما لا يمكن أن يتأتى من رجل منافق أو محب لذاته بل من رجل قلبه مشبع بالاخلاص الصادق لهذه الحكومة . نعم انا اقر باني اجادل رجال الديانات الاخرى بصدق نبيّ ، وانشر كتب المجادلة ضد المبشرين المسيحيين والارساليات المسيحية . كما اقر بأنه لما قست كتابات المبشرين والارساليات المسيحية وتجاوزت حد الاعتدال ولاسيما ما نشر في « نورافشان » وهي جريدة مسيحية تصدر من مدينة لوديانة ، من كتابات مليئة بالخبث والبذاءة واستعمل هؤلاء المؤلفون في شأن نبينا صلى الله عليه وسلم ألفاظا سخيفة ركيكة – نعوذ بالله منها – مثل : أن هذا الرجل كان سارقا وناهبا وقاطعا للطرق وعاهرا ، ونشروا في مئات الصحف أن هذا الرجل كان مغرما بينته غراما فيه

---

(١) ترياق القلوب ص ٣٠٧

سوء النية ، وكان مع ذلك كاذبا ، وكان النهب وسفك الدماء من شغله الشاغل » فلما رأيت هذه الكتب والجرائد خشيت في نفسي أن تؤثر هذه الكلمات في قلوب المسلمين وهم قوم سريعوا التهيج فيثوروا لذلك ، وكسرا لسورة المسلمين واطفاء لجذوة حماسهم رأيت بنيتي الصحيحة النزيهة أن من حسن السياسة للتخفيف من هذا السخط العام بأن اردن على هذه الكتابات بشيء من الشدة حتى تنكسر سورة سريعي الغضب من الناس ولا يحدث شيء يخل بأمن البلاد . وللرد على الكتب من هذا النوع التي عظم فيها فحش مؤلفيها الّفت كتبا قابلت فيها الشدة بمثلها لاني وجدت أن ذلك هو الطريق الوحيد لاطفاء جذوة الغيظ والغضب في نفوس المتحمسين من المسلمين . »(١)

ثم كتب بعد بضعة اسطر :

« فكل ما قد وقع مني ضد المبشرين المسيحيين لم يدفعني اليه الا رغبتي في أخذ المسلمين بالحكمة والسياسة ، وأن ادخل السرور على نفوسهم واميت ثورة نفوسهم المستوحشة . واني اقول مدّعيا : بانني اكثر المسلمين اخلاصا ومناصرة للحكومة البريطانية لان هناك ثلاثة امور قد جعلتني اسمو في اخلاصي لتلك الحكومة الى الدرجة الاولى ، واول تلك الامور نفوذ المغفور له والدي ،

---

(٢) ترياق القلوب ص ٣٠٨ و ٣٠٩

وثانيها ايادي هذه الحكومة السامية . وثالثها الالهام من الله تعالى » [1]

كذلك كتب الميرزا في ملحق كتابه شهادة القرآن « بعنوان » كلمة جديرة باستلفات انظار الحكومة :

« من ديني الذي انا ابديه للناس مرة بعد اخرى ان الاسلام منقسم الى قسمين : الاول ان نطيع الله تعالى ، الثاني ان نطيع الحكومة التي بسطت الامن واظلتنا بظلها وحمتنا من ايدي الظالمين . وهذه الحكومة هي الحكومة البريطانية » [2]

نص عريضة رفعها الميرزا غلام احمد الى « صاحب السمو قائمقام الحاكم دام مجده » التي قد اكد فيها الميرزا غلام احمد للحاكم اخلاص اسرته للحكومة البريطانية ، واشاد بما قامت به اسرته من الاعمال في سبيل خدمة تلك الحكومة . ونقل ما تلقى والده الميرزا غلام مرتضى خان من الرسائل من حاكم مديرية لاهـور المعتمد المالي لمقاطعة بنجاب وغيرهما من الحكام الانكليز الآخرين الذين اعترفوا له فيها بالخدمات الجليلة التي تدل على الاخلاص والوفاء والحب والولاء للحكومة الانكليزية . وكذلك عدد له ما قام به اكابر اسرته الآخرون من التضحيات والخدمات لهذه الحكومة المحسنة ، ثم كتب :

---

(١) ترياق القلوب ٣٠٩ و ٣١٠

(٢) شهادة القرآن : طبعة سادسة طبعت في مطبعة بنجاب بسيالكوت ص ٣ .

« ان العمل المهم الذي انا منصرف اليه بلساني وقلمي منذ اول عهدي بهذه الحياة الى هذا اليوم وانا ابن الستين هو ان اصرف قلوب المسلمين الى طريق الحب والولاء والاخلاص والوفاء الخالص الصادق للحكومة الانكليزية، وازيل عن نفوس بعض سفهائهم الاوهام الخاطئة كالجهاد وغيره مما يصدهم عن صفاء القلوب ويصرفهم عن الصلات القائمة على الاخلاص » (١)

ثم كتب بعد قليل :

« واني لم اعمل على تعبئة قلوب مسلمي الهند البريطانية بالطاعة والولاء للحكومة البريطانية فحسب ، بل الفت كذلك كتبا كثيرة بالعربية والفارسية والاردية اطلعت فيها سكان البلاد الاسلامية الأخرى على ما نعمنا به من التمتع بالامن والسعادة والرفاهية والحرية في كنف الحكومة البريطانية وتحت ظلها الوارف » (٢)

ثم سجل قائمة طويلة لكتبه التي تشهد بخدماته الدالة على خالص الحب وعظيم الولاء فكتب :

« وعلى الحكومة ان تتحقق وتتبين من ان هؤلاء الالوف من المسلمين الذين كفروني واطالوا السنتهم

---

(١) تبليغ الرسالة ج ٧ ص ١٠ نسخة مطبوعة في مطبعة فاروق بقاديان في أغسطس ١٩٢٢ م

(٢) نفس المصدر ص ١٠

بالسب والشتم فيّ وفي رجال جماعتي وهم كثيرون ومنتشرون في بنجاب وفي سائر الهند ، والذين آلوا على انفسهم ان ينالونا بكل سوء ، ان السبب الحقيقي لكل ما فعلوه هو أني نشرت على الرغم من آرائهم آلافا مؤلفة من المطبوعات تفيض شكرا خالصا للحكومة وقد امليتها من قرارة نفسي وصميم روحي وقلبي وارسلت مثل هذه الكتب الى بلاد العرب والشام وغيرهما. أليست تلك الامور من الامور الثابتة الواضحة؟ واذا شرفتنا الحكومة السامية بعنايتها بي فاني سوف اقدم الشهادات الدالة على ذلك . واني لأقول بكل قوة واعلن للحكومة بكل تأكيد أن فرقتنا الجديدة هي في الدرجة الاولى من الولاء للحكومة ، وهي اكثر الفرق الاسلامية اخلاصا وحبا ووفاء واستعداداً للتضحية في سبيلها وليس في مبادئها ما يعد خطرا عليها بأي وجه من الوجوه » [1]

ثم كتب بعد قليل :

« واني لعلى يقين بأنه بقدر ما يكثر من اتباعي بقدر ما يقل المعتقدون بمسألة الجهاد المقدس ، فان مجرد الايمان بي كالمسيح والمهدي هو انكار للجهاد » [2]

ولنضرب الصفح قليلا عما إذا كان من الممكن ان

---

(١) المصدر السابق ص ١٠

(٢) المصدر السابق ص ١٧

تكون هذه العبارات وهذه اللغة لنبي من الانبياء ام لا ؟
والذي نريد ان نلفت اليه انظار القراء أن هذه هي الدواعي والبواعث التي اعلنها مؤسس هذه النحلة بنفسه وابتغاها من وراء قيامه بالدعوة الى الاسلام ونشر تعاليمه والدفاع عنه .
فهل تبقى هذه « الخدمة للدين » حتى بعد كل هذا جديرة بالثناء مستحقة للتقدير والاجلال ؟ ولكنه إذا تعذر على أحد حتى بعد كل هذا ان يعرف حقيقة هذه الخدمة المزعومة للدين فسنطلب اليه أن يطيل النظر والتأمل فيما يلي من اعترافات القاديانيين أنفسهم :

يقول الميرزا بشير الدين محمود احمد الخليفة الثاني للميرزا غلام احمد :

« من المصادفة ان قد عثرنا أخيرا وبعد زمن طويل في احدى المكاتب على كتاب طبع قديما ثم نفدت نسخه واصبح من النوادر وصاحب هذا الكتاب هو مهندس ايطالي ظل يشغل منصبا كبيرا في افغانستان فقد جاء في كتابه أن المدعو صاحب زادة عبد اللطيف « القاديانيى » انما قتل في افغانستان لأنه كان يدعو الناس الى ترك الجهاد فأقض ذلك مضجع الحكومة الافغانية لانها خافت أن تسبب دعوته ضعفا في عاطفة الحرية بين الافغانيين وتسلط على رؤوسهم النفوذ الانكليزي ... ويثبت لنا من رواية ذلك الراوي الثقة أن الحكومة الافغانية لم تقدم على قتل ذلك القادياني الا لانه حرك لسانه داعيا الى معارضة

الجهاد وتركه [١] .

وقد اصدر وزير خارجية حكومة افغانستان الاعلان التالي :

كان رجلان من اهل كابل : الملا عبد الحليم الجهار آسياني، والملا نور علي الحانوتي، قد اعتنقا العقائد القاديانية واخــذا يضللان الناس بتلقينهم تلك العقيدة تحت ستار الاصلاح وقد رفع أمرهما الى المحكمة منذ زمن في قضية اخرى ، ووجدت عندهما رسائل من بعض الاجانب تثبت انهما قد تآمرا معهم ضد مصالح حكومة افغانستان ويظهر بوضوح من هذه الرسائل انهما كانا عميلين مرتزقين لاعداء افغانستان » [٢]

ويقول احد دعاة القاديانية :

« اني كنت قد ذهبت الى روسيا للدعوة الى الاحمدية ولكنه لما كانت مصالح الاحمديين ومصالح الحكومة البريطانية متفقة مرتبطة بعضها ببعض فكنت كلما دعوت الناس الى فرقتي رأيت من الواجب على نفسي أن أقوم بخدمة الحكومة البريطانية ايضا » [٣]

---

(١) من خطبة الجمعة للميرزا بشير الدين محمود أحمد ، المنشورة في جريدة الفضل الصادرة في ١٦ أغسطس سنة ١٩٣٥ م

(٢) جريدة الفضل الصادرة في ٣ مارس ١٩٢٥ م

(٣) تصريح محمد أمين الداعي القادياني المنشور في جريدة الفضل الصادرة في ٢٨ سبتمبر ١٩٢٢ م

يقول الخليفة القادياني :

« الدنيا تعتبرنا عملاء للانكليز .وعندما اشترك احــد وزراء المانيا في افتتاح العمارة الاحمدية بألمانيا استجوبته حكومته : لماذا شاركت في مناسبة تخص جماعة هم عملاء للانكليز ؟ » (١)

يقول مسؤول قادياني :

« نرجو ان يتسع لناالميدان لنشر الاسلام مع اتساع الامبراطورية البريطانية ونتمكن من ادخال المسلمين في الاسلام من جديد مع جعل غير المسلمين مسلمين » (٢)

وتقول جريدة الفضل القاديانية :

والواقع ان الحكومة البريطانية جنة لنا ولا تزال الجماعة الاحمدية تتقدم الى الامام تحت ظلها فاذا نحيتم هذه الجنة قليــلا الى جانب فـتعلمون كيــف ينزل عــلى رؤوسكم مطر مخيف من السهام المسمومة . فلماذا اذن لا نكون شاكرين لهذه الحكومة وقد اتحدت مصالحنا مــع مصالحها ، وما هلاكها الا هلاكنا وما رقيها الا رقينا .

---

(١) من خطبة الخليفة القادياني ، المنشورة في جريدة الفضل الصادرة في أول نوفمبر ١٩٣٤ م

(٢) رأي مسؤول قادياني أعرب عنه بمناسبة جولة اللورد هاردنج بالعراق نشر في جريدة الفضل : العدد الصادر في ١١ فبراير سنة ١٩١٠ م

فحيثما تتسع رقعة هذه الحكومة يبرز لنا ميدان جديد من ميادين نشر الدعوة » (١)

ومما صرح به الخليفة القادياني ما يلي :

« وعلاقة الفرقة الاحمدية بالحكومة البريطانية ليست كعلاقات غيرها من الجماعات بها فان مقتضيات احوالنا تختلف عن غيرنا، فاننا نجد ان ما يفيد تلك الحكومة انما هو فائدة لنا فمع تقدم الحكومة البريطانية تسنح لنا الفرصة للتقدم الى الامام، واذا اصابها اذى – لا سمح الله – فلا يمكننا أن نجتنبه ونعيش في امان » (٢)

وها نحن قد اوضحنا لكم حقيقة الجماعة القاديانية وكشفنا الغطاء عن عقائدها واتجاهاتها واعمالها وسنبين لكم الآن تطور تلك الدعوة .

١ – مضى اكثر من نصف قرن كان المسلمون يعيشون فيه عيشة العبودية والذل في الحكم الانكليزي فقام في بنجاب رجل ادعى النبوة . فالامة التي قد جعلتها كلمة التوحيد والرسالة المحمدية امة واحدة . ومجتمعاً واحداً أدعى فيها هذا الرجل فقال انه لا يكفي للناس ان ارادوا الاسلام ان يقتصروا على الايمان بالله الواحد وبرسالة

(١) جريدة الفضل : العدد الصادر في ١٩ أكتوبر ١٩١٥ م
(٢) تصريح الخليفة القادياني المنشور في جريدة الفضل : العدد الصادر في ٢٧ يوليو ١٩١٨ م

محمد صلى الله عليه وسلم ، بل لا بد لهم مع ذلك من أن يؤمنوا بنبوة ذلك المدعي وان كل من لم يؤمن به يعتبر كافرا خارجا عن حظيرة الاسلام .

٢ ـ وعلى هذا الادعاء كوّن ذلك الرجل ممن آمنوا به امة جديدة ومجتمعا مستقلا بنفسه فأصبح بينهم وبين المسلمين مثل ما بين المسلمين والهنادك والنصارى من الفرقة والتباعد في العقائد والاعمال . . واصبح القاديانيون لا يشاركون المسلمين لا في عقائدهم واعمالهم فحسب بل لا في آمالهم وآلامهم ولا فيما يربطونهم من روابط عائلية .

٣ ـ كان مؤسس هذه الامة الجديدة على شعور تام منذ اول أمره ان المجتمع المسلم لا يمكن ان يصبر عن طيب خاطر منه على هذه التفرقة وتشتت الكلمة، ولذلك اتخذ ذلك الرجل وعصابته طريق الولاء والاخلاص والمحبة والخدمة الاكيدة للحكومة الانكليزية . ولم يكن ذلك كسياسة عملية فحسب بل انهم احسوا ان مصلحتهم منوطة بسيطرة الكفر والباطل . فمن أجل ذلك ظلوا منذ اول عهدهم يتمنون للاستعباد الانكليزي الغلبة والانتشار والازدهار لا في بلاد الهند وحدها ، بل وفي سائر البلاد الاسلامية حتى يتمكنوا من نشر باطلهم ونفث سمومهم .

٤ ـ وبالتواطوء مع النفوذ الاجنبي خيبت هذه الجماعة جميع ما بذل المسلمون من الجهود في نصف

القرن الماضي لاخراجها من المجتمع الاسلامي كما أن الحكومة الانكليزية ابت الا ان تبقي هذه الطائفة الجديدة في عداد المسلمين ، مع انهم حرب عوان عليهم ومع ما هم عليه من خلاف متناه بينهم في كل الامور ، وقد أصيب المسلمون من ذلك بضرر مزدوج بينما ظفرت تلك الطائفة بالمنافع المزدوجة :

فقد ظلت الحكومة على الرغم من جهود العلماء تعمل على اقناع عامة المسلمين بأن القاديانيين ليسوا الا فرقة من فرق المسلمين انفسهم ، وان الطائفة القاديانية انما هي جزء من اجزاء المجتمع الاسلامي نفسه. الامر الذي سهل على القاديانيين نشر فكرتهم في المسلمين . فكان المسلم لا يساوره الخوف حين اعتناقه الدعوة القاديانية أن يطرد من مجتمع ويلتجيء الى المجتمع المسلم حين يعتنق القاديانية لا يتصور أنه بذلك قد خرج من الأمة الاسلامية وعقائدها ، مما سهل للقاديانية اكتساب أرض جديدة في صفوف المسلمين فكثر عددهم والحقوا بالمسلمين الضرر الكبير ؛ لأن مجتمعا جديدا يخالفهم كل المخالفة ما زال ينمو ويتفشى كالسرطان في ظل مجتمعهم الاسلامي .

ولما كانت الفتنة القاديانية قد رفعت رأسها في ارض البنجاب فقد اصيبت من ضرباتها وويلاتها وهزاتها بما لم تصب به ارض غيرها ولذلك كان طبيعيا أن يكون اهلها اكثر المسلمين غيظا واشدهم حنقا على هذه الفتنة .

ولقد نالت تلك الفرقة الحظوة لدى الحكومة الانكليزية فكانت تظفر بنصيب الاسد مـــن المناصب في الجيش والشرطة والمحاكم وسائر دوائر الحكومة . والعجيب انها نالت كل ذلك من المناصب التي كانت الحكومة قد خصصتها للمسلمين من الوظائف لان الحكومة تعدها من الفرق الاسلامية . وفي الوقت نفسه ظلت الحكومة تعمل على إقناع المسلمين بأن هذه المناصب لا ينالها الا المسلمون انفسهم وبمثل هذه المعاملة عومل المسلمون في النواحي الاخرى الاقتصادية كالتجارة والصناعة والزراعة .

البيان الأول

الحق أن بدء الخلاف القائم اليوم بين المسلمين والقاديانيين يرجع إلى أوائل هذا القرن العشرين !

والميرزا (غلام أحمد) القادياني ، وإن قام وظل يقوم بمختلف الدعاوى إلى نهاية القرن التاسع عشر ، وإن كان حدث في المسلمين قلق لأجل هذه الدعاوى، إلا أنه ما كان قد جاء إلى ذلك الحين بدعوى قاطعة صريحة !

وفي سنة ١٩٠٢ جاء بدعواه القاطعة الصريحة للنبوة ، ومن ثم قام نزاع شديد متواصل بين المؤمنين به وبين عامة المسلمين !

١- دعوة النبوة الجديدة هي الأساس للخلاف :

وسبب هذا النزاع أن النبوة هي إحدى مسائل الإسلام الأساسيّة ، ومن الواجب على كل فرد من أفراد المسلمين إذا قام فيهم رجل يدّعي النبوة أن يقطع برأيه إما بالإيمان بهذا المدّعي به ، أو الكفر به ، فالذين يؤمنون به يصبحون أمة واحدة ، ويعتقدون كفر جميع من لم يؤمن بنبيّهم هذا !

وكذلك يصبح الذين لا يؤمنون بهذا النبيّ أمة مستقلة عن الطائفة المتقدّمة الذكر ، ويعتقدون طبعاً كفر كل من آمن بهذا النبيّ المستحدث !

ومن أجل هذا ما زال المؤمنون بالميرزا وغير المؤمنين به يتقاطعون فيما بينهم ، منذ ظهور الميرزا بدعوى النبوة !

وقد كفّر الميرزا نفسُه ، وكذلك أتباعه وخلفاؤه من بعده علناً في خطبهم وكتاباتهم جميع المسلمين الذين ما آمنوا به ، وكذلك ما زالت فرق المسلمين كلها تكفر الميرزا وأتباعه من أول أمرهم !

٢- الأسباب الأساسيّة الثلاثة للنزاع :

وهناك ثلاثة أمور ظلت تزيد هذا النزاع حدةً وتنفخ في ناره يوماً فيوماً :

أ : نشاط أتباع هذه النحلة الجديدة ، وتحمسهم للدعوة إلى فكرتهم ومثابرتهم على

المجادلة والمناظرة ، مما جعل كل رجل منهم يحدث صراعاً عنيفاً في بيته ووسطه الذي يعيش فيه !

ب : كون معظم هذا النشاط وهذه المجادلات والمناظرات موجهة لإحداث خلاف بين المسلمين ، مما جعل المسلمين يثورون عليهم وعلى دعوتهم في أغلب الأحيان !

جـ - قيامهم بالدعوة إلى فكرتهم ونحلتهم الجديدة باسم الإسلام ، مع بقائهم في مجتمع المسلمين ، كأنهم جزء منه ، فيدخل في دينهم ضعاف الإيمان قليلو المعرفة ، من أفراد المسلمين ، ظنّاً منهم أنهم لا يخرجون بذلك من الأمة الإسلاميّة ، ويدخلون في أمة غيرها ، مما يثير الغضب والحنق في قلوب المسلمين ، أكثر مما إذا وجدوا رجلاً يرتدّ عن دينهم على يد رجل من اليهود أو النصارى ، فإن دعوته لا توهم رجلاً من المسلمين أنه لا يزال في عداد المسلمين مع خروجه من جماعتهم وانفصاله عنها ومخالفته لها !

٢- ليست القاديانيّة بمفسدة دينيّة فحسب بل معضلة اجتماعيّة مُرة أيضاً :

ما كان هذا النزاع في بدء أمره إلا نزاعاً دينيّاً فحسب ، ولكن سرعان ما انقلب إلى معضلة اجتماعيّة عنيفة مؤلمة !

وذلك أن الميرزا وخلفاءه كلهم أفتوا بأنه لا ينبغي أن يكون بين الأحديّين - ويريدون أنفسهم - وغير الأحديّين من العلاقة إلا مثل ما يكون بين المسلمين واليهود والنصارى: أي أنه لا يجوز لأحدي أن يزوج ابنته برجل من المسلمين ، وإن كان له أن يتزوج من بنته ، ولا يحل له أن يصلّي خلف رجل من غير الأحديّين أو يصلّي على جنازة موتاهم ، ومن نتيجة ذلك اللازمة أن قابلهم المسلمون بمثله ، حتى نشأت بين المسلمين والقاديانيّين حالة المقاطعة الاجتماعيّة !

وما كانت الفرقة التي نشأت بين المسلمين والقاديانيّين بهذه المقاطعة بفرقة مؤقتة ارتجاليّة ، بل كانت فرقة ما زالت تتوسع وتتأكد مع مرور الأيام، لأن القاديانيّة كانت حركة قائمة على مبادئ تخالف تمام المخالفة ما عليه المسلمون، وكانت لا تزال تحدث الشقاق في أسر المسلمين برد فرد من أفرادها عن الإسلام وإدخاله في دينها ، فما دخلت القاديانيّة بيتاً أو أسرة أو قرية أو حيّاً أو مجتمعاً من المجتمعات متبنية المقاطعة الاجتماعيّة إلا بذرت فيها بذور الشقاق والمشاحنة والتباغض !

ومن الممكن لكم أن تقدروا ما أحدثت القاديانيّة من المشاكسات والتطاحنات في المجتمع الإسلامي ، من أن الرجال وزوجاتهم يعتقدون حرمة بعضهم على بعض ، أو يشكون على الأقل في إباحة ما بينهم من صلة الزوجيّة ، وانقطع الأخ على الصلاة على جنازة أخيه إذا مات ، ويبدأ الأب يعامل ابنه والابن أباه معاملة الكفار ، وانقطعت علاقات الزواج والمصاهرة في الأسرة الواحدة !

ما زالت هذه المشاكسات تزداد شدة وغلظة خلال الخمسين سنة الماضية، مع انتشار القاديانيّة وتقدمها ، وقد واجهت بنجاب هذه الفتنة وابتليت بويلاتها أكثر من أي أرض أخرى ، لأن سمومها سرت إلى ألوف من الأسر فيها !

٤- الصراع الاقتصادي :

ما كاد يمضي إلا مدة يسيرة من الزمن حتى امتد نزاع المسلمين والقاديانيّين هذا إلى ميدان الاقتصاد أيضاً !

وكان يوجد في القاديانيّين ميل شديد إلى التكتّل منذ أول أمرهم ، لأجل ما كان بينهم وبين المسلمين من نزاع ديني واجتماعي ، ولأجل ما كانوا عليه بطبيعة الحال من نشاط دائب في دعوتهم الجديدة ، فنظّموا أنفسهم ، وبدؤوا يُؤثِرون القاديانيّين على غير القاديانيّين ، حيثما حصلوا على السلطة في دوائر الحكومة ، ويتعاونون فيما بينهم على التقدم في كل شعبة من شعب الاقتصاد !

وذلك مما زاد العلاقة بين المسلمين والقاديانيّين سوءاً فوق سوئها ، ولا يخفى على أحد ما ظلت عليه الطائفتان من صراع عنيف ونضال متواصل في الوظائف الحكوميّة بصفة خاصة !

وزادت الطين بلة محسوبيّة القاديانيّين وتعبئة مختلف دوائر الحكومة بأقربائهم وذويهم!

وقد ابتليت (**بنجاب**) بهذه الفتنة ، وذاقت من وبالها أكثر مما ذاقته أي بلاد غيرها، لأن أكثر القاديانيّين يسكنون في هذه المقاطعة ، والصراع قائم فيها بين المسلمين والقاديانيّين ، منذ أول الأمر في حقول الزراعة ، والتجارة ، والصناعة ، والحرفة ، والوظائف الحكوميّة !

ولا ينبغي أن يغيب عن البال بهذا الصدد أن هذا النزاع من نوع ذلك النزاع الذي

فرق من قبل بين المسلمين والهنادك ، وبلغ بهم إلى الحد الأقصى من التباغض والمعاداة !

٥- القاديانيّة منظمة تحدث الفساد والدمار في المجتمع :

من الطبيعي أن يظهر الصراع السياسي بين طائفتين كانعكاس للصراع في مجالات الدين والاجتماع والاقتصاد ، ولكن هذا الصراع السياسي بين المسلمين والقاديانيّين له أسباب أخرى أكثر عمقاً من كل ذلك !

لقد كان الميرزا (**غلام أحمد**) وأتباعه على شعور تام منذ بداية أمرهم بأن هذه النبوة الجديدة التي قاموا بدعواها بين المسلمين ، لابد أن تحدث في المجتمع المسلم شقاقاً جديداً من جهة الإيمان والكفر !

وكذلك ما كان يخفى عليهم أن المسلمين لم يصبروا يوماً من أيام تاريخهم على قوة تحدث فيهم التفرقة ، ولم يسمحوا لها بأن ترفع رأسها في مجتمعهم منذ عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق إلى عهد العثمانيين ، فجعلوا - أي القاديانيّون - الإخلاص والولاء للحكومة الإنجليزيّة جزءاً من إيمانهم منذ بداية حركتهم ، واعتقدوا - لا بالسنتهم فحسب بل بكل إخلاص من أعماق صدورهم - أن بقاءهم وازدهارهم وتقدمهم وفلاحهم إنما يتوقف على بقاء حكومة غير مسلمة وامتداد ظلها الوارف !

الخطة التي وضعها الميرزا (**غلام أحمد**) لنجاحه ، وأعلنها أكثر من مرة ، هو وجميع الكتّاب ، والمؤلفين ، والخطباء الكبار من جماعته في كتاباتهم وخطبهم المتعددة ، هي أن يبقى المسلمون مغلوبين على أمرهم ، وأن يكون زمام السلطة والحكم في يد غير المسلمين، حتى يتمتّع القاديانيّون بتأييد هؤلاء الحكام غير المسلمين وحمايتهم ومناصرتهم ، مقابل أن يخلصوا لهم الود والوفاء ، وأن يعملوا على تقوية حكومتهم ودعم قواعدها ، مما يتيح لهم الفرصة للتأثير في المسلمين المغلوبين على أمرهم ، وإيقاعهم في حبائلهم ودجلهم !

وإن الإنجليز أنفسهم لم ينتبهوا إلى منهج القاديانيّين السياسي هذا ، ولم يتفطّنوا له على الوجه التام في بدء أمرهم ، فبذل القاديانيّون محاولات عظيمة متتابعة لإقناع الإنجليز بما لهم في قيام جماعتهم وبقائها وتطورها من المنافع ، ثم لما تنبّهت الحكومة

الإنجليزيّة وجدت فيهم أخلص عنصر جدير بالثقة من عناصر رعيتهم المسلمة كلها، فاستخدمتهم لأغراضها الاستعماريّة في داخل الهند وخارجها !

ثم لما اشتد الصراع القومي في الهند بين المسلمين والهنادك ، أصبح زعماء المؤتمر الهندي الوطني (Indian National Congress) القوميّون – أيضاً – يشعرون بما في القاديانيّة من مواطن الأمل ، وذلك مما يرجع إلى زهاء سنة ١٩٣٠ الميلادية ، حينما جرت المناقشة عن القاديانيّين بين العلاّمة إقبال وبين زعيم هندوسي – البانديت نهرو رئيس وزراء الهند الراحل – وحينما أعلن زعيم هندوسي آخر أن القاديانيّين هم أحب عنصر من المسلمين إلينا على حسب نظريّتنا ، لأن نبيّهم وطني ، ولأن أماكنهم المقدسة كلها في هذا الوطن نفسه !

وجملة القول أن موقف القاديانيّين السياسي له نوعية خاصة تجعل غير المسلمين ينظرون إليه دائماً نظرة ملؤها الحذر والخوف ، فقد ظل المسلمون عامة يرون منذ أول أمرهم أن العنصر الذي يكون أداة طيّعة في أيدي أعداء الإسلام لتخريب حصن الإسلام من داخله هو الطائفة القاديانيّة !

والذي أكد هذا الرأي وأحكمه في قلوب عامة المسلمين هو أنه لما استولى الإنجليز على بغداد وبيت المقدس وقسطنطينة بعد الحرب العالميّة الأولى ، ما فرحت بذلك طائفة من طوائف المسلمين إلا القاديانيّين ، فقد زيّنوا بيوتهم بالأنوار ، وأقاموا الأفراح ، وحفلات الابتهاج ، بل قال خليفة القاديانيّين بصراحة :

(إن رقينا وتقدُّمنا متوقف على رقي الحكومة الإنجليزيّة وتقدمها ، فحيثما اتسعت رقعتها ، تيسّر لنا ميدان جديد للدعوة) !

فكيف يمكن أن يقال بعد كل هذا إن سوء ظن المسلمين بالقاديانيّين من غير سبب ولا مبرر !

٦ـ كتابات القاديانيّين المثيرة لعواطف المسلمين :

وهذه المشاحنات التي قامت بين المسلمين والقاديانيّين بسبب تكفيرهم المسلمين ومقاطعتهم الاجتماعيّة ، ومقاومتهم لهم في الميدان الاقتصادي ، زادتها شدة وعنفاً كتابات الميرزا (**غلام أحمد**) وأتباعه ، التي كانت أشدّ ما تكون تهييجاً لمشاعر المسلمين وأحاسيسهم وإيلاماً لقلوبهم !

وفيما يلي أذكر بعض هذه الكتابات على سبيل المثال ، لتنظر فيها المحكمة وتقدّر صعوبة تحملها من قبل فرد من أفراد المسلمين :

(قد قال المسيح الموعود في نشرة عنوانها (إزالة الخطأ) : إن المراد بمحمد في إلهام

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ .

(آية ٢٩ سورة الفتح)

هو أنا ، وأنا الذي قيل فيه ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ في هذه الآية)[١] !

(فالنبوة الظلّية ما أخرت قدم المسيح الموعود ، بل قدمتها تقديماً ، حتى أقامته في جنب النبي الكريم)[٢] !

(ظهرت له – أي النبي ﷺ – علامة خسوف القمر ، وظهرت لي علامة خسوف القمر ، وكسوف الشمس ، فهل تبقى جاحداً ؟)[٣] !

(ها قد نزل محمد فينا مرة أخرى ، وهو أعلى شأناً ، وأرفع مكانة من ذي قبل ، فكل من أراد أن يرى محمداً ، فليرَ غلام أحمد في قاديان)[٤] !

(وشتان ما بيني وبين حسينكم ، وإني قتيل الحب ، لكن حسينكم قتيل العداء ، فالفرق أجلى وأظهر)[٥] !

(دعوا ذكر ابن مريم ، فإن غلام أحمد أعلى منه)[٦] !

(ما كان في يد يسوع غير المكر والخديعة ، ثم الويل لهؤلاء النصارى السفهاء الذين يتخذون مثل هذا الرجل إلهاً ، وأيضاً كانت أسرته طاهرة مطهرة – يريد اللمز به والطعن فيه : كانت ثلاث من جداته للأب وللأم بغايا عاهرات ، وهن اللاتي تكوّن من

---

(١) (الفضل) جريدة القاديانيّين الرسميّة ، عددها الصادر في ١٥ يوليو ١٩٥١م .
(٢) كلمة الفصل لبشير احمد القادياني بمجلة دراسة الديانات : ١٢ : رقم ٣ : ١١٣ .
(٣) الإعجاز الأحمدي ، للميرزا (غلام أحمد) القادياني : ٧١ .
(٤) القاضي محمد ظهور الدين أكمل القادياني ، المنقول من عدد جريدة (بيغام صلح) (رسالة السلام) بلاهور الصادر في ١٤ مارس ١٩١٤م .
(٥) نزول المسيح ، للميرزا (غلام أحمد) : ٨١ .
(٦) دافع البلاء : ٢٠ .

دمائهن)[١] !

(كل رجل لا يتبعني ولا يدخل في الجماعة الذين بايعوني ويصر على مخالفتي ، فهو مخالف لله ولرسوله وهو من أصحاب النار)[٢] !

(وكل من لم يقل بانتصارنا ، يفهم من أمره أنه يجب أن يكون ولد الحرام)[٣] !

(قد آمن بي وصدّق بدعوتي المسلمون جميعاً إلا أولاد البغايا والفساق)[٤]!

(كل من خالفني فهو نصراني يهودي مشرك من أصحاب النار)[٥] !

(إن أعداءنا خنازير الصحارى ، وإن نساءهم أسوأ من الكلبات)[٦] !

٧- مطالبة العلامة محمد إقبال :

فلم تزل العوامل تعمل عملها منذ منتصف القرن الماضي ، وكانت قد جعلت القاديانيّة في (بنجاب) خاصة مسألة شاغلة بالنسبة للمسلمين ، وهي وإن لم تكن مسألة ذات بال عظيم في حد ذاتها ، ولكن كانت مُرّة أشدّ المرارة من حيث شعور الناس وعواطفهم ، وقد كان مئات الألوف من المسلمين يحسّون بمرارتها في المدن والقرى على حدٍ سواء !

ولا شك أن هذه المرارة ما أصبحت قبل الآن باعثة على اضطراب عظيم، ولكنها ما انفكت خلال الثلاثين أو الأربعين سنة الماضية تحدث مشاجرات مستمرة في المسلمين وأسرهم ، وحاراتهم وقراهم ومدنهم ، وقد رُفع أمرها مراراً إلى المحاكم في صورة القضايا المدنيّة والجنائيّة !

وإذا صح القول بأن طبقات المسلمين العليا المترفة ما ساهمت في هذه المسألة ، ولم تعرها اهتماماً ، فإنه لا ريب أن طبقات المسلمين المتوسطة والعامة ما زالت ولا تزال منذ أمد بعيد على أمنية شاملة ، ورغبة شديدة في فصل القاديانيّين عن الأمة

---

(١) نور القرآن : ٧ : ١٢ وذيل : مصير آتم : ٧ .
(٢) إلهام الميرزا : تبليغ الرسالة : ٩ : ٢٧ .
(٣) أنوار الإسلام : ٣٠ .
(٤) آئينة كمالات (مرآة الكرامات) : ٥٤٧ .
(٥) نزول المسيح : ٤ ، والتذكرة : ٢٢٧ ، وتحفة كولرويه : ٣١ وتبليغ الرسالة : ٩ : ٣٧.
(٦) نجم الهدى : ١٠ ، والدر الثمين : ٢٩٣ .

المسلمة ، وجعلهم في عداد الأقليّات غير المسلمة، حتى لا يتاح لهم أن يقتحموا مجتمع المسلمين ، ليغرسوا بذور الشقاق في صفوفهم ويفرقوا شملهم ، ورغبة المسلمين وأمنيتهم العريضة هذه مثّلها العلاّمة (محمد إقبال) رحمه الله أحسن تمثيل في رسالته الشهيرة (الإسلام والأحمديّة) (ISLAM AND AHMADISM) ، وجاء بعضدها بدلائل قويّة وحجج مفحمة !

٨- رجاء المسلمين في تحقيق مطالبهم من حكومتهم القوميّة :

وقلما كان المسلمون في العهد الإنجليزي يأملون أن تحظى مساعيهم بالنجاح فيما يتعلق بفصل القاديانيّين عنهم ، فإنه لا يكاد يرجى من أمة أجنبيّة بطبيعة الحال أن تهتم بمسألة من مسائل المسلمين الاجتماعيّة ، وتتجشم فهمها، ثم تُوجد لها حلاً بجدّ وإخلاص وعطف على المسلمين!

وكذلك كان المسلمون يشعرون كل الشعور أن الإنجليز أنفسهم يريدون عمداً أن يبقى القاديانيّون منضمين إلى صفوف المسلمين ، حتى يتاح لهم - عند الحاجة - أن يستخدموهم بكل سهولة ضد مصلحة المسلمين !

ولكن لما قامت باكستان ، هذه الدولة المستقلة ، عقد المسلمون - طبعاً - آمالهم على حكومتهم القوميّة أن تهتم اهتماماً بالغاً بالمسألة القاديانيّة التي لا تزال منذ الخمسين سنة الماضية تغرس بذور الشقاق ، وتشجع عناصر التفرقة في صفوفهم ، والتي قد نشأ لأجلها في أمتهم عنصران متضاربان فيما بينهما من الوجهة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة !

ثم ما زال هذا الرجاء يقوى مع ما ازداد من عمر باكستان ثم تحول بالتدرج إلى اليأس والقلق والشكوى !

وفي سنتي ١٩٥٠ و ١٩٥١ قمت بجولات في أكثر مدن (بنجاب) وقراها ، فما زرت في هذه الجولات مدينة من المدن أو قرية من القرى إلا وقد ألقى فيها الناس عليّ الأسئلة عن القاديانيّين . فمنذ ذاك الوقت نفسه أدركت أن المسألة التي تجيش بها صدور المسلمين ، ستحدث قلقاً شديداً في البلاد يوماً من الأيام ، إن لم يُعمل على إيجاد حلّها !

٩- استفحال المسألة القاديانيّة بعد قيام باكستان :

وقد ظهر ولا يزال يظهر من القاديانيّين بين آونة وأخرى أمور قد زادت من قلق المسلمين ، وجعلتهم يحسّون بأن المسألة القاديانيّة لا يزال يتضاعف خطرها عليهم ، وقد أصبحت أكثر ضرراً لدينهم وأمتهم منها في العهد الإنجليزي ، وأريد أن ألفت نظر المحكمة إلى خمسة أمور بارزة أثيرت من قبل القاديانيّين إذا تجاوزنا عن الأمور الهيّنة :

أولاً : صرح الميرزا (بشير الدين محمود أحمد) في خطبة له ألقاها في كوتتة في ٢٢ يناير ١٩٤٨ بأنهم يريدون أن يحولوا (بلوجستان) إلى منطقة قاديانيّة ، حتى يتمكنوا من اتخاذها قاعدة (Basc) للاستيلاء على باكستان كلها !

وهذه الخطبة نشرت في جريدة (الفضل) في عددها الصادر في ١٣ أغسطس سنة ١٩٤٨ ، والميرزا ما أبدى هذه الرغبة كرغبة ارتجاليّة ، بل إنه ما زال يعلنها ويكررها ، فقد أكدها في خطبته الأخرى المنشورة في عدد (الفضل) الصادر في ٥ يوليو سنة ١٩٥٠ أيضاً ، فالظاهر أن هذا المشروع مدبّر ، وما زال يتبلور ويقوى في أذهانهم !

ثانياً : للميرزا (بشير الدين محمود أحمد) مشروع آخر أعلنه مراراً ، وهو إقحام القاديانيّين في مختلف مصالح الحكومة ودوائرها ، وفقاً لخطة منظمة مدبرة لهذا الغرض ، حتى يتمكّنوا من استخدام الجهاز الحكومي في مصلحة الجماعة القاديانيّة باستيلائهم على المناصب الحكوميّة المهمة ، وأقتصر في هذا المقام على سرد العبارة الآتية من خطبة لخليفتهم وهي أكبر شاهد على ما أقول :

(فإن كانت فروع الجماعة – الجماعة القاديانيّة – في المقاطعات تريد توجيه شبانها إلى اكتساب الدنيا ، فلتوجههم إليها بطريقة تستفيد منها الجماعة ، ويكونون لها قوة وشوكة ، فلا يرضيني ما عليه الوضع الآن ، فإن الشبان اتجهوا إلى التقليد في هذا الشأن، فيهرعون إلى مصلحة بعينها ، مع أن هناك مصالح كثيرة يمكن للجماعة أن تجعلها وسيلة لنيل حقوقها ودفع الشر عن نفسها ، وما دام رجالنا لا يوجدون في المصالح كلها، فلا يمكن للجماعة أن تنتفع بهم حق الانتفاع ، ومن المصالح المهمة : الجيش ، والشرطة ، والإدارة الحكوميّة ، والسكة الحديديّة ، والمالية ، والجمرك والهندسة،

وكلها من الدوائر المهمة التي يمكن للجماعة أن تجعلها وسيلة للمحافظة على نفسها !

إن شبابنا يدخلون بكثرة هائلة في الجيش ، أكثر من نسبتنا في المصالح الأخرى ، فهكذا لا نكاد نؤدي واجبنا نحو المحافظة على حقوقنا ، أما المصالح الأخرى فخالية من شبابنا ، نعم ، لكم أن توجهوا أولادكم إلى الوظائف الرسميّة ، ولكن ما لكم لا تجعلون مصلحة الجماعة نصب أعينكم في توجيههم ؟! وعلينا أن نضع في هذا الشأن مشروعاً خاصاً ثم نعمل على مقتضاه)[1] !

ثالثاً : ما زال الخليفة بعد قيام باكستان ، يحرض أتباعه على مقاومة العدو ، ويحاول أن ينشئ فيهم الروح العسكريّة ، وعلى سبيل المثال أذكر للمحكمة النبذة التالية من إحدى خطبه :

(يفزع الناس " أي أتباع القاديانية " أنهم يخالفون ، ويتذمر الناس أنهم يعاذون ، ويقلق الناس أنهم يؤذون ، ولكن إذا لم يكن السبب لهذا الإيذاء والسب والشتم ، غير أنهم يرون أنفسهم فريستنا ، فلا ينبغي لنا أن نفزع أو يأخذنا شيء من الهم والقلق ، بل علينا بالفرح والسرور ، فإنه لا سبب لذلك إلا لأن العدو يشعر أنه إذا نشأت فينا حركة جديدة ابتلعنا دينه ابتلاعاً)[2] !

لا حاجة إلى بيان أن المراد (بالناس) في هذه العبارة هم القاديانيّون ، و (بالعدو) المسلمون !

فالميرزا يعد المسلمين (فريسة جماعته) ويبدي غبطته بأنهم يعتبرون حركتها خطراً مهدداً لدينهم ، ومثل هذه الخُطَب المحرِّضة على مقاومة العدو ومحاربته نشرت أيضاً في عددي (الفضل) الصادرين في ٥ يوليو سنة ١٩٥٠، و٧ مايو ١٩٥١م.

رابعاً : ما أظهر القاديانيّون نيّاتهم العدوانيّة ، وميولهم المخيفة هذه بأقوالهم المحرِّضة على المقاومة فحسب ، بل إنهم ما زالوا يفرغونها في قوالب أعمالهم وتدابيرهم أيضاً ، وما زالت أخبارها تنتشر في المسلمين ، وتحدث فيهم اضطراباً عاماً وقلقاً هائلاً !

ومن الأمثلة لذلك تأليف كتيبة تضم الجنود القاديانيّين ، وتسمى بكتيبة الفرقان

(١) جريدة (الفضل) : العدد الصادر في ١١ يناير ١٩٥٢م .
(٢) (الفضل) : العدد الصادر في ١٦ يوليو ١٩٤٩م .

(في الجيش) ، وسيطرة القاديانيّين على مصانع متعددة لصناعة الأسلحة ، وكونهم متمتّعين بتصريح الحكومة باستعمال الأسلحة !

وقد حاول القاديانيّون أنفسهم تخويف المسلمين وإرهابهم بنشر هذه الأمور في أوساطهم !

خامساً : قد بدأ الميرزا (بشير الدين محمود أحمد) وكثيرون غيره من رجال الجماعة القاديانيّة يتهدّدون المسلمين علناً منذ أوائل سنة ١٩٥٣ ، وظلت لهجتهم تزداد قسوة وحدّة يوماً بعد يوم ، وعلى سبيل المثال أذكر للمحكمة طرفاً من عباراته : يقول :

(سيكتب لنا الفوز والنصر ولتعرضنّ علينا كالمجرمين ، فلا تكون عاقبتكم إلا مثل ما كانت عاقبة أبي جهل وحزبه يوم فتح مكة) [1] !

ويقول :

(لا تمضين عليكم سنة ١٩٥٣ قبل أن يشعر العدو بقوة الأحمديّة ، ويستيقن أن الأحمديّة لا يمكن محوها ، وأنه لا محيص له عن الانضواء تحت لوائها والالتجاء إلى حصنها) [2] !

ويقول : (نعم ، قد حان لنا أن نأخذ ثأر علمائنا الصادقين الذين ما زال هؤلاء الملاؤون [3] الظلمة السفاكون للدماء يغرون بهم الأوغاد ، فسنأخذ ثأرهم جميعاً :

١- من عطاء الله شاه البخاري !

٢- ومن الملاّ البدايوني !

٣- ومن الملاّ احتشام الحق !

٤- ومن الملاّ محمد شفيع !

٥- ومن خامس الخمسة الملاّ المودودي) [4] !

---

(١) عدد (الفضل) الصادر في ٣ يناير سنة ١٩٥٣م .

(٢) عدد (الفضل) الصادر في ١٦ يناير سنة ١٩٥٣م .

(٣) كلمة يستعملها القاديانيّون لعلماء المسلمين الراسخين في العلم والدين ازدراءً لهم واستخفافاً بشأنهم !

(٤) عدد (الفضل) الصادر في ١٥ يوليو سنة ١٩٥٣م

١٠- التقليد الشنيع للحكومات الثوريّة :

هذا هو العامل التاريخي الذي ظل يعمل وراء الأحوال الحاضرة ، إلا أنه من دأب الحكومات الثوريّة التي تقوم على وسائل الإرهاب والتنكيل أنه كلما قامت في البلاد حركة شعبيّة تعارض سياسة الحكومة تتهمها بخيانة الوطن وعمالة القوى الأجنبيّة !



البيان الثاني

لقد قرأت في الجرائد تقارير الشهادات التي قد استمعت إليها محكمة التحقيق منذ أوائل شهر سبتمبر الماضي ، فرأيت كثيراً من الأمور والمسائل عرضت فيها على المحكمة معلومات خاطئة أو ناقصة ، فأرى واجباً على نفسي أن أزوّد المحكمة - حسب ما ينتهي إليه علمي - بالمعلومات الصحيحة ، وأساعدها على التوصل إلى النتائج الصحيحة في هذه القضية ، فالشعور بهذا الواجب هو الذي حملني على أن أبعث إليكم ببيان في أواخر شهر يوليو الماضي ١٩٥٣م ، وقياماً بهذا الواجب نفسه أستأذنكم اليوم في أن أعرض عليكم هذا البيان الثاني :

١- المسائل المتعلقة بالقاديانيّين :

إن ما قام به جمهور المسلمين من المطالب عن القاديانيّين - كمطالبتهم باعتبار القاديانيّين أقلية منفصلة عن المسلمين في دستور باكستان الجديد ، ومطالبتهم بأن يُفصَل (**ظفر الله خان**) عن منصب وزارة الخارجية وأن ينحّى القاديانيّون عن المناصب الرئيسة في دواوين الحكومة ومصالحها - قد أثيرت فيها في المحكمة أسئلة متعددة ، ولكن من دواعي الأسف أنه لم يأت عليها أحد من الشهود بالأجوبة المصيبة!

أ - مطالب المسلمين حول القاديانيّين دينيّة وسياسيّة في الوقت نفسه :

قد تساءلت المحكمة مرة بعد مرة عن هذه المطالب : هل هي دينيّة أو سياسيّة ؟ وقد أجاب عنها معظم الشهود بأنها مطالب دينيّة ، والحق أنه لا يصح هذا السؤال كما لا يصح هذا الجواب الذي أجيبَ به !

لا شك أن النزاع الذي قام المسلمون بتلك المطالب لأجل حله ، كان مصدره في بادئ الأمر اختلافاً دينيّاً لا غير ، إلا أن التطور الذي طرأ عليه خلا ل الخمسين سنة الماضية لم يتركه يبقى نزاعاً دينيّاً فحسب ، بل جعله كذلك قائماً في كل من نواحي الاجتماع والسياسة والاقتصاد ، وأن مسألة من المسائل : دينيّة كانت في أصلها أم

خلقيّة إذا جاءت تخلق في المجتمع ضروباً من المفاسد والمشاكل ، فلا بد أن يوجد حلُّها بوسائل الدستور والقانون والتدابير الإداريّة ، ولا يثار النقاش عند ذلك في أن هذه المسألة التي هي دينيّة أو خلقيّة ، لماذا يطالب بحلها بالوسائل السياسيّة ؟!

الحق أن ما آل إليه أمر النزاع الديني بين القاديانيّين وجمهور المسلمين في هذه البلاد يتلخص في انه قد تألفت في المجتمع الإسلامي طائفة مستقلة منظمة تختلف عن المسلمين في العقيدة ، وتقاطعهم في الشؤون الاجتماعيّة وتعمل – بالطرق المدروسة – على مقاومتهم في حقل الاقتصاد ، ولم تزل تسعى ضد مصالحهم في ميدان السياسة، ومع ذلك وفي الوقت نفسه لا تزال مندمجة فيهم، وتستكثر عددها بالدعوة والتبليغ ، وتزيد المجتمع الإسلامي تشتتاً وفوضى داخلية على مر الأيام !

زد على ذلك كله تلك المخاوف والأخطار التي لا تزال تقلق بال المسلمين وتهددهم من جهة كثرة رجال هذه الطائفة بصورة هائلة في الوظائف الرسميّة، ومن جهة خططها السياسيّة التي قد أعلنتها مرة بعد أخرى لاتخاذ مقاطعة (بلوجستان) قاعدة لنفسها ، ثم الانطلاق منها في ربوع باكستان والاستيلاء على القطر بأجمعه !

فيا ليت شعري ! بأيّ وجه يمكن أن تعتبر هذه المسألة دينيّة فحسب ، وما حيلة من أراد أن يوجد لها حلاً إلا أن يستخدم الوسائل الدستوريّة والقانونيّة والسياسيّة!

هل نسي الناس أن النزال الذي قام في العهد الأخير بين المسلمين والهنادك في القطر الهندي المتحد كان في أصله نزاعاً دينيّاً ؟!

ولكن ما قدمه المسلمون من المطالب المختلفة لأجل حله – من مطالبتهم بالانتخابات المستقلة إلى مطالبتهم بتقسيم البلاد – كان كله ولا شك من النوع السياسي !

ب- الاختلافات بين المسلمين والقاديانيّين أساسيّة :

وقد أكثرت المحكمة من السؤال حول الخلاف الواقع بين علماء المسلمين وفرقهم المختلفة ، قياساً منها على النزاع القائم بين المسلمين والقاديانيّين ، ولكن الحق أن ذلك خطأ منها وخلط للحابل بالنابل ، إذ لا وجه للتشابه والمجانسة بين هذين النوعين!

إنه من الواقع الأليم أن علماء بعض الفرق الإسلاميّة قد كفّروا الفرق الأخرى وعلماءها، وجاوزوا في فتاواهم حدود الحق والعدل، إلا أن الحق الذي لا يكابر فيه مع ذلك أن المسائل التي كانت مبعث ذلك النزاع ومدعاة تكفير الفرق الإسلاميّة بعضها بعضاً، كانت لا تعدو أن تكون من باب الاختلاف في تفسير بعض المسائل الدينيّة الفرعيّة، ولهذا السبب لم تعطِ الأمة المسلمة - من حيث هي الأمة - الأهميّة لفتاواهم التكفيريّة، بل كرهها واستهجنها دائماً أهل التقوى والورع من العلماء، ولم تجتمع كلمة المسلمين قط على إخراج أحد من المسلمين أو فريق منهم من الأمة، بل بقي أهل مختلف الفرق من المسلمين يجتمعون في الصلوات، ويشاركون في الجنائز، ويتزاوجون فيما بينهم!

وبين أيدينا آلاف من أمثلة التزاوج بين الشيعة وأهل السنة!

وفوق ذلك كله يشهد الواقع بأنه كلما عرضت مسألة من المسائل القوميّة المهمة، بذل المسلمون جميعاً جهوداً موحدة في سبيلها، وظلت مصلحتهم القومية واحدة، وعواطفهم القومية وأغراضهم السياسية مشتركة!

وبالعكس من ذلك، فإن الخلاف الذي يوجد بين القاديانيّين والمسلمين خلاف جوهري ومبدئي، فمن كان يعرف الإسلام أدنى معرفة، لم يكن ليجهل أن عقيدة النبوة من عقائد الإسلام الأساسيّة، وأن إيمان الناس بدعوى من دعاوى النبوة وتكذيبهم بها مما يميز بعضهم عن بعض، ويفرق بينهم من حيث الكفر والإيمان!

ولذلك لما قام الميرزا (غلام أحمد) يدّعي النبوة، نشأ بين المؤمنين بدعواه والمنكرين لها من الخلاف والنزاع ما لم ينشأ قط فيما بين الفرق الإسلاميّة، فأجمع المسلمون من جميع الفرق على تكفير القاديانيّين، وجاء القاديانيّون، من الجانب الآخر، يكفرون جميع من لم يؤمن بنبيّهم!

ومما يميز هذا التكفير عن تكفير - بعض الطوائف لبعض - [1] أنه فصل القاديانيّين من المسلمين فعلاً، فحصل افتراق وانشطار بينهم في جميع شؤون الحياة بدءاً من الاجتماع العادي إلى العبادة الدينيّة، واختلفت مصالحهم القوميّة ومطامحهم السياسيّة، ثم جاوز الأمر حدود الافتراق والانفصال، وآل إلى النزاع

(١) في الأصل: (تكفير الطوائف الإسلاميّة بعضها لبعض) [illegible]

الحاد والخصام العنيف !

فأنى يمكن إذاً أن يُصرَف النظر عن هذا الفرق الواضح الجلي ؟!

وكيف يجوز أن يُحكَم على الخلاف القائم بين القاديانيّين والمسلمين حكم الخلافات الواقعة فيما بين الفرق الإسلاميّة ؟!

وهب أنه يُقضَي في الأمر بموجبه على رغم كل ذلك ، فهل من الممكن أن ينحسم بذلك فعلاً هذا النزاع الذي قد شمل ألوفاً من العائلات في القرى والمدن وآلافاً مؤلفة من الأفراد في المكاتب والأسواق !

جـ - لا حاجة إلى المطالبة بجعل المارقين جميعاً من المسلمين أقليّة غير مسلمة :

ومما أثير البحث حوله في المحكمة مرة بعد مرة أنه : هل يطالب جمهور المسلمين في جميع من يتبعون نظريّة شاذة عن نظريّتهم في مسائل الدين الأساسيّة كـ (**منكري السنة ومن على شاكلتهم مثلاً**) كمطالبتهم في أمر القاديانيّين بأن يُجعَلوا أقليّة غير مسلمة ؟ ولجوابنا عن هذا السؤال وجهان :

وجه مبدئي !

والآخر عملي وواقعي !

فأما الوجه المبدئي ، فهو : فيما يتعلق من ناحية التفسير والاجتهاد والاستنباط ، جاء الإسلام يتسع كل الاتساع لأصحاب المذاهب ووجهات النظر المختلفة ، وأن أكبر خطأ في مثل هذه الأمور يعتبر ضلالاً ولا شك ، ولكن لا يجوز أن يُحكَم عليه حكم المروق من الدين !

وبخلاف ذلك إذا ما جاء أحد يغيّر في أمور الإسلام الأساسيّة ويبدلها على وجه لا يتسع له الدين ولا يسمح به ، فلا شك أن عمله ذلك يعد خروجاً من الإسلام كائناً من كان !

أما القول من جهة الواقع والعمل ، فهو أن هناك فرقاً كبيراً بين أن ينحرف رجل أو أفراد مشتّتون عن جادة الدين ، وبين أن ينحرف عنها طائفة تتواطأ فيما بينها داخل المجتمع الإسلامي ، وتتحزّب ثم تستكثر عددها بدعوتها المستمرة وتحارب المسلمين في ميادين السياسة والاقتصاد !

وهذا المروق الجماعي قد تجرع المسلمون مرارته مدة الخمسين سنة الماضية ، فإذا حملهم اليوم ذلك على أن يقوموا ببعض المطالب ضده ، فكيف يجوز أن يقاس أمرهم على أمثلة النوع الأول من الانحراف ؟!

أليس من الواضح البيّن أن معاملة المسلمين الجماعيّة للمارقين أو المنحرفين من النوع الأول كانت ولا تزال مختلفة اختلافاً صريحاً عن معاملتهم للمنحرفين من النوع الثاني ؟!

ومتى قام المسلمون يطالبون بجعل جميع أهل الضلال والانحراف من المسلمين في عداد الأقليّات غير المسلمة ؟!

د - أسباب مطالبة المسلمين بعزل (ظفر الله خان) عن منصب وزارة الخارجيّة :

أما مطالبة المسلمين بعزل (**ظفر الله خان**) من الوزارة ، فليست مبنيّة على مجرد أنه لا يجوز أن يتولى أحد من غير المسلمين منصب الوزارة في دولة إسلاميّة ، بل منشؤها - أيضاً - أن هذا الرجل قد استغل مكانته الرسميّة السامية استغلالاً محرماً في تقوية الحركة القاديانيّة قبل انقسام القطر الهندي ، ولم يزل يستغلها كذلك بمزيد من الوقاحة بعد قيام باكستان ، ولأجل هذا فقد أصبح بقاؤه في كرسي الحكم والسلطة مبعث شكوى المسلمين بصورة دائمة !

ويقال رداً على هذه المطالبة : إنه لو عزل (**ظفر الله خان**) عن وزارته ، لما نالت باكستان من الدولة الأمريكيّة حبّة من القمح . فأقول : إن صح ما تزعمون فالأمر أدهى وأمرّ . فإن معناه البيّن أن أمريكا قد سلّطت عميلاً من عملائها المقرّبين على خارجيّة دولتنا ، واشترت منّا استقلالنا في السياسة الخارجيّة بمليون طن من القمح أرادت أن تُنعم بها علينا ، فيجب علينا إذاً أن نطالب بعزله ، لا من أجل التخلّص من الحركة القاديانيّة فحسب ، بل لأجل التخلّص من عبوديتنا السياسيّة لأمريكا ، إذ هي أشد وأنكى !

وأقول ذلك على افتراض أن الحكومة الأمريكيّة قد صرحت بذلك إلى الحكومة الباكستانيّة علناً أو كناية ، إلا أني لا أكاد أوقن أن أحداً من الساسة الأمريكيّين قد يبلغ به الحمق والسفاهة بحيث يؤثر ولاء رجل واحد على ولاء سبعين مليوناً [1] من

---

(١) هذا العدد كان في سنة ١٩٥٣ ، وبموجب الإحصائيات الأخيرة زاد هذا العدد إلى مائة مليون!

أهالي باكستان ، ويجعل ذلك العرض الودي الذي قيمته ثمانون وأربعمائة مليون روبيّة ، يخلق في قلوب الشعب الباكستاني شبهات حول سياسة أمريكا دولةً وشعباً، بدلاً من أن يكتسب بها شكرهم وامتنانهم !

هـ - المراد بالمناصب الرئيسة .. والأدلة على المطالبة بفصل القاديانيّين عن الأمة :

وكذلك إن مطالبة الجمهور بطرد القاديانيّين من المناصب الرئيسة في الحكومة ليست مبنيّة على مجرد أنه لا يمكن أن يتولى غير المسلمين المناصب الرئيسة في الدولة الإسلاميّة، بل قد قدمت هذه المطالبة بناء على ما يأتي من الأمور :

أولاً : إن هذه الفرقة القاديانيّة القليلة العدد قد استبدت من الوظائف الرسمية بما يزيد زيادة فاحشة على نسبتها في سكان البلاد ، وقد تهيأ لها ذلك بفضل ما تمتعت به هذه الطائفة من رعاية الإنجليز البالغة ، وعطفهم الخصوصي عليها فيما مضى ، ثم بفضل غفلة الحكام الباكستانيّين وضعف شعورهم في عهد الاستقلال !

ثانياً : إن كل من ارتفع من رجال هذه الطائفة إلى منصب عالٍ في الحكومة، لا يألو جهداً في تعبئة الإدارة الحكوميّة الواقعة تحت تصرفه ورئاسته برجال طائفته !

ثالثاً : إن زعيم هذه الطائفة - الميرزا (بشير الدين محمود أحمد) - قد أوصى أتباعه علناً بأن يحتالوا للتطرّق إلى جميع أقسام الحكومة بالخطط المرسومة والطرق المدبّرة !

رابعاً : إن رجال هذه الطائفة - من ذوي النفوذ والسلطة في الحكومة - كثيراً ما كانوا يدعون الناس إلى فكرتهم تحت إغراء عرض الوظائف في دائرة نفوذهم على كل من يعتنق فكرتهم !

خامساً : إنه قد بلغ من طموحهم وجرأتهم أخيراً أن أصبحوا يحلمون بالاستيلاء على مقاليد الحكومة الباكستانيّة عن هذا الطريق !

فنظراً إلى هذه الحال المروعة قد قام الجمهور يطالبون بعزل القاديانيّين عن مناصب الحكومة الرئيسة ، وليس المراد بالمناصب الرئيسة في سياق هذه المطالبة ما يراد بها في النظرية الإسلاميّة القائلة بألا يتولى غير المسلمين المناصب الرئيسة ، بل المراد من المنصب الرئيس في مطالبة الجمهور هذه كل منصب خطير يسهل لرجل من

الطائفة القاديانيّـة إذا تولاه أن يمتّع طائفته بالمنافع غير المشروعة التي مر ذكرها آنفاً !

والحق أن الذي أحدثته هذه الطائفة من الوضع المؤلم بسلوكها وأعمالها، إذا تأمله المرء بعين الإنصاف ، فإنه لابد أن يشعر بأن تلك المطالبة أقل بكثير مما تقتضيه الحاجة في حقيقـة الأمـر ، وأنـه مـن حق الجمهـور أن يضـيفوا إلى مطـالبتهم هـذه أن يمنـع القاديانيّـون من التوظف في جميع أقسـام الحكومـة لمـدة العشـر سنين الآتيـة ، حتـى تتساوى كفتـا الميزان ، وينعـدم مـا يوجـد الآن مـن عـدم التـوازن بـين القاديانيّـين والمسلمين في المصالح الرسميّـة !

ظهور القاديانيّين أمام المحكمة بمظهر غير حقيقي :

ومما أبدي أمام المحكمـة من الآراء : أن البيان الذي قدمه المحامي بالنيابة عن رئيس الجماعة الأحمديّـة – والمـراد بهـا الجماعـة القاديانيّـة – جوابـاً علـى أسـئلة المحكمـة السبعة ، يزول به كل ما بين المسلمين والقاديانيّـين من الخلاف. وإني قد قـرأت هـذا البيان بكل التأمل والإمعان ، والذي استقر عليه رأيي بعد كل ذلك ، أن هـذا البيـان لا يغني شيئاً في تغيير الحال ، بل الأمر أن جميع أسـباب النـزاع والخـلاف التي كانـت مبعث الاضطراب إلى الآن ، لا تزال باقية كما هي!

لقد حاول القاديانيّـون في هذا البيان بكل لباقة ودهـاء أن يـسـدلوا علـى موقفهم الحقيقي ستراً من التأويل والتدليس ، ويعرضوا على المحكمة بدلاً منه موقفـاً متصـنعاً – قاصدين بذلك أن يخدعوا المحكمة حتى لا يأتي تقريرها بشأنهم إلا وفق ما تشـتهيه أنفسهم ، وأن يتمكّنوا – مع ذلك – من البقاء على ما هـم عليـه الآن لا يتزحزحـون عنه قيد أنملة ، وإن كل من أتيحت له قراءة عباراتهم السابقة وكان يعرف – ولو أدنى معرفة – سيرتهم وديدنهم الذي ظلوا عليه إلى الآن ، يدرك أنهم قد بدلوا موقفهم في هذا البيان ، وحولوه إلى ما يشابه موقف طائفة الأحمديّـين اللاهوريّـين ، ولكـنهم لا يصرحون بأنهم تنازلوا عن موقفهم الحقيقي رفعاً للنزاع القائم بينهم وبين المسـلمين ، بل يحاولون أن يخيّـلوا إلى المحكمـة أن هـذا الموقـف المعـدل كـان ولا يـزال مـوقفهم الحقيقي منذ بداية الأمر، والحق أنه كذب محض ، وتـدليس بيّـن ، ومعنـاه الصـريح أنهم يؤكدون بذلك موقفهم السابق ويريدون البقاء عليه في المستقبل ، وإنما قد اتخذوا في أثناء هذا التحقيق موقفاً مؤقتاً يلائـم مقتضـى الظـروف الحاضـرة ، وسـيزول مـع

انقضاء مدة التحقيق ، وأن تدليسهم هذا تتجلّى حقيقته كالشمس إذا استعرضنا بيانهم استعراضاً دقيقاً بالتفصيل :

أ - كانت المحكمة سألتهم : هل الذين لا يؤمنون من المسلمين بنبوة الميرزا (غلام أحمد) مؤمنون ومسلمون ؟!

فأجاب القاديانيّون :

(لا يقال لأحد إنه غير مسلم لأنه لا يؤمن بمؤسس السلسلة الأحمديّة).

ولكنهم لم يلبثوا أن تذكروا أن كتاباتهم السابقة قد جاءت معاكسة هذا الجواب ومخالفة إياه كل الخلاف ، فجاؤوا يؤولونها حسب ما يأتي :

(وقد يحاول محاول أن يسيء ظن الناس بنا بالاستشهاد ببعض كتاباتنا السابقة ، فنريد أن نصرّح في هذا الصدد أن المصطلحات المستعملة في تلك الكتابات مصطلحات خاصة لجماعتنا لم نستعملها بمعانيها العامة الشائعة بين المسلمين ؛ لأننا لم ننشر هذه الكتب في هذه المسألة مخاطبين غير الأحمديّين، بل كان خطابنا في جميع تلك الكتابات موجهاً إلى قسم من جماعتنا ، ولم يكن من اللازم أن نراعي فيها ما شاع بين سائر المسلمين من المصطلحات) !

ويتضح من هذه العبارة أنهم لا ينفون كتاباتهم السابقة ، بل يؤكدون عليها، ويريدون أن يقنعوا المحكمة بأن مفهومها لا يخالف جوابهم المذكور آنفاً!

وفيما يلي نستعرض كتابتين اثنتين من كتاباتهم السابقة :

١ -(إن جميع المسلمين الذين لم يبايعوا المسيح الموعود ، وإن كانوا لم يسمعوا باسمه ، كافرون وخارجون عن دائرة الإسلام) [1] !

٢ -(كل من يؤمن بموسى ولا يؤمن بعيسى ولا يؤمن بمحمد ﷺ أو يؤمن بمحمد ﷺ ولا يؤمن بالمسيح الموعود ، فإنه ليس بكافر فحسب ، بل هو كافر عنيد غارق في الكفر وخارج عن دائرة الإسلام) [2] !

ويبدو عياناً للناظر في هاتين العبارتين أنه لمجرد الإنكار لنبوة الميرزا (غلام أحمد) ،

---

(١) مرآة الصديق ، للميرزا (بشير الدين محمود أحمد) : ٣٥ .

(٢) كلمة (الفصل) ، تأليف (الصاحب زادة بشير أحمد القادياني) : ١١٠ .

اعتبر جميع المسلمين كافرين ، بل غارقين في الكفر ، وخارجين عن دائرة الإسلام ، أمن المحتمل أن كل هذه الألفاظ الثلاثة مصطلحات خاصة بالقاديانيّين ، ولا تشمل مفهوماً شائعاً بين المسلمين على العموم ؟!

وما أسخف تأويل مثل هذه الكتابات ؟!

(بأننا قد كنا كتبناها مخاطبين لقسم من جماعتنا (أي الأحمديّين اللاهوريّين) !

فمن منا لا يعلم أن النزاع الذي حصل بين الأحمديّين القاديانيّين واللاهوريّين في مدة الخمس والثلاثين سنة الماضية لم يكن إلا على أن القاديانيّين كانوا يعدون جميع من لا يؤمن بنبوة الميرزا من المسلمين ، كافرين وخارجين عن دائرة الإسلام ، وكان اللاهوريّون يخطّئون عقيدتهم تلك ويخالفونهم ، وإذا لم يكن المراد بكلمات (الكافر) و (الخارج عن دائرة الإسلام) في تلك المناقشة ما هو شائع بين عامة المسلمين ، فما كان إذاً مبعث ذلك النزاع ؟!

ب- وكانت المحكمة سألتهم ثانياً :

(إن من لا يؤمن بنبوة الميرزا فهل هو كافر ؟) فأجاب عليه محامي رئيس الجماعة الأحمديّة بـ (ربوة) بما يأتي :

(معنى (الكافر) في اللغة العربيّة : من ينكر ولا يؤمن . ومن ثم كل من لا يؤمن بشيء ، فلابد أن يقال له (كافر) في اللغة العربيّة . وما دام أحد يقول : إنه لا يؤمن بالشيء الفلاني ، فإنه يعد كافراً بذلك الشيء) !

وقد حاول القاديانيّون أن يغالطوا المحكمة بهذه العبارة بأنهم يعتبرون المنكرين لنبيّهم الميرزا (غلام) كافرين بالمعنى اللغوي ، لا باعتبار المصطلح الإسلامي ، ولكن الحق أنه خداع سافر ، وحيلة واضحة ، فإن العبارتين اللتين قد نقلناهما عن الميرزا (بشير الدين محمود أحمد) و(الصاحب زادة بشير أحمد) قد فسّرت فيها كلمة (الكافر) بما يتلوها من كلمة (الخارج عن دائرة الإسلام) ويزيد في تفسيرها ما يأتي من عبارات الزعيمين المذكورين :

(يجب علينا ألا نعد غير الأحمديّين مسلمين ، ولا أن نصلي خلفهم ، فإنهم – على

حسب عقيدتنا – منكرون لنبي من أنبياء الله)[١] !

(الآن وقد تبيّن أنه لا نجاة إلا بالإيمان بالمسيح الموعود ، فلماذا يحاول بعضنا إثبات أن غير الأحمديّين مسلمون)[٢] ؟!

وما دامت هذه العبارات بين أيدي المرء فأنى له أن يقتنع بأن القاديانيّين يعتبرون المسلمين مكذّبين بالميرزا : كافرين بمعنى كونهم منكرين له ؟ ثم ما هو أخدع من ذلك في بياناتهم ؛ قولهم :

(نعتقد أنه لا يكون كفر الناس بمامور من الله بعد النبي ﷺ مرادفاً لكونهم قد كفروا بالله وبالنبي ﷺ ، فخرجوا من الأمة المحمديّة أو أخرجوا من مجتمع المسلمين) !

فقد استعملت الكلمات المرسومة في هذه العبارة بغاية من المكر والدهاء ، وذلك أنه لم ينف فيها كون المسلمين خارجين من دائرة الإسلام ، بل قد أقرّ بكونهم داخلين في الأمة المحمديّة ، كما أن مؤمناً بعيسى عليه السلام يعد من الأمة المسيحيّة وإن كان مكذباً بنبينا ﷺ ، وكما أن مؤمناً بموسى عليه السلام يعد من الأمة الموسويّة وإن كان لا يدين بعيسى عليه السلام !

ولكن مثل هذا الرجل لم يعد داخلاً في دائرة الإسلام !

كذلك فإن القاديانيّين يجعلون المسلمين المكذّبين بنبيّهم الميرزا داخلين في الأمة المحمديّة ، لأنهم ليسوا بالمكذّبين بالنبي ﷺ ، ولكنهم يعدّونهم خارجين من دائرة الإسلام في كل حال ، فإن إنكار المرء لنبي واحد من أنبياء الله يكفي لأن يخرج من حظيرة الإسلام ، ولا ريب أن الميرزا عند هذه الطائفة نبيّ مبعوث من عند الله ، ثم إنهم لا يقولون في الجملة الثانية : إن غير الأحمديّين غير خارجين من دائرة الإسلام ، بل يتفضلون فيكتفون بقولهم: إنهم لم يخرجوا من مجتمع المسلمين ، ومن البديهي أن مجتمع المسلمين ليس بيدهم حتى يُخرجوا منه من شاؤوا !

جـ- وسألتهم المحكمة ثالثاً : وما هي نتائج هذا الكفر في هذه الدنيا والآخرة ؟ فيجيب عليه محامي رئيس الجماعة الأحمديّة بـ (ربوة) بما يأتي :

---

(١) أنوار الخلافة : ٩٠ .

(٢) كلمة الفصل : ١٤٨ .

(ليس هناك جزاء معيّن في الدنيا لمثل هذا الكافر ، وله في الدولة الإسلاميّة من الحقوق ما هو للمسلم ، وكذلك له في الشؤون الاجتماعيّة العامة من الحقوق ما هو لسائر المسلمين ، غير أنه لا يجوز أن يكون رئيساً للحكومة الإسلاميّة الخالصة ، أما نتائج كفره في الدار الآخرة ، فالله وحده عليم بحقيقتها) !

وهنا مرة أخرى قد أدلى إلى المحكمة بمعلومات غير صحيحة البتة ، فإن الكفر الذي يحكم به القاديانيّون على المسلمين ، قد بيّن نتائجه الدنيويّة : (الصاحب زادة بشير أحمد) فيما يأتي :

(إن حضرة المسيح ما أباح من المعاملة غير الأحمديّين إلا بما عامل به النبي الكريم النصارى ، وقد فرّق بيننا وبين غير الأحمديّين في الصلاة ، وحرم علينا أن نزوجهم بناتنا ، ونهانا عن الصلاة على موتاهم ، فأي شيء قد بقي الآن نشاركهم فيه ؟! إن العلاقة بين الناس علاقتان :

علاقـــة دينيّـــة !

وعلاقـــة دنيويّـــة !

فأكبر وسيلة من وسائل العلاقة الدينيّة هي الاشتراك في العبادة !

وأهم وسيلة من وسائل العلاقة الدنيويّة هي التزاوج !

وقد حرمت علينا كلتا هاتين الوسيلتين !

فإن قلتم إنه يجوز الزواج من بناتهم . قلت كما يجوز الزواج من بنات النصارى)[١]!

وأما نتائج هذا الكفر في الدار الآخرة ، فإنها حسب ما أُلهم به الميرزا (غلام أحمد) كما يأتي :

(كل من يتبعك ولا يدخل في بيعتك ويظل عاصياً لأمرك ، فإنه عاصٍ لله ولرسوله وصائر إلى جهنم)[٢] !

ومما لا يصعب فهمه على أحد أنه لا يمكن أن يكون بيان المحامي الذي اضطر إلى

(١) كلمة (الفصل) : ٧٩ .

(٢) تبليغ الرسالة : ٩ : ٢٧ .

الإدلاء به في هذه المحكمة بصفته نائباً عن رئيس الجماعة الأحمديّة ومحامياً لـه أرجـح عند القاديانيّـين من إلهام الميرزا نفسه !

وكذلك إن الوجه الذي ذهب إليه في تأويل أقوال الميرزا رجـل مـن أهـل بيتـه لا شك أنه أقوى وأجدر بالاعتماد عليه من بيان المحامي !

د – وكان مما سألتهم المحكمة : هل كان الميرزا يوحى إليه كما كان يوحى إلى النبي ﷺ بنفس الواسطة التي كان يوحى بها إليه ؟!

وقد اعترفوا في جوابهم بأن الميرزا كان يأتيه الوحي !

وأيضاً قالوا مع ذلك إن هذا الوحي كان أقل درجة وأحط شأناً من الوحي الـذي كان ينزل على محمد ﷺ !

ولكن الحق أنه ليس هذا بالجواب الصحيح عن سؤال المحكمة ، فإنه قـد أخفـى في مطاويه أن وحي الميرزا – حسب العقيدة القاديانيّـة – هو في نوعيّته كوحي النبي ﷺ ، وأن منزلة الجاحد به كمنزلة الجاحد بالقرآن ، وهذا ما بيّنه الميرزا (غلام أحمد) نفسه فيما يأتي من أشعاره بعد ترجمتها إلى العربيّـة :

(إن الذي أسمعه من وحي الله ، والله إني أعلم أنه منزه ، وإنـي أعلـم أنـه منـزه مـن الخطأ، كالقرآن ، والله هذا هو إيماني ، والله إن هذا الكلام مجيد قـد نطـق بـه لسـان الله السبوح الوحيد ، وإن ثقتي به لا تقل عن ثقة عيسى بما أنزل عليـه وعـن ثقـة كليـم الله بالتوراة ، وعن ثقة سيد السادات بما أوحي إليـه، ولسـت بأقـل مـن أحـدهم مـن حيـث اليقين) [1] !

هـ- وكان مما سألتهم المحكمة :

(هل في مذهب الأحمديّين ما ينهاهم عن الصلاة على موتى الذين لا يؤمنون بالميرزا؟ فأقروا في جوابهم (بأنه قد ظلت جماعته متفقة إلى هذا اليوم ، على عـدم الصـلاة علـى موتى الذين ليسوا من الجماعة) . ثم أضافوا إلى جوابهم – بعد ذلك – أنهم قد عثروا أخيراً على كتابة للميرزا تفيد بأنه لا بـأس في الصـلاة علـى مـن لم يكـن مكفـراً لمؤسـس السلسلة الأحمديّـة أو مكذباً به) !

(١) الدر الثمين للميرزا (غلام أحمد) : ٢٨٧ [illegible]

ولكن المرء إذا تأمل الكلمات المرسومة ، تبيّن له أن ذلك لا يغيّر شيئاً من موقفهم السابق ، فإنه من الظاهر أن الميرزا قد ادعى النبوة ، فالمرء في شأنه بين أمرين :

إما أن يصدق بدعواه أو يكفر بها !

وليس بين هذين الموقفين – موقف التصديق والكفر – موقف آخر متباين، فمن كفر بدعوى الميرزا فإنه لا ينجو من أن يكون مكذباً به وإن لم يكن مكفّراً إياه ، فبذلك لا يتغيّر موقف القاديانيّين في الصلاة على موتى غير الأحمديّين ، بل يظل فعلاً على ما لم يزل إليه حتى الآن !

ولكن مفهوماً أنه إذا ادّعى النبوة مدعٍ ، فإن المكذب به لا يكون من يعتبر ذلك المدعي كاذباً بالصراحة فحسب ، بل المكذب به هو أيضاً من يكفر بدعواه ولا يؤمن بها!

و – وقد سألتهم المحكمة بعد ذلك :

(هل يجوز التزاوج بين الأحمدي وغير الأحمديّة ، وهل في مذهبهم ما يمنع من هذا التزاوج) ؟!

وقد أجاب محاميهم : (إنه لا مانع من تزوج الرجل الأحمدي من امرأة غير أحمديّة، ولكن قد ورد النهي عن تزوج الرجل غير الأحمدي من امرأة أحمديّة .. وقد كان المقصود بهذا النهي حفظ الفتيات الأحمديات من سوء تأثير الذين يبغضون الأحمديّة ويعادونها .. وإنه إذا زوج أحمدي ابنته من غير أحمدي ، فلا يجعل هذا النكاح ملغىً .. ولكن الحق أن القاديانيّين لم يبيّنوا للمحكمة موقفهم الحقيقي الصحيح في هذه المسألة ، فموقفهم الصحيح هو ما ذكره (الصاحب زادة بشير أحمد) في كلمة الفصل بما يأتي من الكلمات :

(إن حضرة المسيح ما أباح معاملة غير الأحمديّين إلا بما عامل به النبي الكريم النصارى ، وقد فرق بيننا وبينهم في الصلاة ، وحرم علينا أن نزوجهم بناتنا ، ونهانا عن الصلاة على موتاهم .. وإذا قيل فكيف رخص لنا في الزواج من بناتهم ؟

قلت : كيف رخص في الزواج من بنات النصارى) ؟!

ز – وقد حاول أيضاً محامي رئيس الجماعة الأحمديّة بـ (ربوة) أن يغالط المحكمة بأن ما سار عليه القاديانيّون من تكفير المسلمين ومقاطعتهم في العبادات والاجتماع ، لا يختلف في نوعيّته مما يعالجه الرجال المختلفون من دعاة الإصلاح من انتقاد حالة المسلمين الدينيّة والخلقيّة على العموم ، وعما يتبادله علماء مختلف الفرق المسلمة فيما بينهم من فتاوى التكفير، والحال أن بين الأمرين فرقاً جوهريّاً كبيراً ، وذلك أن ما قاله أو كتبه دعاة الإصلاح من المسلمين – قديماً وحديثاً – من كلمات العذل والملامة منتقدين لحالة الأمة المسلمة الدينيّة والخلقيّة ، ليس المقصود به تكفير الأمة المسلمة جمعاء ، بل المقصود هو حث القوم على الرجوع إلى الإسلام الحقيقي الخالص، ثم إنهم لا يدعون المسلمين إلى شيء بدع ، بل يطالبونهم باتباع تلك العقائد والأحكام الدينيّة التي هي مسلّم بها عند جميع المسلمين !

وكذلك إن ما كتبه علماء مختلف الفرق الإسلاميّة من العبارات بصدد تكفير بعضهم لبعض ، فأساسه في الأغلب أن في رأي عالم من علماء المسلمين أن أهل الفرقة الفلانية قد حادوا عن العقائد الدينيّة المتفق عليها ، ولا يقوم رأيه هذا على أن القوم لا يؤمنون بشيء جديد قد كان عرضه عليهم ، وعلى العكس من ذلك ، فإن ما قد سار عليه القاديانيّون من تكفير جميع غير الأحمديّين والانحياز عنهم في شعائر العبادة وشؤون المعيشة ؛ فمبناه على أن القوم لا يؤمنون بادعاء الميرزا للنبوة !

والظاهر أن ادعاء النبوة هذا شيء بدع يخالف عقيدة ختم النبوة التي هي من العقائد الإسلاميّة المتفق عليها عند جميع المسلمين ، وهذا فرق مبدئي جوهري!

ثم هناك فرق واقعي عملي بين تكفير العلماء المسلمين وتكفير القاديانيّين ، وهو أنه لم يؤدِّ أي تكفير بين الفرق المسلمة إلى فصل فرقة من المسلمين عن سواد الأمة فعلاً ، ولكن التكفير الذي تولاه القاديانيّون ، جاء يفصل فعلاً فرقة من المسلمين عن سواد الأمة في العبادات والتزاوج والمصالح الاقتصاديّة ، والمطامح والآمال السياسيّة ، وجعلها حرباً على السواد الأعظم في كل ميدان من ميادين الحياة !

٢- خطة القاديانيّين العدوانيّة ليست بحادث مفاجئ :

وعما قد أثير في المحكمة من المسائل أنه إن ارتدع القاديانيّون عن اتباع خطتهم

العدوانيّة ، وتركوا سعيهم وراء إقامة دولة داخل الدولة ، فهل يطالب بعد ذلك – ايضاً – بجعلهم أقلية غير مسلمة ؟!

وجوابنا عن هذا السؤال أن ما قد صدر إلى الآن عن القاديانيّين ليس بحادث حدث بالمصادفة ، بل هو نتيجة طبيعيّة لازمة لإنشاء أمة أخرى داخل أمة ، ومن صميم طبيعة ادعاء النبوة أن تحدث أمة مستقلة متميّزة عن جميع الذين لا يؤمنون بتلك الدعوى !

وهذه الأمة الجديدة إن انفصلت عن الأمة القديمة بالطريق المعتدل القويم، لم تقم بين الأمتين تلك الحالات السيّئة من النزاع والاصطدام التي قامت بين المسلمين والقاديانيّين!

ولكنها إن أرادت أن تظل أمة مستقلة في داخل أمة فلابد إذاً من تشوب النزاع والخصام ، وذلك أنه لا يصبح من الممكن عندئذ أن يمنع النزاع الديني بين الطائفتين من التحول إلى النزاع الاجتماعي ، وإلى النزاع السياسي والاقتصادي بينهما في آخر الأمر ، فلذلك لا فائدة في أن نرى رأياً يكوّن على الافتراضات الوهميّة ، ولا يكون العمل به ممكناً في واقع الأمر ابداً !

والحق أنه ليس للقاديانيّين أن يبقوا مندمجين في جمهور المسلمين إلا بواحدة ، هي أن يرتدعوا عن الاعتقاد بنبوة الميرزا !

وإذا كانوا لا يستطيعون ذلك ، فعليهم أن يعيشوا أمة مستقلة منفصلة عن المسلمين ، ومن اللازم أن يسلم بهذا الأمر في نصوص الدستور والقانون في المستقبل!

قضيّة التكفير :

وقد أثيرت مسائل أساسيّة في باب الكفر والتكفير في المحكمة ، ولكنه لم يجب عنها احد بالأجوبة الواضحة الوفية ، ونودنا أن تكون المحكمة على بيّنة من بضعة أمور في هذا الصدد :

أولاً : ليس (الكفر) و (الخروج عن دائرة الإسلام) بشيء واحد في كل حال ومن كل وجه ، فإن (الكفر) الذي يخرج المرء عن دائرة الإسلام هو الذي لا يجوز

القول به إلاّ في الحالات الآتية :

١-أن يجحد المرء بعقيدة من العقائد الأساسيّة التي طلب الاعتقاد بها الإسلام .

٢-أو أن يأتي بقول أو فعل يكون معناه الصريح الجحود بتلك العقيدة كأن يسجد لصنم ، أو يشتم النبي ﷺ ، أو يهين كتاب الله عمداً ، أو يأبى التسليم بحكم منصوص عليه من أحكام الله والرسول !

٣-أو أن يُدخل على العقائد التي يجب الإيمان بها تغييرات بالنقصان أو الزيادة أو التحريف – تشوهها في أصلها وجوهرها – كأن يخلط التوحيد بالشرك الجلي ، أو يعد غير نبي في عداد الأنبياء ويعتقد تعاليمه وحياً منزلاً من عند الله !

ثانياً : وعلاوة على هذا الكفر الذي بيّناه آنفاً فقد ذُكرت في القرآن والسنة كثير من الأفعال والأخلاق والأفكار التي تنتمي إلى الكفر والنفاق ، فاستعمل لها إما كلمة (الكفر) أو وصم من يأتونها بأنهم ليسوا بمؤمنين ، أو أطلق عليهم كلمات أخرى من هذا القبيل ترادف انتفاء الإيمان !

قلت : ضرب الإمام المودودي لذلك أمثلة مجملة ، لم يؤيدها بالدليل !

ثم قال : فمثل هذه الآيات والأحاديث قد أخطأت بعض الفرق من المسلمين فهمها كالمعتزلة ، والخوارج ، وبعض أُناس آخرين تنقصهم الحيطة ، فاعتبروا كل من انطبق عليه ما ورد فيها من أقوال الله تعالى والرسول ﷺ خارجاً عن حوزة الإسلام !

إلا أننا لا نجد في سياق الكلام في كتاب الله ، وحديث الرسول ﷺ ، ما يدل على أن هذا النوع الخاص من الكفر والنفاق يجعل المرء خارجاً عن الأمة الإسلاميّة !

كذلك لا يثبت مما أُثر من التعامل في عصر النبي ﷺ وخلفائه الراشدين في صدر الإسلام أن كل من وُجد فيه مثل هذا الكفر والنفاق أُخرج من الأمة الإسلاميّة إخراجاً !

ولأجل ذلك لم يزل العلماء المتورّعون الملتزمون جانب الحيطة والحذر في كل زمان يأخذون الفرق بين هذا الكفر والنفاق وبين الكفر الذي يفضي بالمرء إلى الخروج من الأمة بعين الاعتبار ، ويشددون النكير على خلط هذا بذلك !

 ولئن كان المصلحون قد أطلقوا على

لقب غير مسلمين ، فإنما كان قصدهم بذلك تحذيرهم مغبّة الأمر واسترجاعهم إلى الطاعة لا إخراجهم عن دائرة الإسلام !

ثالثاً : وإن كان أحدهم قد قال قولاً أو ارتكب فعلاً يكون مرادفاً للكفر الصريح ، يجب قبل أن يفتى عليه بالكفر :

١- أن يسأل عن فحوى كلامه وغاية فعله !

٢- ثم تستعرض أقواله وأفعاله جميعاً ، وينظر أي معنى من معاني قوله أو فعله ذلك يلائم ما عُهد منه من الأفكار والأعمال على الوجه العام !

٣- وإن كان قوله أو فعله يحتمل كلا التأويلين - الحسن والسيئ - فيرجح التأويل الحسن إلا إذا وُجدت للتأويل السيئ قرائن قويّة جداً !

ولا شك أن العديد من العلماء لم يأخذوا هذه الأمور الاحتياطيّة الضروريّة بعين الاعتبار ، واسترسلوا في الإفتاء بتكفير الناس بدون تأنٍّ ولا رويّة ، ولكن تكفيرهم الذي تولوا كبره بدون تدقيق ولا حيطة ، لم يؤدِّ قط إلى اعتبار من وقع عليه خارجاً من الأمة في واقع الأمر !

ولم يقف الأمر عند حد تفنيد العلماء الراسخين لحجج هؤلاء المكفّرين بدون بيّنة، بل إن الشعور الجماعي للأمة الإسلاميّة أبى أن يقبل تلك الفتاوى التكفيريّة!

ولا تجدون في صفحات التاريخ الإسلامي إلا أمثلة قليلة تعد على أنامل اليد يكون المسلمون قد اتفقوا على جعل فرقة منهم خارجة عن الإسلام !

وفي كل مثال من تلك الأمثلة كان سبب اتفاق المسلمين : كفراً صريحاً لم يكن يحتمل وجهاً من وجوه التأويل الحسن !

قلت : ذكر الإمام المودودي بعض الفرق ، ثم قال : وها قد أُضيفت إلى الأمثلة القليلة الطائفة القاديانيّة التي قد اتفق جميع علماء الإسلام والجماهير المسلمة على تكفيرهم - أي التكفير المؤدي إلى الخروج عن الأمة - ذلك لأنهم قد قاموا بأمر لا يمكن لأجله أن نكون نحن وهم مسلمين ومؤمنين في وقت واحد، فإن كان نبيّهم صادقاً كنا على الكفر ، وإن كان كاذباً كانوا هم الكافرين!

رابعاً : ولا ريب أنه قد ورد في بعض الأحاديث : إذا نسب أحد غيره إلى الكفر

وهو بريء منه ، فإن الكفر يرتد إلى الذي كفَّر !

ولكن ليس معناه : إنه إن جاء أحد يكفرني مثلاً ، قمت أقابله بالمثل وأحكم عليه بالكفر جزاءً له على تكفيره ، هذا المفهوم لا يستخرج من الحديث المشار إليه ، ولا كان النبي ﷺ ليريد بقوله أن يجعل في أيدي المتخاصمين المتجادلين أداة يستخدمونها في تكفير بعضهم بعضاً . وإنما مغزى الحديث أنه يجب على المرء أن يأخذ غاية الحذر قبل إفتائه بكفر أحد ، عسى أن يكون من يحكم عليه بالكفر بريئاً منه ، فيؤخذ بذنب تكفيره أحد المسلمين بغير حق !



البيان الثالث

طلبت محكمة التحقيق من العلماء أن يدلوا بتصريحاتهم حول المسائل الآتية :

١- ظهور المسيح والمهدي !

٢- هل يكون المسيح وعيسى ابن مريم شخصاً بعينه ؟!

٣- هل يكون المسيح والمهدي بمنزلة نبي من أنبياء الله ؟ وهل يوحى إليهما أو يلهمان ؟!

٤- وهل ينسخ أحدهما أو كلاهما حكماً من أحكام القرآن والسنة ؟!

٥- وهل العقيدة بختم النبوة بمحمد ﷺ جزء غير منفك من العقيدة الإسلاميّة ؟ [1] !

---

(١) قلت : هنا أذكر الأقوال في معنى (المسيح) ، و (المسيح الدجال) ، لأن ذلك قد ثبت في الأحاديث، فأقول :
اختُلف في اشتقاق المسيح ، وفي صفة نبي الله وكلمته عيسى ، وفي صفة عدو الله الدجال أخزاه الله ، على أقوال كثيرة ، تنيف على خمسين قولاً !
وقال ابن دحية في كتابه (مجمع البحرين في فوائد المشرقين والمغربين) :
(فيها ثلاثة وعشرون قولاً ، ولم أر من جمعها قبلي ممن رحل وجال ، ولقي الرجال).
قال الفيروز آبادي :
(فأضفت إلى ما ذكره الحافظ من الوجوه الحسنة ، والأقوال البديعة ، فتمت بها خمسون وجهاً) .
وبيانه أن العلماء اختلفوا في اللفظة : هل هي عربيّة أم لا ؟ فقال بعضهم : سريانيّة ، وأصلها مشيحا – بالشين المعجمة – ، فعربتها العرب ، وكذا ينطق بها اليهود ، قاله أبو عبيد ، وهذا القول الأول !
والذين قالوا إنها عربيّة اختلفوا في مادتها ، فقيل من : س ي ح ، وقيل من: م س ح . ثم اختلفوا ، فقال الأولون : مَفْعِل ، من ساح يسيح ، لأنه يسيح في بلدان الدنيا وأقطارها جميعها، أصله مَسْيِح ، فأسكنت الياء ونقلت حركتها إلى السين ، لاستثقالهم الكسرة على الياء ، وهذا القول الثاني !
وقال الآخرون : مَسيحٌ مشتق من مَسَح ، إذا سار في الأرض وقطعها ، فعيلٌ بمعنى فاعل ، والفرق بين هذا وما قبله أن هذا يختص بقطع الأرض ، وذاك بقطع جميع البلاد، وهذا الثالث، وسرد الأقوال كلها !
وقال القاضي عياض في (مشارق الأنوار) :

١- في الجواب عن المسألة الأولى :

أ - في باب نزول المسيح عليه السلام : إن مسألة نزول المسيح عليه السلام من السماء إلى الأرض في آخر الزمان مسألة ما زال المسلمون متفقين عليها منذ أول أمرهم ، تستند هذه المسألة إلى الكتاب والسنة وإجماع الأمة !

فالقرآن وإن لم يصرح بها تصريحاً ، ولكن فيه آيتين تشيران إليها إشارة واضحة ، وقد فسرهما معظم المفسرين على أن المسيح سينزل من السماء إلى الأرض في آخر الزمان !

= (قوله في عيسى المسيح : ولم يُختلف في ضبط اسمه كما سماه الله في كتابه ، واختلف في معناه ، فقيل : لأنه كان إذا مسح على ذي عاهة برأ ، وقيل : لمسحه الأرض وسياحته فيها ، فهو على هذا فعيل بمعنى فاعل ، وقيل : لأنه كان ممسوح الرجل لا اخمص له ، وقيل : لأن الله مسحه ، أي خلقه خلقاً حسناً ، والمسحة : الجمال والحسن ، وقيل : لأن زكرياء مسحه ، فهو هنا بمعنى مفعول ، أي ممسوح، وقيل : هو اسم خصه الله به ، وقيل : هو الصدّيق) !

قال :

(وأما المسيح الدجال فاختُلف في لفظه ومعناه ، فأكثر الرواة وأهل المعرفة يقولونه مثل الأول، وكذا قيدناه في الأصول عن جمهورهم ، ووقع عند شيخنا أبي إسحاق في الموطأ بكسر الميم والسين وبتثقيلها أيضاً ، وحكاه شيخنا أبو عبد الله التجيبي عن أبي مروان بن سراج ، قال : من كسر الميم شدّد ، مثل : شرّيب ، وانكر هذا الهروي ، وقال : ليس بشيء ، وخفف غيره السين، كذا وجدته مقيداً بخط الأصيلي في كتاب الأنبياء ، قال بعضهم : كسرت الميم فيه للتفرقة بينه وبين عيسى عليه السلام ، وقال الحربي : بعضهم يكسرها في الدجال ويفتحها في عيسى ، وغير هؤلاء يأبون هذا كله، وانه لا فرق بين الاسمين في فتح الميم وتخفيف السين ، وان عيسى مسيح الهدى ، وهذا مسيح الضلالة) !

وقال أبو الهيثم :

(المسيح - بالحاء المهملة - ضد المسيخ - بالخاء المعجمة - مسحه الله ، إذا خلقه خلقاً حسناً ، ومسخه: إذا خلقه خلقاً ملعوناً) !

وقال أبو بكر الصوفي :

(أهل الحديث يفرقون بينهما ، وبعض أهل اللغة يقولون للدجال بكسر الميم وتشديد السين ، وأكثرهم لا يرون ذلك ، وقال الأمير ابو النصر : صحفه من الصوري بالخاء المعجمة ، وقيل: إنما سمي مسيحاً لمسح إحدى عينيه ، والمسيح : الممسوح العين)! قال أبو عبيد: (وبه سمي الدجال ، فيكون بمعنى مفعول ، وقيل : لمسحه الأرض ، فيكون بمعنى فاعل ،، وقيل : المسيح الأعور ، وبه سمي الدجال) !

ومع ذلك ظهر في عصر شيخ الإسلام ابن تيمية دجال ادعى أنه عيسى ابن مريم ، كما قال شيخ الإسلام في رسالته المسماة بـ (بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية اهل الاتحاد من القائلين بالحلول والاتحاد) !

والأولى منهما قوله تعالى :

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ . (آية ١٥٩ سورة النساء)

أي قبل موت المسيح عليه السلام ، ولا شك أن هذه الآية قد فسّرها بعض المفسرين على أن كل صاحب كتاب يؤمن بعيسى قبل موته أي قبل موت نفسه!

ولكن يمكن أن يكون معنى الآية ما بيّناه آنفاً ، بل عليه فسر الآية أكثر المفسرين !

والثانية قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ . (آية ٦١ سورة الزخرف)

وهذه الآية أيضاً فسرت بوجهين :

أحدهما : أن خلق عيسى ابن مريم من الآيات الدالة على إمكان الآخرة !

والثاني : أنه من الآيات الدالة على اقتراب يوم القيامة ، وإلى معنى الثاني ذهب أكثر المفسرين !

وعلى كل فإن القرآن لا يصرح بنزول عيسى عليه السلام بكلمات واضحة ، وغاية ما يمكن القول به هو أن القرآن يشير إلى نزوله قبل يوم القيامة !

أما كتب الحديث فلا شك أنها تصرح بأن النبي ﷺ قد أخبر بنزول عيسى، وقد ورد في هذا المعنى أكثر من سبعين حديثاً عن أربعة وعشرين نفراً من أصحاب النبي ﷺ !

أما الرواة الذين سمعوا هذه الأحاديث عن الصحابة ورووها عنهم ، والرواة الذين بلّغوها عنهم ، ممن تبعهم من أصحاب كتب الحديث ، فيكاد يزيد عددهم على مائة ، وأكثرهم من الثقات ، وهم من سكان مختلف أقطار الأرض الممتدة من اليمن إلى أذربيجان ، ومن مصر إلى ما وراء النهر وسيستان ، وأكثر هذه الروايات متصل الإسناد والحلقات من أصحاب كتب الحديث إلى النبي ﷺ !

فمن الصعب ، بل من المستبعد تماماً أن يخطر ببالنا عن هذا العدد الكبير من سكان مختلف بقاع الأرض وأقطارها المترامية الأطراف أن يكونوا قد عقدوا مؤتمراً واتفقوا فيه فيما بينهم على إصدار قرار باختلاق قصة عن نزول المسيح وينسبونها إلى نبي الله ﷺ !

ولو أنهم فعلوا ذلك ، لما كان في رواياتهم من التناسب والتوافق ما نجده في الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ عن نزول المسيح ، لا خلاف في نفس ما تحتوي عليه هذه الأحاديث من بيان عن نزول عيسى إلا في موضعين أو ثلاثة مواضع ، وما هو إلا خلاف بسيط لا يؤبه له ألبته !

فكأن القصة التي تبينها هذه الأحاديث عن كيفية نزول المسيح قصة واحدة مرتبطة عناصرها متناسقة أجزاؤها !

فمن الواضح اليقينيّ الذي لا مجال فيه للريب أن النبي ﷺ قد أخبر بنزول عيسى ابن مريم إلى الأرض قبل يوم القيامة ، وهذه حقيقة ثابتة من الشهادات القاطعة التي لا تقبل الريب أو الجدل ، فإن أمكن رد الروايات التي هذه صحتها وقوتها ، فلا يمكن بعد ذلك أن يكون أي حادث من حوادث التاريخ صالحاً للقبول !

وكذلك فقد أجمع علماء الأمة وفقهاؤها ومفسّروها ومحدّثوها منذ القرن الأول حتى وقتنا هذا على صحة الخبر بنزول عيسى ابن مريم إلى الأرض مرة أخرى قبل يوم القيامة !

وقد ذكرنا في الملحق (أ) ما ثبت عن كبار علماء الأمة من الأقوال في هذه المسألة، وما أنكرها إلا بعض علماء المعتزلة والجهميّة ظناً منهم أنها تتنافى مع عقيدة ختم النبوة [1] !

---

(١) قلت : أرى ضرورة ذكر الأقوال فيما ذكر الإمام المودودي من القرآن ، وأشار إليه من الحديث، والأقوال في ذلك ، نظراً لأهمية الموضوع ، فيما يلي :

قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ . (آية ١٥٩ سورة النساء)

قال الطبري : التفسير : ٦ : ١٨-٢١ :

(اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم معنى ذلك : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ يعني بعيسى ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ يعني قبل موت عيسى، يوجه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال ، فتصير الملل كلها واحدة ، وهي ملة الإسلام الحنيفية ، دين إبراهيم ﷺ) .

وذكر الطبري من قال ذلك مما يضيق المقام عن ذكره ، وذكر الأقوال الأخرى ، وقال :

= (وأولى الأقوال بالصحة والصواب قول من قال : تأويل ذلك : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى) .
ونقل ابن كثير هذا القول : تفسير ابن كثير : ١ : ٥٧٧ :
وقال : (ولا شك أن الذي قاله ابن جرير هو الصحيح ، لأنه المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه ، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك ، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك ، وإنما شبه لهم ، فقتلوا الشبه ، وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنه رفعه إليه ، وإنه باق حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة ، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة .. فيقتل مسيح الضلالة ، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية حتى لا يقبلها من أحد من أهل الإيمان ، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف ، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم) !
ولهذا قال : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ .
أي قبل موت عيسى عليه السلام ، الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب :
﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ .
أي بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء، وبعد نزوله إلى الأرض : انظر: تفسير الطبري : ٦: ١٠-١١ ، وتفسير القاسمي : ٥ : ١٧١١-١٧١٦ ، وتفسير الألوسي : ٣ : ١٨٨ ، وتفسير الشوكاني : ١ : ٦٢٧ ، وتفسير ابن الجوزي : ٢ : ٢٤٧ .
ويروي الشيخان وغيرهما أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ:
" والذي نفسي بيده ! ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها " .
ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ .
البخاري : ٦٠- أحاديث الأنبياء (٣٤٤٨) ، واللفظ له، ومسلم : ١- الإيمان (١٥٥)، وأحمد : ٢ : ٢٤٠ ، ٥٣٨ ، والترمذي (٢٢٣٣) ، وابن حبان : الإحسان (٦٨١٨) ، وعبد الرزاق (٢٠٨٤٠) ، والحميدي (١٠٩٧) ، وابن ماجه (٤٠٧٨) ، والطحاوي : شرح مشكل الآثار (١٠٣ ، ١٠٤) ، والبغوي : شرح السنة (٤٢٧٥) .
قال ابن حجر : فتح الباري : ٦ : ٥٦٨ :
(هو موصول بالإسناد المذكور ، قال ابن الجوزي : إنما تلا أبو هريرة هذه الآية للإشارة إلى مناسبتها ، لقوله :
" حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها " ، فإنه يشير بذلك إلى صلاح الناس ، وشدة إيمانهم ، وإقبالهم على الخير ، فهم لذلك يؤثرون الركعة الواحدة على جميع الدنيا ، والسجدة تطلق ويراد بها الركعة) .
قال القرطبي :
(معنى الحديث أن الصلاة حينئذ تكون أفضل من الصدقة ، لكثرة المال إذ ذاك ، وعدم الانتفاع به ، إذ لا يقبله أحد ، وقوله في الآية : ﴿ وَإِن ﴾ بمعنى (ما) ، أي لا يبقى أحد من أهل الكتاب ، وهم =

= اليهود والنصارى إذا نزل عيسى إلا آمن به ، وهذا مصير من أبي هريرة إلى أن الضمير في قوله : ﴿ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ ﴾ ، وكذلك في قوله ﴿ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ يعود على عيسى ، أي إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى ، وبهذا جزم ابن عباس فيما رواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عنه بإسناد صحيح ، ومن طريق أبي رجاء عن الحسن قال : قبل موت عيسى : والله ! إنه الآن حيّ ، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون ، ونقله أكثر أهل العلم ، ورجحه ابن جرير وغيره كما سبق .

وفي رواية لأحمد بسند صحيح عن حنظلة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

" ينزل عيسى ابن مريم ، فيقتل الخنزير ، ويمحو الصليب ، وتجمع له الصلاة ، ويعطي المال حتى لا يقبل، ويضع الخراج ، وينزل الروحاء ، فيحج منها أو يعتمر ، أو يجمعهما " .

قال : وتلا أبو هريرة : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ .

فزعم حنظلة أن أبا هريرة قال : يؤمن به قبل موته – : عيسى ، فلا أدري : هذا كله حديث النبي ﷺ ، أو شيء قاله أبو هريرة ؟

قال الشيخ أحمد شاكر : مسند أحمد : ١٥ : ٢٧ (٧٨٩٠) :

(قوله " قبل موته – : عيسى " يريد أن الضمير في " موته " عائد على عيسى ، فهو تفسير للضمير ، وهذا هو الثابت في الأصول الثلاثة ، وفي جامع المسانيد : ٧ : ١٢، وتفسير ابن كثير : "قبل موت عيسى " بدون ذكر الضمير ، فيكون تفسيراً لمعنى الآية، لا حكاية للفظها ، والأمر قريب .

وهذا هو المعنى الصحيح للآية : أنه : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، كما قال الطبري ، وهو أيضاً يرد على من أنكر أن عيسى عليه السلام لا يزال حيّاً في السماء، لم يمت ، وأنه رفعه الله إليه ، ويدل على أنه سينزل من السماء في آخر الزمان ، كما ثبت بالأحاديث المتواترة في ذلك).

قال ابن كثير :

وهذه الآية كقوله : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ .(آية ٦١ سورة الزخرف)

وقرئ (لعَلَم) بالتحريك ، أي أمارة ودليل على اقتراب الساعة ، وأنه ينزل بعد خروج المسيح الدجال فيقتله الله على يديه : تفسير ابن كثير : ١ : ٥٨٣ :

وروى أحمد عن أبي يحيى مولى ابن عقيل الأنصاري قال :

قال ابن عباس : لقد علمت آية من القرآن ما سألني عنها رجل قط ، فما أدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها ، أم لم يفطنوا لها فيسألوا عنها ؟ ثم طفق يحدثنا ، فلما قام تلاومنا ألا نكون سألناه عنها ، فقلت : أنا لها إذا راح غداً ، فلما راح الغد قلت : يا ابن عباس، ذكرت أمس أن آية من القرآن لم يسألك عنها رجل قط، فلا تدري أعلمها الناس فلم يسألوا عنها ، أم لم يفطنوا لها ؟ فقلت : أخبرني عنها وعن اللا تي قرأت قبلها ؟ قال : نعم ، إن رسول الله ﷺ قال لقريش :

" يا معشر قريش ، إنه ليس أحد يعبد من دون الله فيه خير ، وقد علمت قريش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم ، وما تقول في محمد " .

فقالوا : يا محمد ، ألست تزعم أن عيسى كان نبياً وعبداً من عباد الله صالحاً ، فلئن كنت صادقاً فإن آلهتهم لكما تقولون . قال : فأنزل الله عز وجل

- ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ . (آية ٥٧ سورة الزخرف)

قال : قلت : ما يصدون ؟ قال : يضجون .

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ .

قال : هو خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة !

مسند أحمد : ٤ : ٣٢٨ – ٣٢٩ (٢٩٢١) قال الشيخ أحمد شاكر : (إسناده صحيح ، وأبو يحيى هو المعرقب – بفتح القاف – ، واسمه (مِصْدَع) بكسر الميم وسكون الصاد وفتح الدال ، وآخره عين مهملة ، وفي التهذيب أنه (مولى عبد الله بن عمرو، ويقال : مولى معاذ بن عفراء) والذي هنا أنه مولى ابن عقيل الأنصاري ، فالظاهر أنه مولى الأنصار ، وهو تابعي روى عن عليّ وغيره من الصحابة ، وتكلموا فيه من أجل التشيع ، وأخرج له مسلم ، وقال عمار الدهني : كان عالماً بابن عباس ، وترجمه البخاري في الكبير (٢١٧٦) فقال : مصدع وهو الأعرج ، والحديث ذكره ابن كثير في التفسير : ٧ : ٤٠٦–٤٠٧ ، عن هذا الموضع ، ثم ذكر نحوه عن ابن أبي حاتم من حديث ابن عباس ، وهو في مجمع الزوائد : ٧ : ١٠٤ ، ونسبه أيضاً = = للطبراني ، وقال : وفيه عاصم بن بهدلة، وثقه أحمد وغيره ، وهو سيئ الحفظ ، وبقية رجاله رجال الصحيح ، وعاصم ثقة أخرج له الشيخان ، وسائر أصحاب السنة، وذكره السيوطي في الدر المنثور : ٦ : ١٩–٢٠ ونسبه أيضاً لابن مردويه !

وأخرجه ابن حبان عن أبي يحيى مولى ابن عفراء عن ابن عباس عن النبي ﷺ في قوله :

﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ . قال : (نزول عيسى ابن مريم من قبل يوم القيامة) : الإحسان (٦٨١٧)، وأخرجه الطبري في التفسير : ٢٥ : ٩٠ من طريق سفيان ، عن عاصم ابن أبي النجود به موقوفاً على ابن عباس ، ومن طريق شعبة وقيس ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ، ومن طريق ابن عطية عن فضيل بن مرزوق ، عن جابر ، عن ابن عباس ، وانظر : تفسير الشوكاني : ٤ : ٥٣٨ – ٥٣٩ .

قال الزمخشري :

﴿ وَإِنَّهُۥ ﴾ .وإن عيسى عليه السلام ﴿ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ . أي شرط من أشراطها تعلم به ، فسمّي الشرط علماً لحصول العلم به ، وذكر قراءة ابن عباس ﴿ لَعَلَمٌ ﴾ .قال : وهو العلامة ، وقال : وقرئ ﴿ لَلْعَلَم ﴾ : الكشاف : ٣ : ٤٢٤ ، وانظر : الفخر الرازي : ١٤ : ٢٢٢ ، ومعجم القراءات القرآنية : ٦ : ١٢٢ ، وزاد المسير : ٧ : ٣٢٥ .

وماذا يمكن أن يقال ، وقد أقسم الرسول ﷺ في الحديث السابق المتفق عليه :

" والذي نفسي بيده ! ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً .. " الحديث !

أليس من الواجب على كل مسلم الوقوف في شؤون الغيب عند النصوص ؟!

هذا ، وعرض الإمام الشيخ محمود شلتوت في (مجلة الرسالة) للآيات التي عرضنا لها ، بما أثار ضجة – كما قال فضيلته – دعته إلى النظر في الأدلة ، ثم ذكر خلاصة هذا الرد في كتابه (الفتاوى) : ٥٩ وما بعدها :

وبعد أن انتهى من الرد على النظرة الأولى فيما ساقوا من آيات بما يؤيد رأيه ، انتقل إلى النظرة الثانية في الأحاديث فقال :

= (وموجز ما تقول فيها : إنها لا تخرج عن كونها أحاديث آحاد ، وأحاديث الآحاد مهما تصح لا تفيد يقيناً يثبت عقيدة يكفر منكرها) !
ومضى يزيد دعواه ، إلى أن قال :
(إن ما تدل عليه ألفاظ تلك الأحاديث ليس عقيدة يجب الإيمان بها) !
كما نقل عن الإمام الشيخ محمد عبده تفسيره لقوله تعالى :
﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ . (آية ٥٥ سورة آل عمران)
انظر : تفسير المنار : ٣ : ٣١٦ وما بعدها .
قال :
(للعلماء ها هنا طريقتان :
إحداهما : وهي المشهورة : أنه رفع حياً بجسده وروحه ، وأنه سينزل في آخر الزمان ليحكم بين الناس بشريعتنا ، ثم يتوفاه الله تعالى .
والطريقة الثانية : أن الآية على ظاهرها ، وأن التوفي على معناه الظاهر المتبادر منه، وهو الإماتة العادية ، وأن الرفع سيكون بعده ، وهو رفع الروح) .
ثم قال :
(ولصاحب هذه الطريقة في حديث الرفع والنزول في آخر الزمان تخريجان :
أحدهما : أنه حديث آحاد متعلق بأمر اعتقادي ، لأنه من أمور الغيب الاعتقادية ، لا يؤخذ منها إلا بالقطعي ، لأن المطلوب فيها هو اليقين ، وليس في الباب حديث متواتر !
وثانيهما : تأويل نزوله) !
وقد تعلق بهذه الشبهة كثيرون ، يضيق المقام عن ذكرهم ، منهم الشيخ عبد الوهاب النجار : انظر : قصص الأنبياء : ٤٢٤ .
ونلاحظ أن الإمام الشيخ شلتوت اختصر القول الأول الراجح الوارد في الطريقة الأولى المشهورة – كما سبق – ، وحاول التركيز على ذكر الطريقة الثانية التي حاول جاهداً ترجيحها وهي مرجوحة ، وبخاصة التركيز على أنه ليس في الباب حديث متواتر ، والتأويل بنحو ما نقل هو عن صاحب شرح المقاصد !
ونقل عن الشيخ رشيد رضا قوله :
(ليس فيه – أي القرآن – نص صريح بأنه – أي عيسى – ينزل من السماء ، وإنما هي عقيدة أكثر النصارى ، وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهور الإسلام بثها في المسلمين) !
كما ذكر أن الإمام الشيخ المراغي كتب بمناسبة السؤال الذي رفع إليه، وكان ذلك سبباً في تلك الفتوى، وأن الإمام الشيخ المراغي قال :
(ليس في القرآن الكريم نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه، وعلى أنه حي الآن بجسمه وروحه .. وذكر الآية السابقة ، ثم قال : لكن جمهور العلماء على أنه رفع بجسمه وروحه ، فهو حي الآن بجسمه وروحه ، وفسروا الآية بهذا بناءً على أحاديث وردت ، كان لها عندهم المقام الذي يسوغ تفسير القرآن بها ، ثم قال : ولكن هذه الأحاديث لم تبلغ درجة الأحاديث المتواترة التي توجب على المسلم عقيدة ، والعقيدة لا تجب إلا بنص من القرآن أو بحديث متواتر) ! انظر : الفتاوى : ٨١ –٨٢ .
حجية الآحاد :
ومعلوم أن التواتر ليس شرطاً في قبول الأحاديث ، وحسبنا أن الآحاد قسيم المتواتر ، ويشمل أغلب السنة، وأنه متى صح الحديث وفق قواعد التحديث رواية ودراية فإنه يجب على المسلم الأخذ به ! =

(٢) المسيح ينزل ولا يولد :

والذي يثبت من هذه الروايات وأجمعت عليه الأمة ، ما هو (بولادة مثيل

= وقد ذكر حجية الآحاد الأئمة الذين يطول الحديث في ذكرهم .. منهم : الشافعي ، والنووي ، وابن تيمية، وغيرهم !

انظر : الرسالة : ٩٩٨ وما بعدها ، ومقدمة صحيح مسلم : ٦١ وما بعدها ، ومختصر الصواعق المرسلة: ٧٣ – ٧٦ ، ٥٠٤ ، ٥١٢ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، والبخاري : ٦٥– كتاب أخبار الآحاد ١– باب ما جاء في إجازة الخبر الواحد، والفتح : ١٣ : ٢٤٦ .

قول الحافظ ابن كثير :

(هذا ، وقد ذكر الحافظ ابن كثير الأحاديث الكثيرة التي يضيق المقام عن ذكرها ، في نزول عيسى ابن مريم إلى الأرض من السماء في آخر الزمان قبل يوم القيامة، وأنه يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، ويقتل المسيح الدجال) .

تواتر الأحاديث :

ثم قال الحافظ ابن كثير : تفسير ابن كثير : ١ : ٥٨٢ :

(فهذه أحاديث متواترة عن رسول الله ﷺ ، من رواية أبي هريرة ، وابن مسعود ، وعثمان ابن أبي العاص، وأبي امامة ، والنواس بن سمعان ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، ومجمع ابن جارية ، وأبي شريحة، وحذيفة بن أسيد ، رضي الله عنهم) !

وفيها دلالة على صفة نزوله ومكانه من أنه بالشام ، بل بدمشق عند المنارة الشرقية، وأن ذلك يكون عند إقامة صلاة الصبح !

وقد بنيت في هذه الأعصار في سنة (٧٤١) إحدى وأربعون وسبعمائة منارة للجامع الأموي بيضاء من حجارة منحوتة ، عوضاً عن المنارة التي هدمت بسبب الحريق المنسوب إلى صنيع النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ، وكان أكثر عمارتها من أموالهم !

وقويت الظنون أنها هي التي ينزل عليها المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، فيقتل الخنزير ، ويكسر الصليب ، ويضع الجزية ، فلا يقبل إلا الإسلام !

وهذا إخبار من النبي ﷺ بذلك وتقرير وتشريع وتسويغ له على ذلك في هذا الزمان ، حيث تنزاح عللهم، وترتفع شبههم من أنفسهم ، ولهذا كلهم يدخلون في دين الإسلام متابعين لعيسى عليه السلام ، وعلى يديه ، ولهذا قال تعالى :

﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾. الآية .

وقد أفرد كثيرون من العلماء هذه الأحاديث في تآليف مستقلة ، يضيق المقام عن ذكرها) .

قول المحدث المرحوم الشيخ أحمد شاكر :

وفي ختام رد هذه الشبهة بقول المحدث المرحوم أحمد شاكر :

(وقد لعب المجددون ، أو المجردون ، في عصرنا الذي نحيا فيه ، بهذه الأحاديث الدالة صراحة على نزول عيسى ابن مريم عليه السلام ، في آخر الزمان– قبل انقضاء الحياة الدنيا – بالتأويل المنطوي على الإنكار تارة ، وبالإنكار الصريح أخرى !

ذلك أنهم – في حقيقة أمرهم – لا يؤمنون بالغيب ، أو لا يكادون يؤمنون ، وهي أحاديث متواترة المعنى في مجموعها ، يعلم مضمون ما فيها من الدين بالضرورة ، فلا يجديهم الإنكار ولا التأويل) !

للمسيح، بل هو نزول المسيح عليه السلام بعينه) !

وتصرح الروايات كلها من غير استثناء بأن النازل هو عيسى ابن مريم ، فجاء ذكره في مختلف الروايات بمختلف الأسماء كابن مريم أو عيسى ابن مريم. والظاهر أن عيسى ابن مريم هو اسم رجل معلوم . فليس الخبر بنزوله إلا عن نزول شخصه . فإذا قبل أحد هذا الخبر ، فلابد له أن يقبله على أنه سينزل إلى الأرض ذلك الشخص المعروف الذي كان قد ولد من بطن مريم بنت عمران عليها السلام في بني إسرائيل قبل ألفي سنة !

وإن أنكر ذلك ، فلابد أن ينكر تصور (**المسيح الموعود**) نفسه . وعلى كل فإنه من اللغو أن يحاول أحد إثبات مثيل لعيسى ، على أساس الروايات الواردة عن نزول عيسى ابن مريم ، وأكثر سخافة من هذا أن يحاول أحد إثبات فكرة (التجسد) (Incarnation) للمسيح على أساس هذه الروايات ، وهي الفكرة التي يأخذ بها الهندوس عن أبطالهم الماضين !

وأعظم غياً ولغواً من كل هذا وذاك أن يصيّر أحد مريم بصورة تمثيليّة، ثم يكون هو نفسه حبلى بصورة تمثيليّة ، ثم يولد هو نفسه من بطنه بصورة تمثيليّة ، ويعلن في الناس أن عيسى ابن مريم الذي أخبر بنزوله قد ولد [1] !

(٢) الغرض من نزول عيسى :

إن الغرض الذي تبيّنه الأحاديث لنزول عيسى ، هو أنه سيظهر في آخر الزمان دجّال يعرض نفسه على الناس مدعياً أنه المسيح !

فهناك يتبعه اليهود ، ويسبّب فتنة شاملة وضلالاً مطبقاً في العالم كله ، فيُرجع الله المسيح الحقيقي إلى الدنيا ، لكي يقمع فتنة هذا الدجال وينقذ الناس من شره !

والنبي ﷺ إنما أخبر الناس بظهور الدجال ليكونوا على حذر ، ولا يروا فيه المسيح،

(١) هكذا ورد عن الميرزا (غلام) حيث يقول في كتابه : (سفينة نوح) : (وهو سماني بمريم في الجزء الثالث من البراهين الأحمديّة : ثم نشأت في الصفة المريمية إلى سنتين كما هو الظاهر من البراهين الأحمديّة .. وما زلت أنمو وأتربى وراء الحجاب ثم .. نفخ في روح عيسى كمريم ، وحملت بعيسى على وجه الكناية ، ثم بعد عدة أشهر لا أكثر من عشرة أشهر ، جعلت عيسى بعد أن كنت مريم ، وذلك بإلهام جاءني في آخر الجزء الرابع من البراهين الأحمديّة . فهكذا أصبحت ابن مريم ، والله ما أطلعني على هذا السر الخفي عند كتابة البراهين الأحمدية : ٤٨ .

ويترقبوا نزول المسيح الحقيقي في زمانه ، ثم ينصروه ويؤيّدوه في قمع فتنة الدجال وقطع دابره . والنبي ﷺ ما أخبر به الناس ليتخذ أحد من أقواله حجة ثم يعرض نفسه على الناس كـ (مثيل للمسيح) أو كـ (تجسد للمسيح) ويفرق بذلك كلمة المسلمين!

(٤) انقراض الملل كلها بنزول المسيح إلا الإسلام :

وأيضاً فإن هذه الروايات تصرح بأن جميع الملل والديانات ستنمحي نتيجة نزول المسيح ، فلا يبقى في الدنيا إلا ملة الإسلام وحدها ، وأما ما جاء في الروايات من كسر عيسى للصليب أو محوه إياه أو تحطيمه إياه أو قتله للخنزير، فإنما فسره العلماء جميعاً بأنه سينتهي بذلك النزاع القائم بين المسيحيّة والإسلام ويصبحان ملة واحدة !

وتدل الروايات على أن اليهوديّة ستتلاشى مع موت الدجال !

وأما ما جاء في هذه الروايات من ذكر سقوط الحرب والجزية والخراج ، فقد أجمع المحدّثون على أن معناه أن الحرب ستنتهي إذا امحت جميع الملل ولم يبق إلا دين الإسلام، فلا ينشأ السؤال إذاً عن ضرب الجزية أو الخراج على أحد !

(٥) عقيدة نزول المسيح لا تصطدم مع عقيدة ختم النبوة :

والذي يجب أن يلاحظ بوجه خاص هو أن عقيدة نزول المسيح – على نحو ما جاء ذكرها من الأحاديث وفهمها علماء الأمة – لا تصطدم مع عقيدة ختم النبوة ، ولكن التصور القادياني لـ (**المسيح الموعود**) يصادم هذه العقيدة بوجه سافر من عدة نواحٍ:

١-إن عيسى ابن مريم قد بعث نبيّاً من أنبياء الله قبل محمد ﷺ ، فقد آمن به النبي ﷺ نفسه ، وما زال المسلمون يؤمنون به في كل زمان ، والذي لا يؤمن به ، هو كافر خارج من دائرة الإسلام باتفاق المسلمين !

فإذا نزل إلى الأرض مرة أخرى فأي مسألة تنشأ عن الإيمان أو الكفر به من جديد؟!

وإذا أمكن أن يكون الخلاف في أمره ، فإنما يكون في معرفته : هل الذي نزل هو عيسى ابن مريم أو غيره ؟!

ولا يمكن أن يكون الخلاف في أنه إذا كان النازل هو عيسى ابن مريم ، فهل يؤمَن به أو يكفَر ؟!

فالمسلمون يؤمنون به ، ولا حاجة إلى تجديد الإيمان به مرة أخرى عند نزوله ، ولا يمكن أن يُحدث نزوله فرقاً جديداً بين الكفر والإيمان في المسلمين !

وأما الذي لا ينزل ولكن (يولد) ، ثم يدعي أنه المسيح ويدعو الناس إلى الإيمان به واتباعه ، فلابد أن يحدث ادعاؤه فرقاً جديداً بين الكفر والإيمان في الأمة الإسلاميّة ، وهو من أسباب التفرقة ، وهذا ما حدث عند قيام المسيح القادياني بهذا الادعاء !

٢-إن الأحاديث لا تعرض المسيح ابن مريم النازل ، من حيث هو يدعي النبوة ، ويدعو الناس إلى الإيمان به ، ويجعل من الذين يؤمنون به أمة أو جماعة مستقلة ، ويخرج من الإسلام من لا يؤمن به ، أي إن الأحاديث لا تعرضه كصاحب رسالة جديدة مستقلة ، وإنما تعرضه كرجل ينزل من السماء ويدخل في جماعة المسلمين ، ويسلم بقيادة من يكون في زمانه أميراً للمسلمين او إماماً لهم ، ويشاركه في مهمة قمع فتنة الدجال ، فهو إذاً على سبيل الحيطة لا يؤم الناس في الصلاة ، بل يصلي خلف إمامهم ، حتى لا يظن الظانون أنه قد تولى المنصب الذي كان عليه قبل مبعث النبي ﷺ، وتشهد بذلك الأحاديث الكثيرة شهادة ناطقة واضحة !

ولكن العقيدة القاديانيّة بشأن (المسيح الموعود) تعارض ذلك معارضة شديدة ، ولا تفضي إلا إلى النتائج المعاكسة لذلك تماماً !

٣-إن طبيعة إيمان المسلمين بنزول عيسى ابن مريم هي أنه وإن كان في بعثته الأولى نبيّاً من أنبياء الله ، ولم يسلب إلى الآن شرف النبوة وفضلها ، ولكن فترة نبوته انتهت مع بعثة محمد ﷺ !

ولا يوجد إلى يوم القيامة إلا زمان نبوة محمد ﷺ !

فلا يأتي عيسى الآن على أنه نبي من أنبياء الله ، بل يكون مطيعاً لمحمد ﷺ متبعاً لأحكام شريعته ، وهو لا يدعو الناس إلى نبوته ، أو ينفذ فيهم أحكاماً جديدة ، أو يغيّر شيئاً من أحكام الشريعة الخالدة ، بل إنما تقتصر وظيفته على القيام – وفقاً للشريعة المحمديّة – بالمهمة التي ينزل لأجلها إلى الأرض !

وهذه المسألة توضحها كل الإيضاح تصريحات الإمام الرازي ، والإمام النووي ، والعلاّمة التفتازاني ، والشيخ إسماعيل الحقي ، والعلاّمة الألوسي !

ومثل ذلك كمثل شخص كان رئيساً للدولة فيما مضى ولم يسلب بعد شرف كونه رئيساً سابقاً ، ولكن وضعه في عصر رئيس الدولة الجديد لا يكون أكثر من مواطن عادي في الدولة !

وعلى هذا يتلاءم نزول المسيح مع عقيدة ختم النبوة ، ولا يبقى أي أساس من الصحة لظن من يظن أن ستنشأ بنزوله مسألة اتباع نبي جديد يتوقف على الإيمان به كون المرء مسلماً أو غير مسلم !

ولكن التصور القادياني للمسيح الموعود يدعونا إلى متبوع جديد ، يطالبنا بكل ما يكون للنبوة من الحقوق الاعتقاديّة والشرعيّة ، وتصدر منه جميع الدعاوى التي لا يقوم بها إلا من يأتي برسالة مستقلة ، ولا يقلل من خطورة دعوته أن يعتبر نفسه كفرد من الأمة المسلمة ، وتابع للشريعة المحمديّة ، أو يدعي لنفسه مكانة أخرى ، والذي يجعل طبيعة دعاواه تتضارب مع العقيدة الإسلاميّة بنزول المسيح في حقيقة الأمر ، هو أن العقيدة الإسلاميّة بنزول المسيح لا تجعل طاعة متبوع جديد واتباعه أساساً للكفر والإيمان !

ولكن العقيدة القاديانيّة بالمسيح الموعود تجعل طاعة هذا المسيح الموعود واتباعه أساساً للكفر والإيمان !

ب- في ظهور المهدي :

تختلف مسألة ظهور المهدي اختلافاً عظيماً عن مسألة نزول المسيح عليه السلام ، والأحاديث في هذه المسألة على نوعين :

أحاديث فيها الصراحة بكلمة (المهدي) !

وأحاديث إنما أخبر فيها بخليفة يولد في آخر الزمان ويعلي كلمة الإسلام[1] !

في الجواب عن المسألة الثانية :

أما إن المسيح الموعود ، الذي يعتقد المسلمون نزوله ، هو عيسى ابن مريم، فهو ثابت من الروايات الكثيرة ، ومن أقوال العلماء التي جمعناها في (الملحق)].

(١) قلت : ذكر الإمام المودودي رحمه الله كلاماً لم يؤيده بالدليل ، ولكن أشار إلى ما ذكره بعد ذلك تحت عنوان (الأحاديث الواردة في ظهور المهدي) جمع فيه أحاديث بعضها غير صحيح !
ورأيت أن أتجاوز ما كتبه هنا إلى الخاتمة التي سأذكر فيها ما يجب أن يعتقده المسلم في هذا الأمر !

وما وجدنا رواية ذكر فيها المسيح باسم آخر غير اسم (عيسى) أو (عيسى ابن مريم) أو (ابن مريم) حتى يأخذ بنا الظن إلى أن المسيح النازل يكون رجلاً غير عيسى ابن مريم!

وما هناك في كتب الحديث إلا رواية جاءت فيها كلمة (المسيح) ، غير أن الطرق الأخرى التي وردت عنها هذه الرواية ، قد جاء التصريح فيها بكلمة (عيسى) أو (ابن مريم) مضافة إلى كلمة (المسيح) !

ولا يوجد أحد من علماء الإسلام الذين يجدر ذكرهم منذ أول الأمر إلى اليوم - على قدر علمنا على الأقل - قال في حين من الأحيان : إن المسيح الذي أخبر النبي ﷺ بنزوله ، ما هو بعيسى ابن مريم ، وإنما يكون رجلاً يشبه عيسى في صفاته وأحواله!

من أجل ذلك لما فشل الميرزا (غلام أحمد) القادياني في جعل الناس يؤمنون بنظريته القائلة بأنه مسيح مثيل لعيسى ابن مريم ، ادعى بكونه (مريم) ثم (عيسى المولود من بطن مريم) بصورة تمثيليّة !

ثم لما لم يجد الناس راضين بقبول هذا الادعاء ، قال :

(بما أني لست منخرطاً في سلسلة صوفيّة ، وليس هناك من رجل يكون لي كوالد روحي شيخاً في هذه الدنيا ، فكأني قد ولدت من غير أب كعيسى ابن مريم) !

في الجواب عن المسألة الثالثة :

قد صرح العلماء بأن المسيح لا يكون نزوله إلى الأرض كنبيّ من الله بعد محمد ﷺ، بل قد جاء بكل وضوح في شرح العقائد للنسفي ، وتفسير روح البيان للشيخ إسماعيل الحقّي ، وتفسير روح المعاني للألوسي ، أن المسيح لا يوحى إليه ، ولا هو يحكم بين الناس بشريعة جديدة ، وكذلك لا يشير أي حديث من الأحاديث إلى نزول عيسى إلى الأرض ، من حيث هو نبيّ يتلقّى الأحكام الشرعيّة من عند الله تعالى بالوحي !

أما المهدي ، فلا ينشأ السؤال عن كونه نبيّاً أو نزول الوحي إليه ، ويكفي لإيضاح ذلك ما بيناه آنفاً !

في الجواب عن المسألة الرابعة :

ليس من صلاحيات عيسى ابن مريم ، ولا المهدي ، أصلاً أن ينسخ حكماً من أحكام الشريعة المحمديّة ، أو يأتي فيه بشيء من التغيير !

وأما إذا كان رجل يظن - بناء على ما ورد في بعض الأحاديث من كلمات (يضع الحرب) أو يضع (الجزية) أو يضع (الخراج) - أن عيسى يمنع المسلمين عن الجهاد بالسيف ، ويعفي أهل الذمة من الجزية والخراج ، فإن ظنه هذا لا أساس له من الصحة والواقع ، فإن الأحاديث قد صرحت بأن الله تعالى يهلك الملل كلها بنزول عيسى إلا ملة الإسلام ، فتوضع الحرب والجزية ، والخراج من تلقاء نفسها !

ثم قال : والظاهر أنه لا يمكن أن يكون عامة المسلمين مجازين بنسخ الأحكام ، ثم إن المحدثين بيّنوا باتفاقهم نفس المعنى الذي بيناه آنفاً لذلك الحديث !

في الجواب عن المسألة الخامسة :

أما تفسير ختم النبوة بأنه لا يأتي نبيّ - من أي نوع كان - بعد محمد ﷺ، وأنه آخر نبي انقطعت بوفاته سلسلة النبوة والرسالة ، وأن من ادعى النبوة أو صدقه في دعواه فهو كذاب خارج من دائرة الإسلام ، هذه عقيدة متفق عليها بين المسلمين منذ البداية، وليس فيها خلاف بين مختلف الفرق الإسلاميّة ، ويقوم بناء هذه العقيدة على دعائم القرآن والسنة وإجماع الأمة !

أ- ثبوت ختم النبوة من القرآن :

قد صرح الله تعالى في القرآن بأن محمداً ﷺ هو خاتم النبيين ، حيث قال جل شأنه :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ .

(آية ٤٠ سورة الأحزاب)

وسواء قرأنا الخاتم ، بفتح الميم أو كسرها ، فإن النتيجة بعينها في كلتا الصورتين !

و (الخاتم) مشتق من (الختم) ، ومعناه وضع الطابع ، فإن قرأناه (الخاتم) بكسر التاء فهو من يضع الطابع ، وإن قرأناه الخاتم بفتح التاء فهو الطابع نفسه !

والمعنى في كلتا الصورتين واضح ، وهو أن الله تعالى قد ختم على سلسلة النبوة والرسالة بمحمد ﷺ !

وسياق الكلام في الآية يثبت هذا المعنى إثباتاً تاماً ، ولا يدع مجالاً لمعنى آخر البتة ، ولما كان مبدأ التبنيّ فاشياً بين العرب – وما كانوا يفرقون بين دعيّ المرء وابنه من صلبه ، وذلك مما كان يحرم كثيراً من الناس من وراثة قريب لهم إذا مات ولم يكن له ابن ولا بنت ، وكذلك كان وجود الولد المتبنّى وعيشته في بيت المرء كعيشة ولده الحقيقي من صلبه ، يسبب كثيراً من المفاسد في المجتمع – فقد نهى الله تعالى عن التبنّي في أول سورة الأحزاب ، ثم لما طلق زيد بن حارثة دعي رسول الله ﷺ زوجه زينب بنت جحش رضي الله عنها ، أمر الله تعالى نبيه أن يتزوج منها ، ويقضي فعلاً على هذه العادة السيئة المتوارثة بين العرب ، ولكن لما تزوج منها النبي ﷺ ، اتخذ اليهود والمنافقون من هذا الفعل مطعناً في النبي ﷺ ، وسبيلاً إلى تشويه سمعته ، لا في المدينة وحدها ، ولكن في سائر نواحي العرب أيضاً !

يقولون للناس : إن محمداً تزوج من زوج ابنه !

وإذا قيل لهم : إن زيد بن حارثة ليس ابناً له من صلبه ، قالوا : إذا كان الزواج من مطلقة الدعيّ مباحاً في شريعتكم على سبيل الافتراض ، فهل كان نبيّكم لا يجد بدّاً منه ؟!

وفي الرد على دعواهم أنزل الله تعالى هذه الآيات من سورة الأحزاب ، حيث قد بيّن فيها أن النبي ﷺ ما تزوج من زينب إلا بإذن من الله ثم رد على اعتراض المعترضين بثلاثة أجوبة :

١- ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾.

اي أن زواجه من زينب ليس بزواج من مطلقة ابنه ، فكيف يمكنكم أن تعترضوا عليه ؟!

٢- ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾.

اي ليس من واجبه أن يبيّن أحكام الشريعة فحسب ، بل من واجبه أيضاً أن يعمل بها ويمحو ما يخالفها من عادات قومه !

٣- ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ .

اي قد انقطعت به سلسلة الوحي والنبوة ، ولا يأتي بعده اي نبيّ ولا رسول إلى

يوم القيامة ، فإن ترك سيئة من السيئات ولم يقوّمها فلا يرجى أن يأتي بعده نبيّ آخر يصلحها !

ولا يمكن أن تفسّر هذه الآية في هذا السياق كما يفسرها القاديانيّون بأنه ﷺ سيفتح باب النبوة على مصراعيه ، ويهب لمن يشاء النبوة بوضع خاتمه عليه، كما لا يمكن تفسيرها بأن خاتم النبيّين هو أفضل النبيّين تمت عليه فضائل النبوة ، ولكن ما انقطعت به سلسلة الوحي والنبوة ، فكل من هذين المعنيين المختلفين لا يدع الآية مفهومة المعنى !

ب – ثبوت ختم النبوة من الحديث :

قد فسر النبي ﷺ هذه الآية في مختلف المواقف بما لا مجال فيه للريب ، ولا يمكن لمن في قلبه شيء من الإيمان أن يمر بخلده تأويل آخر لهذه الآية ، فكل من نظر في الأحاديث علم أن النبي ﷺ ما بيّن هذا المعنى للآية مرة أو مرتين في حياته ، بل كرره وأكده كل التأكيد في مختلف الأوقات بألفاظ واضحة لا يمكن أن تستخدم لإيضاح هذا المعنى ألفاظ أوضح منها !

جـ- ثبوت ختم النبوة من إجماع الأمة :

ما زال العلماء منذ قديم الزمان إلى يومنا هذا يفسرون هذه الآية بنفس المعنى الذي بيّناه آنفاً ، وتدل أقوالهم دلالة قاطعة على أن المفسرين في كل زمان وفي كل قطر فسروا الآية بمعنى واحد بعينه، ولم يُنقل في هذا خلاف !

د- ثبوت ختم النبوة من إجماع الصحابة :

قد حارب الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي ﷺ كل من ادّعى النبوة أو صدّقه في دعواه !

وأول من يذكر بهذا الصدد هو (**مسيلمة الكذاب**) الذي انتحل النبوّة في حياة النبيّ ﷺ نفسه !

وقد دلت الروايات المتعددة الصحيحة على أن مسيلمة هذا لم يكن منكراً لرسالة محمد ﷺ ، بل كان يعترف له بالرسالة ، ولكن كان في الوقت نفسه مدّعياً لرسالته أيضاً !

وقد نقل الطبري في تاريخه كتابه الذي أرسل به إلى النبي ﷺ .. فمما جاء في هذا

الكتاب:

(من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . سلام عليك ، فإني قد أشركت في الأمر معك) [١] !

ولكنه على اعترافه بنبوة نبينا محمد ﷺ كفر وأخرج من دائرة الإسلام!

ثم إنه قد ثبت من كتب التاريخ أن بني حنيفة آمنوا بمسيلمة بسلامة نيّة وعن غفلة منهم !

وقد ذكر ابن كثير في كتابه (البداية والنهاية) بكل تفصيل ما أوقع بني حنيفة في هذه الفتنة من الأسباب والدواعي !

ثم لا مجال للقول بأن الصحابة ما أعلنوا الحرب على مسيلمة وبني حنيفة لأجل دعواهم للنبوة ، ولكن لأجل خروجهم على الدولة ، وشقهم عصا الطاعة على الأمير !

والدليل على هذا أن الذين تُعلن عليهم الحرب في القانون الإسلامي ، لأجل خروجهم على الدولة وعصيانهم لأحكامها ، لا تسبى أسراهم سواء كانوا من المسلمين أو من أهل الذمة ، ولكن لما أعلن أبو بكر الصديق الحرب على مسيلمة وأتباعه ، أعلن في الوقت نفسه :

(أن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد غير الإسلام) [٢] !

فلم يعدهم من أهل الذمة !

وهكذا وقع سبي أسارى بني حنيفة . وقد جاء في البداية والنهاية أن علي ابن أبي طالب تسرى بجارية منهم !

فهذا هو الرأي المتفق عليه بين الصحابة في مسألة ختم النبوة !

ومن المعلوم أنه لا سند لمبادئ الإسلام وقوانينه بعد القرآن والسنة أقوى وأوثق من إجماع الصحابة ، ولا يمكن لمن أوتي ذرة من العقل أن يعتقد أن الصحابة الذين تمتعوا بصحبة النبي ﷺ مباشرة ، لا يعتبر إجماعهم على أمر تصويراً صحيحاً لأمور الدّ

---

(١) الطبري : ٣ : ٣٩٩ .

(٢) البداية والنهاية : ٦ : ٣١٦ .

ين ، وأن يزعم أن الدِّين هو ما ذهب إليه فلان من أبناء هذا الزمان !

هـ- ثبوت ختم النبوة من مذاهب العلماء :

أما مذهب فقهاء الأمة ومحدّثيها ومفسّريها في مسألة ختم النبوة ، فلم يقل العلماء من الإمام أبي حنيفة في القرن الأول إلى العلاّمة الآلوسي في القرن الثالث عشر إلا بأمر واحد لا خلاف بينهم عليه ، ونذكر منهم أصحاب الفتاوى العالمكيرية من الهند ، والإمام الغزالي من فارس ، والملاّ علي القاري من ما وراء النهر ، والعلاّمة إسماعيل الحقي من تركيا ، والعلاّمة محمود شكري الآلوسي من العراق ، والعلاّمة ابن كثير ، من الشام ، والإمام السيوطي ، من مصر ، والقاضي الشوكاني من اليمن ، والقاضي عياض من مراكش ، والإمام ابن حزم من الأندلس !

وإن كنت تجد فيهم الزمخشري من المعتزلة ، وجدت بجواره الإمام الرازي من الأشعريّين !

وإن كان فيهم القاضي الشوكاني من أهل الحديث ، ففيهم الإمام ابن حزم من الظاهريّين !

وإن كان فيهم العلامة ابن كثير من الحنابلة ، ففيهم الإمام الغزالي من الشافعية !

وإن كان فيهم القاضي عياض من المالكيّة ، ففيهم العلاّمة إسماعيل الحقي والعلاّمة الآلوسي والعلامة ابن نجيم من الحنفية !

مما هو أكبر دليل على أن عقيدة المسلمين في هذا الباب - من الشرق إلى الغرب ، ومن الجنوب إلى الشمال ، وفي كل قطر ، وفي كل زمان ، ومن أهل كل مذهب - ما زالت عقيدة واحدة بعينها ، وهي التي نادى بها مؤتمر الجمعيّات المسلمة في جلسته المنعقدة في كراتشي [1] !

ز- عقيدة ختم النبوة هي الأساس لوحدة المسلمين :

والذي ينبغي ألا يغيب عن البال في حال من الأحوال أن عقيدة ختم النبوة هذه ليست بمسألة نظريّة يمكن أن لا تتجاوز آثار الخلاف فيها ونتائجه مجال الفكر والرأي، بل إنما هي الأساس الوحيد الذي يقوم عليه كيان المسلمين القومي بتمامه !

---

(١) المؤتمر الذي عقد أيام حدوث القلاقل في باكستان ، وثار المسلمون على القاديانيّين ، وكان هذا المؤتمر يمثل جميع الطبقات الدينيّة والاجتماعيّة في باكستان !

والذي يتوقف على بقائه وحدة الأمة الإسلاميّة وتماسكها ، والذي لا يمكن بحال من الأحوال أن تبقى آثاره السيّئة محصورة في دائرة الدين ، بل هي مدمرة لكيان الأمّة ، قاضية على مقوماتها من كل وجهة ، سواء من الناحية المدنيّة أو السياسيّة أو الاقتصاديّة أو الاجتماعيّة أو الدوليّة !

ولا شك أن المسلمين قد ظهرت ولا تزال تظهر فيهم خلافات عديدة شديدة في العقائد والأصول والفروع ، وترتبت ولا تزال تترتب عليها آثار سيّئة، ونتائج وخيمة ، في حياتنا الاجتماعية ، ولكن الحقيقة التي لا ينكرها مكابر أن الذي احتفظ إلى الآن بوحدتنا القوميّة ، وما زال يعرضنا على العالم بصورة أمة واحدة ، وسهل علينا أن نعمل متوحّدين متعاونين ، كلما عرضت لنا في تاريخنا الأخطار والمصائب أو المشاكل القوميّة الخطيرة ، إنما هو إجماعنا على اتباع رسول واحد ﷺ !!

فإن وهن هذا الأساس وتزلزل عن مكانه - لا قدّر الله - وبدأت دعوة الأنبياء الجدد تفرّقنا إلى أمم مختلفة متضاربة ، فأي قوة تحول إذاً دون تشتت شملنا ، وتفرق كلمتنا ، وتمزق وحدتنا إلى أبد الآباد ؟!

وأي شيء يبقي في أيدينا يجمع كلمتنا في يوم من أيام المستقبل ؟!

فالذين يريدون منا اليوم التسامح في هذه الفتنة ، لا يعرفون التسامح وحدوده، ولا يعرفون الإسلام ومقتضياته ، بل إنهم يريدون في حقيقة الأمر من المسلمين أن يئدوا الأمة الإسلاميّة بأيديهم !

وإن خطأهم هذا يجر الهلاك على (باكستان) على وجه الخصوص !

ولا يقدر أكبر أعداء هذه الدولة أن يجني عليها بقدر ما يجني عليها هؤلاء من دعاة التسامح !

ومن المعلوم أن هذه الدولة ما نشأت إلا بآمال المسلمين وجهودهم الجماعيّة، ولا يمكن أن تبقى قائمة كدولة مستقلة إلا بمساندتهم الجماعيّة !

نعم ! قد يمكن لغيرنا من الأقطار الإسلاميّة أن تجد لوحدتها القوميّة أساساً آخر غير أساس الإسلام ، كوحدة اللغة ، أو وحدة الأصل ، أو وحدة الحدود الجغرافيّة !

أما باكستان : الدولة التي لا تجمع بين مختلف عناصرها وأفرادها وحدة اللغة ، ولا

وحدة الجنس ، ولا الوحدة الجغرافيّة – حيث يقع جناحها الشرقي على مسافة أكثر من ألف ميل عن جناحها الغربي – فلا يصلح أن نبحث لها عن أساس غير أساس الإسلام لوحدتها القوميّة ، ولا يمكن أن يتصور غير ذلك ، إلا من يعيش في عالم الأوهام الفارغة التي لا طائل تحتها !

وليس هذا من السياسة العمليّة في شيء ، فلا يصلح شيء أن يكون أساساً لوحدة المسلمين في هذا القطر – باكستان – إلا الإسلام ، والإيمان بختم النبوة من عقائد الإسلام ومبادئه الأساسيّة ، فإن هدمتم هذا الأساس في سبيل تسامحكم المزعوم فأي قوة تمسك إذاً بناء دولتكم عن الاندثار والفناء ؟!



المقال الثالث

عقيدة ختم النبوة كما بيَّنها القرآن

قال الله تعالى :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ . (آية ٤٠ سورة الأحزاب)

وردت الآية المذكورة في سورة الأحزاب ، حيث إن الله سبحانه وتعالى قد رد على اعتراضات الكفار والمنافقين الذين كانوا يثيرون أنواعاً من المطاعن والافتراءات على زواج النبي ﷺ بزينب رضي الله عنها !

ولقد كان اعتراضهم الأول أنه ﷺ قد تزوج بزوجة ابنه ، مع أن المرأة إذا تزوجها الابن تحرم على الأب حتى في شريعته عليه الصلاة والسلام ، فقال جلّ جلاله رداً على هذا الاعتراض :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾.

اي متى كان الرجل الذي تزوج محمد ﷺ بمطلقته ابنه حتى يحرم عليه الزواج بها؟!

وكان اعتراضهم الثاني أن متبناه زيداً إذا لم يكن ابناً له حقيقيّاً، فزواجه بمطلقته كان مباحاً له على أكثر التقدير ، وما كان لازماً محتوماً ، فلماذا اقدم عليه بدون حاجة شديدة حقيقيّة ؟!

يقول عز وجل رداً على اعتراضهم هذا :

﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ ﴾ .

اي كان من اللازم المحتوم عليه أن يستأصل شأفة كل عصبيّة توجد بينكم، بشأن ذلك الأمر المباح الذي قد جعلته تقاليدكم الجاهليّة المتوارثة حراماً بدون مبرر معقول، حتى لا يبقى مجال للشك والارتياب في إباحته ومشروعيته !

ثم إنه سبحانه وتعالى أكد ذلك بقوله :

﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾

أي هو آخر نبيّ بعثناه في العالم ، ولن يأتي بعده من جانبنا نبيّ ، فضلاً عن أن يأتي رسول لإصلاح القانون والتقاليد السائدة في المجتمع !

لأجل كل هذا فقد كان من الواجب المحتوم عليه ﷺ أن يتولّى بنفسه تحطيم هذا التقليد الجاهلي ؟!

ثم قال سبحانه بعد ذلك بمزيد من التأكيد :

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ .

أي أن الله يعلم : لماذا كان من اللازم تحطيم ذلك التقليد الجاهلي بيد محمد ﷺ في ذلك الزمان !

ويعلم : أي فساد يمكن أن يبقى في المجتمع لو أنه ﷺ لم يقم بتحطيمه وقطع شأفته!

ويعلم : أنه لن يبعث بعد محمد ﷺ رسولاً ولا نبيّاً !

فهو إذا لم يحطم هذا التقليد الجاهلي بواسطة آخر أنبيائه ، فلن تظهر بعد ذلك شخصيّة أخرى يتحطم هذا التقليد الجاهلي في الدنيا كلها بجهودها !

وإذا افترض أن المصلحين بعده سيتولون تحطيمه ، فإن فعل أي واحد منهم لن يصبح قاعدة عامة بحيث تأخذ بها الأجيال القادمة وتحذو حذوها في كل زمان ، كما أنه لن تبلغ أيّة شخصيّة من الشخصيّات من القداسة والاحترام، بحيث إن مجرد قيامه بأحد الأفعال لتحطيم عادة معينة يمكن أن يستأصل من قلوب الناس كل تصورات الكراهة حوله !

إن طائفة قد أثارت في هذا الزمان فتنة نبوّة جديدة ، وهذه الطائفة تفسر قوله تعالى:

﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾.

في هذه الآية بـ (طابع النبيين) !

اي إن جميع الأنبياء الذين يأتون بعد محمد ﷺ إنما يكونون أنبياء لكونهم مطبوعين بطابعه أو - بكلمات أخرى - لا يعد أحد بعده ﷺ نبياً من الله ما لم يكن مطبوعاً بطابعه ﷺ !

ولكننا إذا تأملنا قليلاً في هذه الآية ، مراعين السياق الذي وردت فيه ، تبيّن بدون أدنى ريب الا مجال البتة لتفسير هذه الكلمة - خاتم النبيّين - بهذا المعنى ، بل لو كان هذا هو معنى الكلمة لصارت في غير محلها ، وكانت مخالفة لفحوى الكلام أيضاً ، فأي مناسبة عسى أن تكون في هذه الآية ، لبيان أن محمداً ﷺ وهو طابع الأنبياء ، وأن جميع الأنبياء الذين يأتون بعده لا يكونون أنبياء إلا لكونهم مطبوعين بطابعه عليه الصلاة والسلام !

مع أن الآية جاءت هنا في سياق الرد على اعتراضات .. لما كان هناك خطر عظيم، ولقام بهذا العمل نبي من الأنبياء الذين سيأتون بعدك مطبوعين بطابعك !

والتأويل الثاني لهذه الطائفة أنها تفسر :

﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ .

بأفضل النبيين ، اي أن باب النبوة لا يزال مفتوحاً !

غير أن فضائل النبوة قد تمت على محمد ﷺ ، ولكن هذا المفهوم لخاتم النبيين فيه - أيضاً - نفس تلك المفسدة التي قد ذكرناها آنفاً في التأويل الأول !

وهو أيضاً لا يتلاءم مع سياق الآية ، بل يخالفه مخالفة صريحة ، إذ كان للمنافقين أن يقولوا للنبي ﷺ إذاً : لماذا يا حضرة النبي قد رأيت من الضروري أن تقوم أنت بنفسك بهذا العمل ، فإنك لو لم تقم به الآن لقام به أحد من الأنبياء بعدك على كونه أقل درجة منك ؟!

المعنى اللغوي لكلمة : ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾

فالذي يقتضيه إذاً سياق العبارة الا نفسر ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ في هذه الآية إلا بمعنى من قد ختم سلسلة النبوة ، ونعتقد اعتقاداً جازماً انه لن يأتي بعد محمد ﷺ أيّ نبيّ من الله إلى يوم القيامة !

ولكن ليس هذا ما يقتضيه سياق الآية فحسب ، بل هو كذلك مما تقتضيه اللغة!

فمعنى (الختم) بموجب لغة العرب وأساليب كلامهم : الطبع والإتمام والسد والوصول إلى الانتهاء .

يقال ختم الشيء وعليه : إذا بلغ آخره ، وختم العمل إذا فرغ منه ، وختم الإناء : إذا سده بالطين ونحوه ، وختم الكتاب : إذا قرأه كله وفرغ منه ، وختم على قلبه : إذا جعله لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء ، وختام كل مشروب : آخره ، وختام الوادي : أقصاه ، وخاتمة كل شيء : عاقبته وآخرته ، وخاتم القوم وخاتمهم : آخرهم [1] !

---

(١) راجع أي معجم شئت من معاجم اللغة العربيّة ، لا تجد فيه لكلمة (الختم) إلا نفس هذا المعنى !

ولكن من عادة منكري ختم النبوة وديدنهم التي درجوا عليها أنهم يعملون لتقليب دين الله، وتأويل أحكامه ومبادئه على هواهم ، بدل أن يستندوا إلى معاجم اللغة ، يحاولون الاستناد إلى أن أحداً من الناس إذا لقب بخاتم الشعراء ، أو بخاتم الفقهاء ، أو بخاتم المفسرين ، فلا يكون معنى ذلك أنه لن يأتي بعده شاعر أو فقيه أو مفسر ، وإنما يكون معنى ذلك أن قد تمت عليه فضائل فن الشعر أو الفقه أو التفسير ، مع أن ليس معنى استعمال مثل هذه الألقاب على سبيل المبالغة أن يصير معنى (الخاتم) الحقيقي : الكامل أو الأفضل حتى باعتبار اللغة ، ويصبح من الخطأ بعده استعمال هذه الكلمة بمعنى (الآخر) بتاتاً !

ولعمري إن قولاً سخيفاً مثل هذا لا يمكن أن يأتي به إلا من كان على أوفر نصيب من الجهل بقواعد اللغة وأساليب الكلام الإنساني ، ليس من قواعد أية لغة في العالم أن كلمة إذا كان الناس يستعملونها مجازاً بمعنى خاص في بعض محاوراتهم ، أصبح ذلك المعنى المجازي هو معناها الحقيقي ، وامتنع استعمالها بمعناها اللغوي الحقيقي ، وماذا ترى ؟!

إنك إذا قلت لرجل من العرب جاء (خاتم القوم) فهل يفهم أنك تعني (قد جاء أفضل القوم وأكملهم أم إنما يفهم أنك تعني (قد جاء القوم كلهم حتى آخر رجل منهم) ؟! ومما يجب ألا يغيب عن البال مع هذا أن أفراداً من الناس إن كانوا قد لقبوا بخاتم الشعراء أو خاتم المحدثين ، فإنما كان الناس هم الذين لقبوهم بهذه الكلمات ، ومن المحال إذا لقب الناس أحدا بالخاتم ألا يأتي بعده من يحمل صفة مثل صفته ، فما مثل هذه الألقاب في الكلام الإنساني إلا بمنزلة المبالغة والاعتراف بالكمال !

ولكن الله سبحانه وتعالى قال في عبد من عباده أن قد تمت عليه الصفة الفلانيّة ، فما ثمة ما يوجب أن نغيّر بقول الله أيضاً في معناه المجازي ، ولو أن الله قال في أحد من عباده أنه خاتم الشعراء ، لما جاء بعده شاعر أبدا !

وهكذا فإنه لما قد قال في نبيّه ورسوله محمد ﷺ أنه (خاتم النبين) ، فمن المحال القطعي أن يأتي بعده نبيّ إلى يوم القيامة ، وذلك أن الله عالم الغيب ، وأما الإنسان فليس كذلك ، فكيف يجوز=

لأجل هذا فإن علماء اللغة والتفسير مجمعون على أن معنى ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ : آخرهم الذي لا نبيّ بعده ، وإذا كان معنى الخاتم : الطابع فليس المراد به : بالطابع الذي يطبع به على الرسائل في دائرة البريد عند توزيعها ، وإنما المراد به الطابع الذي يطبع به على الغلاف لئلا يدخل فيه شيء ولا يخرج منه !



= أن يكون قول الله في أحد من عباده أنه (خاتم النبيين) وقول الناس في أحد منهم أنه (خاتم الشعراء) أو (خاتم الفقهاء) بمنزلة سواء ؟!

عقيدة ختم النبوة كما وردت في الأحاديث

هذا هو معنى ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ لغة وبموجب سياق العبارة وسياقها في آية القرآن، وهو عين المعنى الذي بيّنه وأكده النبي ﷺ لهذه الكلمة في غير واحد من أقواله المروية عنه في الصحاح ، البالغة حد التواتر !

قلت : وأشار إلى الحديثين التاليين :

١-قال النبي ﷺ : " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبيٌ خلفه نبي ، وإنه لا نبيّ بعدي ، وسيكون خلفاء "[١] !

٢-قال النبي ﷺ : " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين "[٢] !

ثم أشار إلى أحاديث أخرى ، بعضها ضعيف ، وسبق أن ذكرنا أهمها من الأحاديث الصحيحة !

وذكر حديث :

" فإني آخر الأنبياء ، وإن مسجدي آخر المساجد "[٣] !

---

(١) الحديث سبق في (طائفة القاديانية) للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر محمد الخضر حسين رحمه الله !

(٢) الحديث سبق - أيضاً - عقب الحديث السابق .

(٣) قلت : الحديث رواه مسلم: ١٥- الحج (١٣٩٤) من حديث طويل، وابن حبان (١٦٢٤)، وانظر بقية تخريجه فيه !

قال : يستدل منكرو ختم النبوة بهذا الحديث على أن النبي ﷺ كما قد قال : " وإن مسجدي آخر المساجد " مع أن ليس مسجده آخر المساجد ، وقد بني بعده ما لا يحصى من المساجد في الدنيا، كذلك أنه لما قال (إني آخر الأنبياء) فإن قوله هذا لا يمنع أن يأتي بعده الأنبياء ، غير أنه آخر الأنبياء، وأن مسجده آخر المساجد من حيث الفضل !

ولكن الذي تدل عليه مثل هذه التأويلات السخيفة أن القوم قد حُرموا نعمة كلام الله ورسوله، لأن نظرة شاملة في كل الروايات التي وردت حيث ورد هذا الحديث في صحيح مسلم أكثر من الكافي ، لتبين بأي معنى قال الرسول ﷺ عن مسجده أنه آخر المساجد ؟!

ثم قال : هذه هي أقوال الرسول ﷺ في ختم النبوة قد رواها عنه جماعة كبيرة من الصحابة ونقلها عنهم عدد عظيم من المحدِّثين بطرق قويّة !

والذي يتبين من دراستها بكل وضوح وجلاء أن النبي ﷺ قد صرح في مختلف المواضع ، وبمختلف الألفاظ ، وأساليب البيان بأنه آخر نبيّ ، وأنه لن يأتي بعده أيّ نبيّ آخر إلى يوم القيامة ، وأنه قد انتهت به سلسلة بعث الأنبياء والرسل من الله ، وأن كل من قام بدعوى النبوة أو الرسالة بعده ، فهو كذّاب أفاك دجّال ضالّ مضلّ !

فأي تفسير لقول الله عز وجل :

﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ .

عسى أن يكون أكثر صحة وأقوى إسناداً وأقطع ثبوتاً وأوضح دلالة من هذا التفسير؟!

إن قول الرسول ﷺ في حد ذاته حجة ويزداد قوة في الحجة ، إذا كان شرحاً لنص من نصوص القرآن !

ومن ذا عسى أن يكون أعرف بالقرآن وأحق بتفسير معانيه من محمد رسول الله

= فالروايات التي أخرجها مسلم عن أبي هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وأم المؤمنين ميمونة، رضي الله عنهم ، ونقلها في صحيحه مع هذا الحديث ، قيل فيها : إنه ليس في الدنيا إلا ثلاثة مساجد لها الفضل على سائر المساجد والصلاة فيها خير من ألف صلاة في غيرها، فلا يجوز للناس – على هذا – أن يشدُّوا الرحال للصلاة في أي مسجد آخر غير هذه المساجد الثلاثة وهي:

المسجد الحرام بمكة المكرمة ، الذي بناه إبراهيم عليه السلام !

والمسجد الأقصى ببيت المقدس ، الذي بناه سليمان عليه السلام !

والمسجد النبوي بالمدينة المنورة ، الذي بناه نبينا ﷺ !

فمعنى قول النبي ﷺ أنه لما كان آخر الأنبياء ولا يأتي إلى يوم القيامة نبيّ آخر فلا يبنى في الدنيا بعد مسجده رابع تكون الصلاة فيه خيراً من الصلاة في المساجد الأخرى، ويجوز شد الرحال للصلاة فيه !

قال أبو حاتم : قوله ﷺ : " آخر المساجد " .

يريد به آخر المساجد للأنبياء ، لأن مسجد المدينة آخر مسجد بني في هذه الدنيا : الإحسان : ٤ : ٥٠٢.

ﷺ ، حتى يبين لختم النبوة معنى غير المعنى الذي بينه ﷺ ، فنراه جديراً بالالتفات إليه فضلاً عن أن نقبله ونعترف بصحته ؟! أعاذنا الله من الغي بعد الهدى ، والجهل بعد العلم ، والعمى بعد البصيرة !

***

إجماع الصحابة على ختم النبوة

إن إجماع الصحابة له الأهميّة الكبرى بالدرجة الثالثة بعد القرآن والسنة!

ومما قد اتفقت عليه الروايات التاريخيّة الموثوق بها أن الصحابة حاربوا جميعاً كل من قام بدعوى النبوّة بعد وفاة النبي ﷺ ، والذين آمنوا بنبوته وعاونوه على إظهار أمره !

وأحق بالذكر في هذا الشأن (مسيلمة الكذاب) ولم يكن منكراً لنبوة محمد ﷺ ، وإنما كان من دعواه أنه قد أشرك مع محمد ﷺ في أمر النبوة !

وقد جاء في رسالته التي أرسلها إلى النبي ﷺ قبل وفاته عليه الصلاة والسلام : **(من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . سلام عليك فإني أشركت في الأمر معك)** [١] !

وفوق هذا ، فقد روى الطبري أنه كان من كلمات الأذان التي اتخذها مسيلمة **(أشهد أن محمداً رسول الله)** !

ولكن على هذا الإقرار الصريح بالرسالة المحمديّة أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على تكفيره واعتباره خارجاً من دائرة الإسلام ، وعلى ذلك قاتلوه !

وقد ثبت من التاريخ كذلك أن كان بنو حنيفة آمنوا به وأيدوه في أمره عن إخلاص وصفاء نية (In Good Faith) وحقاً كانوا قد انخدعوا بأن محمداً ﷺ هو نفسه قد أشركه معه في أمر النبوة ، وذلك بأن رجلاً كان تعلّم القرآن في المدينة المنورة ذهب إلى بني حنيفة ، وقرأ عليهم بعض آيات القرآن، موهماً إياهم أنها نزلت على مسيلمة [٢] !

ولكن على الرغم من ذلك فإن الصحابة ما اعترفوا بإسلامهم وخرجوا لقتالهم!

ثم إنه لا مجال للقول في هذا الصدد بأن الصحابة ما خرجوا لقتالهم بناءً على

(١) الطبري : تاريخ الأمم والملوك : ٢ : ٣٩٩ ط القاهرة .

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية : ٥ : ١٥١ .

ارتدادهم عن الإسلام ، وإنما خرجوا لقتالهم بناءً على خروجهم على الدولة الإسلاميَّة ، وشقهم عصا طاعتها ، وبموجب القانون الإسلامي إذا قوتل البغاة الذين خرجوا على الدولة الإسلاميَّة ، وشقوا عصا طاعتها ، فإنه لا يستعبد رجالهم ولا تسبى نساؤهم ، بل لا يجوز ذلك حتى بالنسبة لأهل الذمة فضلاً عن المسلمين !

ولكن الصحابة خرجوا لقتال مسيلمة وأتباعه ، وأعلن أبو بكر الصديق رضي الله عنه (**أن يحرّقوا بالنار ، وأن يقتلوا كل قتلة ، وأن تسبى نساؤهم وذراريهم ، ولا يقبل من أحدهم غير الإسلام**) !

وفعلاً فإنهم لما أُسروا استُعبد رجالهم ، وسبيت نساؤهم ، ومنهن تسرى علي بن أبي طالب بجارية ولدت له ابنه محمد ابن الحنفيَّة !

وقد اتضح بذلك جليّاً أن الجريمة التي من أجلها خرج الصحابة رضوان الله عليهم لمحاربة بني حنيفة ، ما كانت جريمة الخروج على الدولة ، وإنما كانت أن قام رجل منهم بدعوى النبوة وآمن به سائرهم ، وقد وقع كل ذلك بعد وفاة النبي ﷺ على الفور ، وتحت قيادة أبي بكر الصديق ، وعلى إجماع من الصحابة كلهم رضي الله عنهم ، ولعله لا يوجد على إجماع الصحابة مثال أوضح من ذلك !



إجماع علماء الأمة عليها

وإن إجماع علماء الأمة بعد عصر الصحابة هو الحجة في مسائل الدين بالدرجة الرابعة بعد إجماع الصحابة !

ونحن إذا نظرنا من هذه الجهة وجدنا علماء الأمة في كل زمان وفي كل مكان بعد القرن الأول إلى يومنا هذا مجمعين بكل معنى الكلمة على العقيدة بأنه لا نبيّ بعد محمد ﷺ ، وإن كل من قام بعده بدعوى النبوة أو صدقه في دعواه هو كافر خارج عن دائرة الإسلام وجماعة المسلمين وإليك عدة شواهد بذلك :

١-الإمام أبو حنيفة (٨٠-١٥٠هـ) : تنبأ رجل في زمن أبي حنيفة رحمه الله وقال : أمهلوني حتى أجيء بالعلامات فقال أبو حنيفة :

(من طلب منه علامة فقد كفر لقوله عليه السلام : " لا نبي بعدي " !

٢-العلامة ابن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ) يقول :

(ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذي ختم النبوة ، فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة) [١] !

٣-الإمام الطحاوي (٢٣٩-٣٢١هـ) :

يقول بصدد بيانه عقائد أئمة السلف ، ولا سيما الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمهم الله - في كتابه العقيدة السلفية :

(وإنه خاتم النبيين وإمام الأتقياء وسيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين، وكل دعوى النبوة بعده فغيٌ وهوى) [٢] !

٤-العلامة ابن حزم الأندلسي (٣٨٤-٤٥٦هـ) :

---

(١) روح البيان : ٢٢ : ١٨٨ ، ومناقب الإمام الأعظم لابن أحمد المكي طبعة حيدر آباد : ١ : ١٦٠ .

(٢) شرح الطحاوية في العقيدة السلفيّة المطبوع بدار المعارف بمصر : ١٥ ، ٨٧ ، ٩٦-٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٢ .

يقول : (وإن الوحي قد انقطع مذ مات النبي ﷺ ، برهان ذلك أن الوحي لا يكون إلا إلى نبي ، وقد قال عز وجل :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [(١)] ! (آية ٤٠ سورة الأحزاب)

٥-الإمام الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ) :

يقول : (إن الأمة فهمت بالإجماع من هذا اللفظ (أي لا نبي بعدي) ومن قرائن أحواله أنه أفهم عدم نبي بعده أبداً، وعدم رسول بعده أبداً ، وأنه ليس فيه تأويل ولا تخصيص، فمنكر هذا ، لا يكون إلا منكر الإجماع)[(٢)] !

٦-محيي السنة البغوي (٥١٠هـ) :

يقول : (ختم الله به النبوة فهو خاتمهم .. ويروى عن ابن عباس أن الله تعالى حكم أن لا نبيّ بعده) [(٣)] !

٧-العلامة الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ) :

يقول: (فإن قلت كيف كان آخر، الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان، قلت معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينبّأ أحد بعده ، وعيسى ممن نبئ قبله ، وحين ينزل عاملاً على شريعة محمد مصلّياً إلى قبلته كأنه بعض أمته)[(٤)] !

٨-القاضي عياض (ت ٥٤٤هـ) :

يقول : ومن ادعى النبوة لنفسه أو جوّز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة ، وكذلك من ادعى منهم أنه يوحي إليه وإن لم يدّع النبوة .. فهؤلاء كلهم كفّار مكذّبون للنبي ، لأنه أخبر ﷺ أنه خاتم النبيين لا نبي بعده ، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين وأنه أرسل كافة للناس ، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه والمراد به دون تأويل ولا تخصيص ، فلا شك في كفر

(١) المحلى : ١ : ٢٦ .

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد : ١١٣ ط الأدبية ، مصر .

(٣) تفسير القرآن (معالم التنزيل) : ٣ : ١٥٨ .

(٤) تفسير القرآن (الكشاف) : ٢ : ٢١٥ .

هؤلاء الطوائف كلها قطعاً إجماعاً وسمعاً) [١] !

٩-العلاّمة الشهرستاني (ف ٥٤٨هـ) :

يقول : (وكذلك من قال : وإن بعد محمد ﷺ نبياً غير عيسى ابن مريم عليه السلام ، فإنه لا يختلف اثنان في تكفيره) [٢] !

١٠- الإمام الرازي (٥٤٣-٦٠٦هـ) :

يقول : (وخاتم النبيين ، وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئاً من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده ، وأما من لا نبي بعده، فيكون أشفق على أمته وأهدى لهم وأجدى إذ هو كوالد لولده الذي ليس له غيره من أحد) [٣] !

١١- العلاّمة البيضاوي (ف ٦٨٥هـ) :

يقول : (أي آخرهم الذي ختمهم أو ختموا به ، ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده ، لأنه إذا نزل كان على دينه) [٤] !

١٢- العلاّمة حافظ الدين النسفي (ف ٧١٠هـ) :

يقول : (وخاتم النبيين ، أي آخرهم ، يعني لا ينبأ أحد بعده ، وعيسى ممن نبئ قبله ، وحين ينزل ينزل عاملاً على شريعة محمد ﷺ كأنه بعض أمته)[٥] !

١٣- العلاّمة علاء الدين علي بن محمد البغدادي (ف ٧٢٥هـ) :

يقول : (وخاتم النبيين ، ختم الله به النبوة ، فلا نبوة بعده ولا معه .. وكان الله بكل شيء عليماً ، أي دخل في علمه أنه لا نبي بعده) [٦] !

١٤- العلاّمة ابن كثير الدمشقي (ف ٧٧٤هـ) :

يقول : (فهذه الآية نص على أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي فلا رسول بطريق

---

(١) الشفاء : ٢ : ٢٧٠-٢٧١ .
(٢) الملل والنحل : ٣ : ٣٤٩ .
(٣) التفسير الكبير : ٦ : ٥٨١ .
(٤) أنوار التنزيل : ٤ : ١٦٤ .
(٥) مدارك التنزيل : ٤٧١ .
(٦) الخازن : ٤٧١-٤٨٢ .

الأولى والأحرى ، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي ولا ينعكس)[1] !

١٥- العلاّمة جلال الدين السيوطي (ف ٩١١هـ) :

يقول : (وكان الله بكل شيء عليماً بأن لا نبي بعده ، وإذا نزل عيسى يحكم بشريعته)[2] !

١٦- العلاّمة ابن نجيم (ف ٩٧٠ هـ) :

يقول : (إذا لم يعرف أن محمداً ﷺ آخر الأنبياء ، فليس بمسلم ، لأنه من الضروريات)[3] !

١٧- الملاّ علي القاري (ف ١٠١٦ هـ) :

يقول : (ودعوى النبوة بعد نبينا ﷺ كفر بالإجماع)[4] !

١٨- الشيخ إسماعيل الحقّي (ف ١١٢٧ هـ) :

يقول: (وخاتم النبين ، قرأ عاصم بفتح التاء وهو آلة الختم بمعنى ما يختم به ، كالطابع بمعنى ما يطبع به ، والمعنى : وكان آخرهم الذي ختموا به ..

وقرأ الباقون بكسر التاء أي كان خاتمهم أي فاعل الختم ..

فكانت علماء أمته ورثته عليه السلام من جهة الولاية ، وانقطع إرث النبوة بختميته ولا يقدح في كونه خاتم النبين نزول عيسى بعده ، لأنه معنى كونه خاتم النبين أنه لا يتنبأ بعده أحد كما قال لعلي :

" أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ".

وعيسى ممن تنبأ قبله ، وحين ينزل إنما ينزل على شريعة محمد عليه السلام ، مصلياً إلى قبلته ، كأنه بعض أمته ، فلا يكون إليه وحي ، ولا نصب احكام ، بل يكون خليفة

---

(١) تفسير القرآن : ٣ : ٤٩٣ .

(٢) تفسير الجلالين : ٧٦٨ .

(٣) الأشباه والنظائر ، كتاب السير ، باب الردة : ١٧٩ .

(٤) شرح الفقه الأكبر : ٢٠٢ .

رسول الله ﷺ) [١]!

١٩- وفي الفتاوى العالمكيرية : التي ألفها عدد عظيم من كبار علماء الهند في القرن الثاني عشر على أمر من الملك العالمكير أورنك زيب :

(إذا لم يعرف الرجل أن محمداً ﷺ آخر الأنبياء ، فليس بمسلم ، ولو قال (أنا رسول الله) أو قال بالفارسية " من بيغمبرام " (أنا نبي) يريد به من بيغام من برم (أنا آتي بالرسالة) يكفر) [٢] !

٢٠- القاضي الشوكاني (ف ١٢٥٥ هـ) :

يقول : (قرأ الجمهور (خاتم) بكسر التاء ، وقرأ عاصم بفتحها ، ومعنى القراءة الأولى أنه ختمهم أي جاء آخرهم ، ومعنى القراءة الثانية أنه صار كالخاتم لهم الذي يختمون به ، ويتزينون بكونه منهم)[٣]!

٢١- العلاّمة الآلوسي (ف ١٢٧٠هـ) :

يقول : (والمراد بالنبي ما هو أعم من الرسول فيلزم من كونه ﷺ خاتم النبيين كونه خاتم المرسلين ، والمراد بكونه عليه الصلاة والسلام خاتمهم انقطاع حدوث وصف النبوة في أحد من الثقلين بعد تحليه عليه السلام بها في هذه النشأة .. وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السنة، وأجمعت عليه الأمة ، فيكفر مدعي خلافه ، ويقتل إن أصر) [٤] !

هذا ما صرح به فيما يتعلق بختم النبوة أكابر العلماء ، والفقهاء ، والمحدثين، والمفسّرين ، في كل بلد من بلاد العالم من الهند إلى مراكش ، وأندلس ، ومن تركيا إلى اليمن ، وقد ذكرنا مع أسمائهم سني ولادتهم ووفاتهم ، مما يستطيع القارئ إذا ألقى نظرة أن يعرف أن فيهم أكابر الأمة الإسلاميّة في كل قرن ، منذ بدء التاريخ الإسلامي إلى أواخر القرن الثالث عشر الماضي !

---

(١) روح البيان : ٢٢ : ١٨٨ .
(٢) ٢ : ٢٦٣ .
(٣) فتح القدير : ٤ : ٢٧٥ .
(٤) روح المعاني : ٢٢ : ٣٢ ، ٣٩ .

ونحن وإن كان يوسعنا أن نضيف إلى أقوالهم أقوال علماء الإسلام في القرن الرابع عشر الجاري ، ولكن قد صرفنا عنها النظر ، ولم نذكرها عمداً ، لأن لرجل أن يحتال ، ويقول جواباً عليها : إن العلماء في القرن الجاري إنما بيّنوا هذا المعنى لختم النبوة عناداً لمن قام بدعوى النبوة في زمانهم !

لهذا فإننا لم نذكر إلا أقوال علماء الإسلام قبل القرن الجاري ، والظاهر في أمرهم أنهم لم يكونوا على عناد لرجل في هذا القرن !

ومما يثبت بهذه الأقوال قطعاً أن العالم الإسلامي منذ القرن الأول إلى هذا اليوم ما زال يرى معنى (خاتم النبيين) : آخرهم الذي لا نبيّ بعده ، وإنه ما زال المسلمون مجمعين على العقيدة بانسداد باب النبوة إلى أبد الآباد بعد محمد ﷺ ، وإنه لم يختلف اثنان منهم قط في أن كل من قام بدعوى النبوة بعد محمد ﷺ أو صدقه في دعواه وآمن بنبوته الزائفة ، هو كافر خارج من دائرة الإسلام !

ولكل ذي عينين أن يرى الآن بنفسه إلى أي حد يجوز أن يفسر قوله تعالى :

﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾.

بمعنى غير المعنى الذي هو ثابت من اللغة ، وكلام العرب ، وهو ظاهر من سياق العبارة وسباقها في نص القرآن !

وهو ما قد صرح به النبي ﷺ نفسه !

وهو ما أجمع عليه الصحابة !

وهو ما لم يختلف فيه اثنان من علماء الأمة الإسلاميّة ، منذ عصر الصحابة إلى الوقت الحاضر ، في كل قطر من أقطار العالم الإسلامي !

وكيف يجوز بعد ذلك أن يفتح باب النبوة لمن دعاها لنفسه في هذا الزمان؟ !

وكيف يجوز الاعتراف بإسلام الذين ما أعلنوا رأيهم ببقاء باب النبوة مفتوحاً فحسب ، ولكن قد آمنوا كذلك بنبوة رجل ولج عن طريقه إلى حرم النبوة؟ !

وهناك ثلاثة أمور أُخرى يجب التفكر فيها في هذا الصدد :

(١) أمر النبوة من العقائد الأساسيّة [١] :

أولها : أن أمر النبوة ليس بأمر هيّــن ، بـل هـو في غايـة مـن الأهميّـة والخطـورة والإرهاف ، لأن النبوة بموجب نصوص القرآن من العقائـد الأساسيّـة الـتي يتوقـف على الإيمان أو عدم الإيمان بها إسلام المرء وكفره !

ومن ذلك أن رجلاً إن كان نبيّاً فلم نؤمن به ، فقد كفرنا ، وهـو إن لم يكـن نبيّـاً فآمنا به ، فقد كفرنا !

ولذلك .. لو كان الله مرسلاً أحداً بعد محمد ﷺ ، لصرّح به بكلمات واضحة في كتابه ، وأمر رسوله محمد ﷺ أن يصدع به بين الناس !

وما أدرك ﷺ منيّته قبل أن ينبّه أمته تنبيهاً مكرراً مؤكداً على أن الأنبياء سيأتون من بعده ، فعليهم أن يؤمنوا بهم ويعزروهم وينصروهم !

والأمة لا تزال تعتقد أن محمداً ﷺ هو آخر الأنبياء ، ولأنـه ليس لأحـد أن يتنبأ بعده أبداً !

وأما إن كان مسدوداً ، وما كان لأحد أن يتنبّـأ بعـد محمـد ﷺ في حقيقـة الأمـر، ولكن على رغم هذا آمن شخص بني كذّاب فعلى هذا الشخص أن يتفكّر مليّاً : أي سجل يستطيع أن يضعه بين يدي الله يوم القيامة ويرجو على أساسه النجاة من بطشه وعقابه ؟!

عليه أن يستعرض منذ الآن كل ما قد أعد مـن المـواد للـدفاع عـن نفسـه قبـل أن يحضر في محكمة الآخرة ، ويرى بمقارنة مواده بموادنا التي ذكرنا :

هل يجوز له – إن كان عاقلاً – أن يعرض نفسه لخطر عقاب الله معتمداً على مثل هذه المواد ؟!

(٢) هل الإنسانيّة في حاجة إلى نبيّ جديد ؟

والأمر الثاني : الجدير بأن نـتفكّر فيه : هو أن ليست النبوّة صفة تنشـأ في كـل مـن يجعل نفسه أهلاً بالارتقاء والتـقدّم في العبـادة وعمـل الصـالحات ، ولا هـي جـائزة

---

(١) قلت : أصل هذا العنوان : (هل الله عدو لإيماننا ؟) ولا أوافقه عليه ، ومن ثم كتبت العنوان الحالي ، وتصرّفت فيما كتبه الإمام ، رحمه الله !

يمنحها الله عبداً من عباده مكافأة له على بعض خدماته وأعماله المرضية، وإنما هي منصب يوسده الله تبارك وتعالى إلى من يصطفيه من عباده، لإنجاز مهمة خاصة بحيث إن هذه الحاجة إذا اقتضت أن يكون لها من يحققها أسندها الله تعالى إلى من يشاء من عباده ، وإذا لم تكن هناك هذه الحاجة أو لم تبق ، فإن الله لا يرسل نبيّاً لتحقيقها أصلاً !

ونحن إذا تتبعنا آي القرآن بغية أن نعرف الأسباب التي لأجلها ظهرت الحاجة إلى إرسال نبي في أمة من أمم الأرض . علمنا أن هذه الأسباب أربعة :

١-كانت هذه الأمة ما جاءها من الله نبيّ من قبل ، ولا كان لتعاليم نبيّ مبعوث في أمة غيرها أن تصل إليها !

٢-كان قد أرسل إليها نبيّ من قبل ، ولكن كان تعليمه قد امحى ، أو لعبت به يد النسيان والتحريف ، حتى لم يعد بإمكان الناس أن يتبعوه اتباعاً كاملاً صحيحاً !

٣-كان قد أرسل إليها نبيّ من قبل ، ولكن تعاليمه ما كانت كاملة ، ولا هدايته كانت شاملة ، فألحت الحاجة إلى المزيد من الأنبياء لإكمال الدين !

٤-كان قد أرسل إليها نبيّ ، ولكن كانت الحاجة تقتضي أن يرسل معه نبيّ آخر لتصديقه وتأييده ، والظاهر أن كل سبب من هذه الأسباب الأربعة قد زال بعد النبي محمد ﷺ ، فلا حاجة للأمة الإسلاميّة ، ولا لأية أمّة أخرى في العالم إلى أن يرسل إليها نبي جديد بعد محمد ﷺ !

وقد تولى القرآن بنفسه بيان إن كانت بعثة النبي محمد ﷺ ، إلى الناس كافة وهداية الدنيا كلها :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾.

(آية ١٥٨سورة الأعراف)

وأيضاً مما يدل عليه تاريخ الحضارة في الدنيا أن الظروف في العالم ما زالت منذ

بعثته ﷺ ، ولا تزال مهيأة ، بحيث من الممكن أن تصل دعوته إلى كل صقع من أصقاع العالم ، وإلى كل أمة من أممه ، فلا حاجة بعد ذلك إلى نبي جديد إلى أمة من أمم الدنيا ، أو صقع من أصقاعها ، فبذلك قد زال السبب الأول !

ومما يشهد به القرآن كذلك ، وتؤيده عليه ذخيرة كتب الحديث والسيرة ، أن التعليم الذي جاء به النبي محمد ﷺ لا يزال حياً محفوظاً على صورته الحقيقية ، ولم تلعب به يد النسيان ، ولا التحريف والتبديل !

أما الكتاب الذي جاء به فما وقع التحريف ، ولا النقص ، ولا الزيادة في أي حرف من أحرفه ، ولا من الممكن أن يقع إلى يوم القيامة !

وصدق الله العظيم :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ .(آية ٩ سورة الحجر)

ولم يصبه ما أصاب الكتب الماضية من التحريف والتبديل ، وانقطاع السند ، حيث لم يتكفل الله بحفظها ، بل وكلها إلى حفظ الناس ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ .(آية ٤٤ سورة المائدة)

أي بما طلب إليهم حفظه !

والسر في هذه التفرقة أن سائر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا التأبيد ، وأن هذا القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه من الكتب ومهيمناً عليها ، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة ، زائداً عليها بما شاء الله زيادته ، وكان سادّاً مسدّها ، ولم يكن شيء منها ليسد مسده ، فقضى الله أن يبقى حجة إلى قيام الساعة ، وإذا قضى الله أمراً يسّر له أسبابه ، وهو العليم الحكيم !

وأما الهداية التي أعطاها للناس بأقواله وأفعاله ، فإننا نجد آثارها حتى اليوم حيّة ، مصورة ، كأننا أمام شخصه ﷺ وفي زمانه !

فبذلك قد زال السبب الثاني أيضاً !

ثم إن القرآن ليصرّح كذلك بأن الله تعالى قد أكمل دينه بواسطة نبيه محمد ﷺ ، فبذلك قد زال السبب الثالث أيضاً !

ثم إن الحاجة لو كانت تقتضي إرسال نبيٍّ مع النبي ﷺ لتأييده وتصديقه لأرسل في زمانه ﷺ ، فبذلك قد زال السبب الرابع أيضاً !

فأي سبب خامس بعد زوال هذه الأسباب الأربعة ، عسى أن يقتضي بعثة نبي جديد بعد محمد ﷺ ؟!

وإن قيل إن الأمة قد فسدت ، فالعمل على إصلاحها يحتاج إلى بعثة نبيٍّ جديد ، قلنا : هل بعث في الدنيا لمجرد الإصلاح ، حتى يبعث في هذا الزمان لمجرد هذا الغرض؟!

إن النبي لا يبعث إلا ليوحى إليه ، ولا تكون الحاجة إلى الوحي إلا لتبليغ رسالة جديدة ، أو إكمال رسالة متقدمة ، أو لتطهيرها من شوائب التحريف والتبديل ، فلما قد قضيت كل هذه الحاجات إلى الوحي بحفظ القرآن ، وسنة محمد ﷺ ، وإكمال الدين على يده ﷺ ، فلم تبق الحاجة الآن إلى الأنبياء وإنما هي إلى المصلحين !

ما النبوة الجديدة برحمة للأمة وإنما هي لعنة من لعنات الله :

والأمر الثالث الذي يدعونا إلى التفكر في هذا الشأن هو أن النبي لا يبعث في أمة إلا وينشأ فيها – بدون ما تأخير – قضيّة الكفر والإيمان ، وذلك أن الذين يؤمنون به يكونون أمة ، والذين لا يؤمنون به يكونون أمة أخرى لا محالة !

والاختلاف بين هاتين الأمتين لا يكون اختلافاً فرعيّاً وإنما يكون اختلافاً أساسيّاً، اختلاف الكفر والإيمان ، الذي من شأنه أن لا يسمح لهما بالاتحاد والاجتماع ، ما لم تتخلّ إحداهما عن عقيدتها !

ولابد – إلى ذلك – أن يكون مصدر الهداية والقانون لإحداهما غير مصدرهما للأخرى فعلاً ، لأن إحداهما إنما تستمد القانون لحياتها من وحي وسنة نبيها الذي تؤمن به ، بينما تأبى الأخرى أن تعترف بوحيه وسنته مصدراً للقانون أصلاً ، فلا إمكان – لهذا – أن تكوّنا من بينهما مجتمعاً موحداً أبداً !

ولعمر الحق إن الإنسان إذا وضع هذه الحقائق نصب عينيه ، فإنه لا يلبث أن يعرف جليّاً أن ختم النبوة من أعظم نعم الله وبركاته على الأمة الإسلاميّة، إذ به وحده أصبحت هذه الأمة تظهر في الدنيا بمظهر أُخوة عالميّة خالدة ، وهو الذي قد صان المسلمين من أن يذهبوا ضحايا كل اختلاف أساسي قد يثير بينهم الفرقة والشقاق إلى أبد الآباد !

فكل من يعتقد الآن بقيادة محمد ﷺ ، ولا يرى الرشد والصلاح إلا في هديه ﷺ ، ولا يستمد القانون والهداية من مصدر غير تعاليمه ﷺ ، هو فرد من أفراد هذه الأخوة، أو له أن يكون كذلك إذا شاء ، أما لو كان باب النبوة مفتوحاً، لما كان لهذه الأمة أن تتمتّع بمثل هذه الأخوة ، وكان من شأنها أن تتفرق قدداً كلما ظهر في الدنيا نبيّ جديد !

وهو إذا تفكر في هذه القضيّة قليلاً بعيداً عن العناد والعصبيّة الطائفيّة ، فلابد أن يشهد عقله بأن الله تعالى قد بعث نبيّاً واحداً للعالم كله ، ولما قد أكمل الدين بواسطة هذا النبيّ ، ولما قد أخذ على نفسه أن يحفظ تعاليمه إلى يوم القيامة ، كان من اللازم – حقاً – أن يوصد باب النبوة بعده ، حتى يجتمع على اتّباعه وتحت رايته أهل الإيمان كلهم ، ولا يشكلوا في الدنيا إلى قيام الساعة إلا أُمة واحدة ، ولا يتفرقوا مرة بعد مرة إلى أُمم شتى مع بعثة كل نبي جديد بدون ما حاجة إليها !

وسواء أكان النبي (ظليّاً) أو (بروزيّاً) أو (امتيّاً) أو (صاحب كتاب) و (صاحب شريعة) ، فإنه لابد أن يكون من نتيجة بعثته – كلما كان مبعوثاً من الله – أن يشكل المؤمنون به أُمة مستقلة ، ولا يكون كل من لا يؤمن به إلا كافراً !

والفرقة على هذا الوضع لا مندوحة عنها إن كانت ثمة حاجة حقيقيّة إلى بعثة نبي جديد ، ولكنه من البعيد عن حكمة الله ورحمته بعباده أن يعرضهم للصراع بين الكفر والإيمان ، ولا يدعهم يظهرون في الدنيا بمظهر أُمة واحدة ، حتى ولو لم تكن ثمة حاجة حقيقيّة إلى بعثة نبي جديد !

إذاً .. فالذي هو ثابت من القرآن ، والذي هو ثابت من السنة ، وإجماع الأمة ، هو الذي يعترف العقل بصحته وسداده ، ومن مقتضاه ألا يكون باب النبوة إلا مسدوداً !

حقيقة المسيح الموعود

يقول دعاة النبوة الجديدة للذين لا يعلمون من المسلمين عامة : إن الأحاديث قد ورد فيها الخبر بمجيء (المسيح الموعود) وإن المسيح كان نبيّاً، فلا يقدح مجيئه في ختم النبوة ، أي لا شك أن ختم النبوة حق ، ولكن من الحق كذلك مجيء (المسيح الموعود) !

ومما يقولون في هذا الصدد : أن ليس عيسى ابن مريم هو المراد بالمسيح الموعود في الأحاديث لأنه قد مات ، وإنما الذي تخبر الأحاديث بمجيئه هو (مثيل المسيح) أي (مسيح مثل عيسى ابن مريم) وهو فلان الذي قد ظهر ، فما الاعتقاد به بمعارض لعقيدة ختم النبوة !

قلت : أورد الإمام المودودي رحمه الله بعض الأحاديث التي في إسنادها ضعف ، ومن ثم رأيت الاكتفاء بذكر ما سبق من الأحاديث الصحيحة في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام !

ثم قال :

ماذا تدل عليه هذه الروايات ؟ :

وكل من يقرأ هذه الأحاديث ، يرى بنفسه أنه ما ورد فيها ذكر (**مسيح موعود**) أو (**مثيل المسيح**) أو (**مظهر المسيح**) أصلاً !

ولا هي تترك مجالاً لشخص يولد في هذا الزمان من بطن أم ونطفة والد، ثم يقوم بين الناس بدعوى أنه ذلك المسيح الذي أخبر بمجيئه سيدنا ومولانا محمد ﷺ !

وإنما الذي تدل على نزوله دلالة واضحة قاطعة هو عيسى عليه السلام ، ذلك المسيح الذي ولد قبل ألفي سنة من بطن مريم عليها السلام بغير أب !

ولسنا في هذا المقام بحاجة إلى إثارة البحث حول موته أو وجوده حيّاً في موضع

من المواضع ، لأننا إن فرضنا أنه قد مات ، فالله قادر على بعثه بعد موته [١] !

وإلا فليس بعزيز على الله أن يبقي عبداً من عباده حياً يرزق إلى آلاف من السنين، يسكنه حيث شاء في كونه الفسيح ثم يعيده إلى الدنيا متى أراد !

مهما يكن الأمر ، فإنه لابد لمن كان على إيمان بحديث الرسول ﷺ أن يعترف بأن الذي يجيء هو عيسى ابن مريم عليهما السلام ، وأنه ينزل ولا يولد!

وأما من كان لا يؤمن بحديث الرسول ﷺ ، فليس له أن يعتقد بمجيء أحد أبداً ، لأن العقيدة بمجيء أحد لا تقوم على شيء غير أحاديث الرسول ﷺ !

ولكن من المضحك المبكي أن تؤخذ العقيدة القائلة بمجيء أحد من أحاديث الرسول ﷺ ، ولكن بصرف النظر – في الوقت ذاته – عما في هذه الأحاديث من التصريح بأن الذي يجيء هو عيسى ابن مريم لا مثيل للمسيح !

والأمر الثاني الذي هو ظاهر من هذه الروايات بمثل هذا الوضوح نفسه ، هو أن عيسى ابن مريم لا ينزل نزوله هذا كنبي مبعوث من الله تعالى ، إذ لا ينزل عليه الوحي ، ولا يأتي من الله برسالة جديدة ولا بأحكام جديدة ، ولا يضيف إلى الشريعة المحمديّة شيئاً ولا ينقص منها ، ولا يعاد إلى الدنيا لتجديد الدين ، أو لدعوة الناس إلى الإيمان به ، أو لتشكيل أمة مستقلة من الذين لا يؤمنون به ، وإنما يعاد ليقوم بمهمة خاصة هي استئصال فتنة الدجال !

وهو لهذا الغرض ينزل بطريق لا يدع المسلمين الذين يرونه نازلاً يشكون في أنه عيسى ابن مريم قد نزل في موعده ، كما أخبر به رسول الله ﷺ، وأنه بعد نزوله يضم نفسه إلى جماعة المسلمين ، ويصلي خلف إمامهم ، ويقتدي بأميرهم !

وذلك ليقطع كل شبهة بأنه قد أُعيد لاستئناف القيام بواجبات النبوة في عهده السابق !

---

(١) من شك في ذلك فليقرأ قوله تعالى :

﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ . (آية ٢٥٩ سورة البقرة)

والظاهر أن جماعة من الناس إذا كان فيهم رسول من الله ، فلا تكون الإمامة والإمارة لأحد غيره ، فكأنه بضمه نفسه إلى جماعة المسلمين كفرد منهم، يعلن أنه ما أُعيد إلى الدنيا كنبيّ من الله ، و بناء على ذلك لا ينشأ السؤال قطعاً عن افتضاض خاتم النبوة بنزوله !

إنما يكون مجيئه في نوعيّته – لا في مشابهته – كمثل أن يأتي في عهد رئيس للدولة رئيس سابق ، ويؤدي تحت سلطته وفق أحكامه وظيفة من وظائف الدولة !

إنه لما يعرفه كل من له أدنى نصيب من العقل والفهم أن مجرد مجيء رئيس سابق في عهد رئيس قائم المنصب لا يخالف الدستور ، وإنما تحصل مخالفة الدستور في إحدى حالتين :

إما أن يحاول الرئيس السابق بعد مجيئه أن يتسلم منصب الرئاسة ويؤدي واجباته !

وإمّا أن ينكر أحد حتى الاعتراف برئاسته السابقة ، لأنه بذلك يتحدّى مشروعيّة كل الأعمال التي كانت قد تمت في عهد رئاسته !

وأما إذا لم توجد أية من هاتين الحالتين ، فإن مجرد مجيئ الرئيس السابق لا يؤثر شيئاً في الوضع الدستوري !

وهكذا ، فإن مجرد عودة عيسى عليه السلام إلى الدنيا لا تؤثر شيئاً في ختم النبوة بمحمد ﷺ ، وإنما هي تحصل لدستور الله للنبوة لو جاء عيسى عليه السلام وتسلم منصب النبوة ، ثم بدأ يؤدي واجباته ، أو لو أنكر أحد حتى الإيمان بنبوته السابقة !

والأحاديث قد سدّت الطريق إلى كل من هاتين الحالتين بكل إيضاح وتفصيل:

فهي تصرح من جانب بألا نبيّ بعد محمد ﷺ !

وتخبر من جانب آخر بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام مرة أخرى ، فالظاهر من هذا أن نزوله لا يكون لأداء واجبات النبوة !

كما أنه لا تنشأ بنزوله قضيّة جديدة للإيمان والكفر بين المسلمين ، لأن نبوته السابقة إذا لم يؤمن بها أحد حتى اليوم ، ما عدّ مسلماً ، وقد كان يؤمن بها محمد ﷺ نفسه ، وأيضاً تؤمن بها أمته منذ أول عهدها إلى يومنا هذا !

وهكذا يكون الوضع تماماً بعد نزوله عليه السلام ، لأن المسلمين عند ذاك لا

يؤمنون بنبوة جديدة ، وإنما يؤمنون بنبوته السابقة كما يؤمنون بها اليوم !

وكل هذا كما لا يخالف ختم النبوة اليوم كذلك لا يخالفه في تلك الأيام !

وآخر ما جاء بيانه في هذه الأحاديث ، وفي أحاديث كثيرة أخرى أن الدجال – الذي ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام لاستئصال فتنته العظيمة – يكون من اليهود، ويعرض نفسه على الناس بدعوى أنه المسيح !

ومن المحال على أحد أن يدرك حقيقة هذا ما لم يكن على إلمام بتاريخ اليهود، وعقائدهم الدينية ، ومخططاتهم البغيضة !

إن بني إسرائيل لما ظلوا ينحدرون إلى التدهور والزوال يوماً فيوماً بعد سليمان عليه السلام ، حتى استعبدتهم مملكتا بابل وأسيريا ، ومزق جمعهم في الأرض ، أخذ أنبياؤهم يبشرونهم بظهور مسيح يخرجهم مما صاروا فيه من البؤس والذلة والمسكنة ، فكانوا بناء على تنبؤات الأنبياء هذه يتوقعون ظهور مسيح ملكاً يفتح البلاد بقتال أهلها ، ويجمع بني إسرائيل في فلسطين، ويؤسّس لهم فيها دولة عظيمة !

ولكن لما جاءهم عيسى ابن مريم عليهما السلام مسيحاً من عند الله ولم يأت بجيش لفتح البلاد ، أبوا أن يؤمنوا بمسيحيّته ، ودبروا الحيل لقتله !

ومنذ تلك الأيام إلى أيامنا الحاضرة فإن اليهود في العالم لا يزالون منتظرين للمسيح الموعود (Promised Missiah) الذي كانوا قد بشروا بظهوره على ألسنة أنبيائهم ، وأن كتبهم مليئة بذكر الأحلام المعسولة عن عهده الذهبي ، ولا يزالون منذ عدة قرون يعلّلون أنفسهم باللذة الخياليّة بصفتها المرسومة في التلمود ، وأدبيّات الربّيين !

ويرجون أن يكون هذا المسيح الموعود زعيماً سياسيّاً محنكاً ، وقائداً مربّياً عظيماً، يسترد لهم ما بين النيل والفرات – وهو ما يرونه أرضهم الموعودة ، ودولة أجدادهم وآبائهم – ويدعو اليهود من كل أنحاء العالم يحشدهم مرة أخرى في دولتهم هذه !

هذا ، وإذا ألقينا نظرة على الظروف الراهنة اليوم في الشرق الأوسط ، وتأملنا فيها على ضوء النبوءات الثابتة عن رسول الله ﷺ ، علمنا أن المسرح قد تهيّأ تماماً لظهور الدجّال الأكبر الذي سيقوم في الشعب اليهودي باسم المسيح الموعود ، وفق تنبؤات النبي ﷺ !

فقد أخرج المسلمون من الجزء الأكبر من فلسطين !

وقد أقيمت فيه دولة يهوديّة باسم إسرائيل ، وفي هذه الدولة قد تجمع اليهود، ولا يزالون يتجمعون من كل أنحاء العالم ، وقد جعلتها أمريكا ، وبريطانيا وفرنسا ، قوة حربيّة عظيمة !

ولا يزال علماء اليهود وخبراؤهم الفنيّون يعملون ليل نهار على ترقيتها، معتمدين على ما ينالون من المساعدة الماليّة الواسعة من الصهيونيّين في سائر أنحاء العالم ، حتى أصبحت قوتها هذه خطراً مخيفاً لما حولها من الشعوب الإسلاميّة !

وإن زعماء هذه الدولة ما عمدوا قط ، ولا حاولوا إخفاء أمنيتهم لاسترداد دولة أجدادهم وآبائهم !

ويظهر من هذا أنهم يريدون الاستيلاء على سوريا كلها ، ولبنان كلها ، والأردن كله ، والعراق كله تقريباً !

ومع كل هذا يريدون الاستيلاء على منطقة الإسكندرونة من تركيا ، وسيناء ، والصعيد من مصر ، وشمال الحجاز ونجد من السعودية ، بما فيها المدينة المنورة !

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنهم سوف يحاولون الاستيلاء على هذه المناطق ، مستغلين الأوضاع الملائمة التي يمكن أن تنشأ في حرب عالميّة ثالثة قادمة !

وفي تلك الأيام يمكن أن يقوم فيهم باسم المسيح الموعود دجالهم الأكبر الذي ما اكتفى النبي ﷺ بذكر ظهوره ، ولكن أخبر كذلك أن المسلمين في زمانه تحيط بهم المصائب والمحن ، حتى ليشعروا باليوم الواحد كأنه سنة ، ومن ثم كان ﷺ يعوذ بالله من فتنته ويلقن المسلمين أن يعوذوا بالله من فتنته !

ولقتال هذا المسيح الدجال لا يبعث الله (مثيلاً للمسيح) ، وإنما ينزل ذلك المسيح الحقيقي الذي أبى اليهود قبل ألفي سنة أن يؤمنوا بمسيحيّته ، ثم صلبوه وفرغوا من أمره بزعمهم الباطل !

أما موضع نزوله فلا يكون في الهند ، ولا في إفريقيا ، ولا في أمريكا ، وإنما يكون في دمشق لكونها في تلك الأيام على عين جبهة الحرب !

ولو نظرت إلى مصوَّر جغرافي تجد فيه أن دمشق لا تبعد عن حدود إسرائيل أكثر من ٥٠ أو ٦٠ ميلاً !

وإن كنت مع ذلك مستذكراً في ذهنك موضوع ما نقلنا من الأحاديث عن نزول عيسى عليه السلام ، فلا تجد أيّ صعوبة في إدراك أن المسيح الدجّال سوف يدخل سوريا مع ٧٠ ألف رجل من اليهود ، حتى يصل إلى ظاهر مدينة دمشق !

قلت : يشير إلى ما رواه مسلم وغيره من حديث طويل عن النوّاس بن سمعان ، وفيه :

" .. إذ بعث الله المسيح ابن مريم ، **فينزل عند المنارة البيضاء شرقيّ دمشق..** "[1] !

وفي رواية لأحمد وغيره بسند صحيح لغيره عن مجمع بن جارية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

" **يقتل ابن مريم الدجّال بباب لُدّ** "[2] !

ففي مثل هذه المرحلة الحاسمة سينزل عيسى عليه السلام وقت صلاة الفجر على منارة بيضاء في شرقي دمشق ، ثم يخرج بالمسلمين بعد صلاة الفجر لمحاربته !

وهناك ينهزم عدو الله ، ولا يستطيع الوقوف أمام هجومه ، فيرجع القهقرى إلى إسرائيل عن طريق عقبة أفيق !

فيطارده عيسى عليه السلام حتى يدركه عند اللد ويقتله !
وسيقتل اليهود بعد ذلك شر قتلة وتنقرض الملة اليهوديّة !

كما أن المسيحيّة لا تبقى لها باقية بعد إعلان عيسى براءته منها ، وإظهاره الحقيقة!

وسوف تنضم الملل كلها إلى ملة واحدة ، ملة الإسلام !

ثم بقيت في وجه صاحبنا مشكلة أخرى ، هي أن عيسى إنما كان لينزل عند المنارة

---

(١) مسلم : ٥٢- الفتن (٢٩٣٧) ، والترمذي (٢٢٤٠) ، وانظر بقية تخريجه فيه .

(٢) أحمد : ٣ : ٤٢٠ ، والطيالسي (١٢٢٧) ، والحميدي (٤٢٨) ، ويعقوب الفسوي : المعرفة : ١ : ٣٨٨ ، والطبراني : الكبير : ١٩ (١٠٧٥ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٩-١٠٨١) ، والمزي : تهذيب الكمال : ١٩ : ٦٧ ، وابن حبان (٦٨١١) .
ويشهد له الحديث السابق .
ولدّ : مدينة تقع شمال غرب القدس ، تبعد عنها ٢٦ ميلاً تقريباً !

البيضاء شرقي دمشق بموجب الأخبار المذكورة في الأحاديث ، فرفع هذه المشكلة بأنه بنى في مدينة (قاديان) المذكورة منارة سماها المنارة البيضاء ، ومن عسى أن تكون له الفرصة للتفكر والتثبت في أن المنارة التي ورد عنها الذكر في الأحاديث هي منارة تكون موجودة قبل أن ينزل المسيح ، وأن المنارة القاديانيّة قد بناها حضرة (المسيح الموعود) هذا بنفسه بعد مجيئه !

ولَعَمْرُ الحق إن الإنسان إذا نظر في كل هذه التأويلات بفكر ثاقب ، فإنه لا يلبث أن يعرف أن ليس كل هذا إلا دجل صريح ، وشعوذة سافرة !

الملحق أ :

أقوال العلماء في نزول عيسى ابن مريم :

وهنا نذكر أقوال الفقهاء والمحدّثين والمفسرين وتصريحاتهم بأن عيسى لا ينزل إلى الأرض كنبي من أنبياء الله ، وإنما ينزل كمتبع محمد ﷺ ، فلا ينافي نزوله عقيدة ختم النبوة !

وقد ذكرنا تصريحات : الزمخشري ، والبيضاوي ، وحافظ الدين النسفي ، والسيوطي ، والشيخ إسماعيل حقي في الذيل الخامس !

أما تصريحات العلماء الآخرين ، فنذكرها فيما يلي :

١- العلاّمة ابن حزم (٣٨٤-٤٥٦هـ ٩٩٤-١٠٦٤م) :

يقول : (لا يقدح في كونه خاتم النبين والمرسلين نزول عيسى بعده ، لأنه يكون على دينه ، مع أن المراد أنه آخر من نبي)[1] !

٢- الإمام الرازي (٥٤٣-٦٠٦هـ) :

يقول : (قال بعض المتكلمين : إنه لا يمنع نزوله من السماء إلى الدنيا، إلا أنه إنما ينزل عند ارتفاع التكاليف أو بحيث لا يعرف ، إذ لو نزل مع بقاء التكليف على وجه يعرف أنه عيسى لكان إما أن يكون نبيّاً ولا نبي بعد محمد ﷺ ، أو غير نبي ، وذلك غير جائز على الأنبياء ، وهذا الإشكال عندي ضعيف ، لأن انتهاء الأنبياء إلى

(١) المحلى : ٥ : ٢٦٧ .

مبعث محمد ﷺ . فعند مبعثه انتهت تلك المدة ، فلا يبعد أن يصير بعد نزوله تبعاً لمحمد ﷺ)[١] !

٣- الإمام النووي (٦٣١-٦٧٦هـ ١٢٣٣-١٢٧٧م) :

يقول : (ينزل عيسى ابن مريم حكماً ، أي حاكماً بهذه الشريعة ، ولا ينزل برسالة مستقلة ، وشريعة ناسخة ، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة)[٢] !

تلك هي الحقيقة تبدو جليّة ناصعة ، مما ذكرنا من أحاديث الرسول ﷺ. مما لا يترك مجالاً للريب والاشتباه !

وهل من شك بعد ذلك في أن (التجارة) التي أُقيمت سوقها في بلادنا باسم (المسيح الموعود) ما هي حقيقة أمرها إلا زيف ودجل !

ومن النواحي المضحكة لهذا العمل الزائف أن فلاناً الذي حاول أن يجعل من نفسه مصداقاً للتنبؤات المذكورة في هذه الأحاديث ، جاء بالتأويل الآتي تبريراً لدعوى كونه المسيح ابن مريم :

(وأنه - يعني الله سبحانه وتعالى - سماني مريم في الجزء الثالث من البراهين الأحمديّة ، ثم إني (كما هو ظاهر من البراهين الأحمديّة) ، تلقيت التربية لستين في صفة مريميّة ، ثم نفخ فيّ روح عيسى ، كما كان نفخ في مريم وجعلت (حاملاً) في أسلوب الاستعارة ، وأخيراً بعد عدة أشهر لا تزيد بحال على عشرة أشهر حولت إلى عيسى ابن مريم بذلك الإلهام الذي هو مذكور في الجزء الرابع من البراهين الأحمديّة ، فهكذا يصح القول بأني ابن مريم)[٣] !

أي صار أولاً مريم ، ثم حمل بنفسه ، ثم ولد من بطنه بصورة عيسى ابن مريم ، ثم لما واجهته المشكلة بأن عيسى إنما كان لينزل في دمشق بموجب الأخبار المذكورة في الأحاديث ، وهي مدينة معروفة في ديار الشام منذ آلاف السنين ولا تزال حتى اليوم موجودة على وجه الخريطة بهذا الاسم نفسه أزاح هذه المشكلة بتأويل طريف آخر هو أن قال :

---

(١) التفسير الكبير : ٣ : ٣٤٣ .

(٢) شرح مسلم : ٢ : ١٨٩ .

(٣) سفينة نوح (بالأوردية) : م ٨٧ ، ٨٩ .

(ولتعلم أني قد نبئت من جانب الله فيما يتعلق بتفسير كلمة (دمشق) وهو أن المدينة أشير إليها (وهي مدينة قاديان) سميت دمشق لكون أكثر أهلها يزيديو الفطرة يتبعون عادات يزيد الخبيث وأفكاره .. هذه مدينة (قاديان) بينها وبين دمشق نوع من التشابه والتناسب لسبب أن أكثر أهلها الذين يسكنونها هم يزيديو الطبع)[1] !

وقال : (وأنكر ذلك بعض المعتزلة والجهمية ومن وافقهم ، وزعموا أن هذه الأحاديث مردودة بقوله تعالى :

﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ .

وبقوله ﷺ :

" لا نبي بعدي ".

وبإجماع المسلمين أنه لا نبيّ بعد نبيّنا ، وأن شريعته مؤبّدة إلى يوم القيامة لا تنسخ !

وهذا استدلال فاسد ، لأنه ليس المراد بنزول عيسى أنه ينزل نبيّاً بشرع ينسخ شرعنا ، ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها شيء من هذا ، بل صحت هذه الأحاديث هنا ، وما سبق في كتاب الإيمان وغيرها أنه ينزل حَكَماً مقسطاً بحكم شرعنا ويحيي من أمور شرعنا ما هجره الناس)[2] !

٤- علاء الدين البغدادي (صاحب تفسير الخازن ٧٢٥هـ) :

يقول : (فإن قلت قد صح أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بعده وهو نبي، قلت : إن عيسى عليه السلام ممن نبئ قبله ، وحين ينزل في آخر الزمان ينزل عاملاً بشريعة محمد ﷺ ، ومصلّياً إلى قبلته كأنه بعض أمته)[3] !

٥- العلاّمة التفتازاني (٧٢٢-٧٩٢هـ ١٣٢٢-١٣٩٠م) :

يقول : (فإن قيل قد ورد في الحديث نزول عيسى بعده ، قلنا نعم ، لكنه يتابع محمداً ﷺ ، لأن شريعته قد نسخت ، فلا يكون إليه وحي ونصب الأحكام ، بل يكون

(١) هامش إزالة الأوهام : ٦٣-٧٣ .

(٢) شرح مسلم : ١٨ : ٧٥ .

(٣) تفسير الخازن : ٤ ، ١٧٤ ، ٤٧٢ .

خليفة رسول الله ﷺ)[1] !

٦- العلامة ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ - ١٤٤٩م) :

يقول : (ينزل فيكم حكماً ، أي حاكماً ، والمعنى أنه حاكم بهذه الشريعة، فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ ، بل يكون عيسى حاكماً من حكام هذه الأمة)[2] !

وقال في موضع آخر : (عند أحمد في قصة الدجال إذ يقال لعيسى: تقدم يا روح الله! فيقول : ليتقدم إمامكم فليصلِّ بكم) !

وقال أبو الحسن الخسعي في مناقب الشافعي : (تواترت الأخبار أن عيسى يصلّي خلف المهدي) ذكره رداً للحديث عن أنس وفيه : لا مهدي إلا عيسى..!

وقال ابن الجوزي : (لو تقدم عيسى إماماً لوقع في النفس إشكال ولقيل أتراه تقدّم نائباً أو مبتدئاً شرعاً ؟! فصلى مأموماً لئلا يتدنس بغبار الشبه، وجه قوله ﷺ " لا نبي بعدي ")[3] !

٧- العلامة بدر الدين العيني (٨٥٥هـ - ١٤٥١م) :

يقول : (وفي كتاب الفتن لأبي نعيم : (ينزل ابن مريم فيجد خليفتهم يصلّي بهم ، فيتأخر فيقول للخليفة : صلِّ فقد رضي الله عنك ، فإني إنما بعثت وزيراً ولم أبعث أميراً).

لا ينزل بشريعة متجددة ، بل ينزل على شريعة نبينا محمد ، ويكون من أتباعه)[4] !

٨- العلامة القسطلاني (٨٥١-٩٢٣هـ - ١٤٤٨-١٥١٧م) :

يقول : (خاتم النبيين أي آخرهم الذي ختمهم أو ختموا به ، ولا يقدح فيه نزول عيسى بعده ، لأنه إذا نزل يكون على دينه ﷺ ، مع أن المراد أنه آخر نبي)[5] !

٩- ابن حجر الهيثمي (٩٠٩-٩٧٣هـ - ١٥٠٤-١٥٦٥م) :

---

(١) شرح العقائد للنسفي : ٩٧ .

(٢) فتح الباري : ٦ : ٣٦٥ .

(٣) المرجع السابق : ٦ : ١١٧ .

(٤) عمدة القاري : ١٦ : ٤٠ .

(٥) إرشاد الساري : ٦ : ١٨ .

يقول : (الذي نص عليه العلماء ، بل أجمعوا عليه ، أن يحكم بشريعة محمد ﷺ وعلى ملته .. وفي حديث ابن عساكر :

" إلا أن ابن مريم ليس بيني وبينه نبيّ ولا رسول ، إلا أنه خليفة في أُمتي من بعدي "!

وقد صرح السبكي بأنه يحكم بشريعة نبينا ﷺ بالقرآن والسنة)[١] !

١٠-الشيخ عبد الحق الدهلوي (٩٥٨-١٠٥٢هـ - ١٥٥١-١٦٤٢م) :

يقول : (قد ثبت بالتحقيق من الأحاديث الصحيحة أن عيسى سينزل ، ويكون تابعاً لدين محمد ﷺ ، ويحكم بشريعته ﷺ)[٢] !

١١-العلاّمة الزرقاني (١١٦٢هـ) :

يقول : (وعيسى إذا نزل إنما يحكم بشرعه .. وإرادة الله ألا ينسخ شريعته، من شرفه قد نسخها لجميع الشرائع ، ولهذا إذا نزل عيسى إنما يحكم بها)[٣] !

١٢-القاضي محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٥هـ) :

يقول : (وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان .. ويحكم بين العباد بالشريعة المحمديّة)[٤] !

١٣-العلاّمة محمود شكري الألوسي (١٢٧٠هـ - ١٨٥٣م) :

يقول : (ثم إنه عليه السلام حين ينزل باقٍ على نبوته السابقة ، لم يعزل عنها بحال ، لكنه لا يتعبّد بها ، لنسخها في حقه ، وحق غيره ، وتكليفه بأحكام هذه الشريعة أصلاً وفرعا ، فلا يكون إليه – عليه السلام – وحي ولا نصب أحكام ، بل يكون خليفة لرسول الله ﷺ وحاكماً من حكام ملته بين أمته)[٥] !



(١) الفتاوى الحديثية : ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) أشعة اللمعات ، شرح المشكاة : ٤ : ٣٧٣ .

(٣) شرح المواهب اللدنية : ٣ : ١١٦ .

(٤) فتح القدير .

(٥) روح المعاني : ٢٢ : ٣٢ .

الملحق "ب" الأحاديث الواردة في ظهور المهدي

قد ذكرنا في هذا الباب نوعين من الأحاديث : أحاديث ذكر المهدي فيها بالصراحة ، وأحاديث انما أخبر فيها بظهور خليفة عادل بدون تصريح « بالمهدي » ، ولما كانت هذه الأحاديث من النوع الثاني تشابه الأحاديث من النوع الاول في موضوعها ، فقد ذهب المحدثون الى أن المراد بالخليفة العادل فيها هو « المهدي » .

أحاديث من النوع الأول :

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فاتوها فان فيها خليفة الله المهدي[١]

٢ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي منا اهل البيت يصلحه الله في ليلة »[٢] .

---

(١) مسند الإمام أحمد عن ثوبان البيهقي في دلائل النبوة . وقد روى ابن ماجة رواية في هذا المعنى في سننه (كتاب الفتن : باب خروج المهدي)

(٢) مسند الأمام أحمد عن علي .

٣ – عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله لي الله صلى عليه وسلم يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة » [١]

٤ – قالت ام سلمة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي » [٢]

٥ – قال النبي صلى الله عليه وسلم يكون في أمتي المهدي إن قصر فسبع والا فتسع فتنعم فيه أمتي » [٣]

٦ – عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المهدي مني ، أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا ويملك سبع سنين » [٤]

٧ – عن أبي سعيد في قصة المهدي قال فيجيء اليه الرجل فيقول يا مهدي أعطني أعطني فيحثى له في ثوبه ما استطاع أن يحمله » [٥]

٨ – عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ... كيف تهلك أمة وأنا أولها والمهدي وسطها والمسيح آخرها » [٦]

---

(١) أبو داود ، كتاب الفتن والملاحم . باب ذكر المهدي
(٢) ابن ماجة ، كتاب الفتن . باب خروج المهدي
(٣) المصدر نفسه
(٤) أبو داود ، كتاب الفتن والملاحم . باب ذكر المهدي
(٥) مشكاة المصابيح . باب أشراط الساعة عن الترمذي
(٦) مشكاة المصابيح باب ثواب هذه الأمة عن رزين .

أحاديث من النوع الثاني :

٩ ـ لو لم يبق من الدنيا الا يوم لبعث الله عز وجل رجلا منا يملؤها عدلا كما ملئت جورا »[١] .

١٠ ـ عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يبق من الدهر الا يوم لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورا »[٢] .

١١ ـ قال علي رضي الله عنه ونظر الى ابنه الحسن فقال إن ابني سيد كما سماه النبي صلى الله عليه وسلم وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم صلى الله عليه وسلم يشبهه في الخُلُق ولا يشبهه في الخلق ، ثم ذكر قصة يملأ الارض عدلا[٣] .

١٢ ـ عن علي قال النبي صلى الله عليه وسلم « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطيء أويمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجب على كل مؤمن نصره أو قال أجابته »[٤] .

١٣ ـ لا تقوم الساعة حتى يلي ـ وفي رواية لا تنقضي

(١) مسند الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه .
(٢) أبو داود ، كتاب الفتن والملاحم . باب ذكر المهدي
(٣) أبو داود ، كتاب الفتن باب ذكر المهدي
(٤) المصدر نفسه .

الايام حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي[1].

١٤ – عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لولم يبق من الدنيا الا يوم – وفي رواية لطول الله ذلك اليوم – حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي واسم أبيه أبي » . وفي رواية « يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا . وفي رواية « لا يذهب أولا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطي إسمه إسمي[2]

١٥ – عن أبي سعيد الخدري قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم « بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد ملجأ يلجأ اليه من الظلم . فيبعث الله رجلا من عترتي وأهل بيتي فيملأ به الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض لا تدع السماء من قطرها شيئاً الاحبته مدرارا ولا تدع الارض من نباتها شيئاً الا أخرجته حتى يتمنى الاحياء الاموات يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمان سنين »[3].

١٦ – عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده » وفي رواية

(١) مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود

(٢) أبو داود : كتاب الفتن والملاحم . باب ذكر المهدي

(٣) مشكاة المصابيح في باب أشراط الساعة عن المستدرك للحاكم

« يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا ولا يعده عدا »[1]

١٧ ـ عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل من أهل المدينة هاربا الى مكة فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره فيبايعونه بين الركن والمقام ويبعث اليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء فاذا رأى الناس ذلك أتاه إبدال الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب فيبعث اليهم بعثا فيظهرون عليهم وذلك بعث الكلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ويلقي الإسلام بجرانه الى الارض فيلبث سبع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون »[2].

١٨ ـ عن أبي هريرة مرفوعاً « يا عم إن الله تعالى إبتدأ الإسلام بي وسيختمه بغلام من ولدك وهو الذي يتقدم عيسى بن مريم »[3].

١٩ ـ عن عمار بن ياسر مرفوعا « يا عباس إن الله تعالى بدأ بي هذا الأمر وسيختمه بغلام من ولدك يملؤها عدلا كما ملئت جورا وهو الذي يصلي بعيسى عليه السلام »[4].

---

(١) مشكاة المصابيح باب أشراط الساعة عن مسلم

(٢) أبو داود ، كتاب الفتن والملاحم باب ذكر المهدي

(٣) كنز العمال ج ٧ ص ١٨٨

(٤) كنز العمال ج ٧ ص ١٨٨

رواية منفردة ومختلفة عن كلا النوعين من الأحاديث :

٢٠ — عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ولا يزداد الأمر الا شدة ولا الدنيا الا إدبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولا مهدي الا عيسى بن مريم »[١].

ملاحظة : إن هذه الرواية تخالف كل ما ورد في كتب الحديث من الروايات في المهدي وعيسى بن مريم ولا يؤيدها أي رواية أخرى . يقول الحافظ بن حجر العسقلاني إن هذه الرواية تخالف جميع الاحاديث الصحيحة[٢].

---

(١) ابن ماجة : كتاب الفتن باب شدة الزمان

(٢) فتح الباري ج ٦ ص ٣٥٨

وأيضاً استشهد المؤلف في الأصل بكتاب الحاوي للفتاوي ونقل منه عبارة عن العلامة القرطبي وعبارة عن ابن كثير مؤداهما أن هذه الرواية ضعيفة الإسناد وهي تخالف جميع الأحاديث الصحيحة .

« المترجم » .

الفهرس